

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أخلاق الأنبياء والصالحين في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب: آيات حسن حسين دحلان

Signature:

التوقيع: 

Date:

التاريخ: 2015/03/28



الجامعة الإسلامية - غزة
شؤون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

أخلاق الأنبياء والصالحين في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

**Manners of Prophets and Pious in the Light
of the Holy Quran
(Subjective Study)**

إعداد الطالبة

آيات حسن دحلان

إشراف الدكتور

عبد الرحمن يوسف الجمل

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن من

كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ آيات حسن حسين دحلان لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

أخلاق الأنبياء والصالحين في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 08 جمادى الآخر 1436هـ، الموافق 2015/03/28م الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً بمبنى اللحيان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	د. عبد الرحمن يوسف الجمل
.....	مناقشاً داخلياً	أ.د. جمال محمود الهوبي
.....	مناقشاً خارجياً	د. فايز حسان أبو عمرة

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز





﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾

﴿ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: 105)

اللَّهُمَّ هَذِهِ الْوَرَقَاتُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ فَتَقَبَّلْهَا مِنِّي
بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَتْبِتْهَا نَبَاتًا حَسَنًا



الإهداء

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له⁽¹⁾

إلى الحبيب الأعظم سيّد المرسلين.. وإلى أهل بيته الطاهرين.. وإلى أصحابه الطيّبين....
 إلى من يُحب الله .. ومن هو في معيّة الله أبداً .. المؤمن الحق....
 إلى من قوي إيمانه وأصقل عزمته .. ونور بصيرته....
 إلى كل مُخلص يعمل لإنقاذ هذه الأمة مما هي فيه....
 إلى كل من سَكَن قلبه حُب العطاء في سبيل الله....
 إلى كل من سَكَن حُب الأقصى في سُوَيْدَاء قلبه....
 إلى من تَفَرقت به السُّبُل وضاعت عليه الدنيا وانقبض صدره....
 إلى أُمِّي وَأَبِي الكريمين....
 إلى زَوْجِي الغَالِي يعقُوب....
 إلى أبنائي إسحاق وآلاء وأسماء....
 إلى الأمة الإسلاميّة خير أمة أُخْرِجَت للناس....
 إلى شعب فلسطين المجاهد الصابر المرابط إلى يوم الدين....
 إلى العاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى....
 إلى زميلاتي العاملات في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية....
 إلى طلاب العلم ورواد المعرفة....
 إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

(1) غريب القرآن في شعر العرب، عن الصحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، (5/1).

شكر وتقدير

الحمدُ لله حمداً كثيراً يَرْقى لجلال قدره، حمداً لو أفنينا العُمُر فيه ما وَفينا حق قدره..

حمداً مَمْرُوجاً بالشُّكرِ والثناء، حمداً بِكُلِّ ما يحمله القلب من خوفٍ ورجاء..

والصلاة والسلام على من نَمَى فينا حُبَّ العمل والعطاء..

صلاةً على أُمِّي أُمِّ أُمَّةٍ بالعلم والأخلاق بِكُلِّ إِبَاء..

صلاةً أبديةً خالدةً تملأ كل حنايا الأرضِ واتساعِ السَّماءِ..

أما بعد:

فإني أقف الآن أمامكم لأقدم هديةً شُكرٍ متواضعة، اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم وانطلاقاً من الهدى النبويِّ العظيم وقوله ﷺ: {من لا يشكر الناس لا يشكر الله} (1) كان لا بد لي من كلمة شكرٍ وعرfan لكل من قدّم لي يد العون لأتم هذا الشرف العلمي الكبير.

كُلُّ من أمدني بمراجع العلم حرفاً كان أو سطرًا، لكل كلمةٍ ونبضةٍ ودعوةٍ في ظهر الغيب صادقة.

لكلِّ أولئك أقدم شُكري.

للجامعة الإسلامية هذا الصرح الشامخ الذي لا ينحني أبداً..

لكليتي كلية أصول الدين حاملةً شرفِ هذا الدين ورفعته..

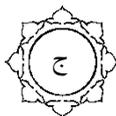
لمن رافق بحثي فصلاً بفصل، سطرًا بسطر، كل جزء فيه وحرف، لمشرفي الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل، الذي غمرني بسعة صدره، وعظيم توجيّهاته، وإرشاداته، فلم تُنثني مسؤولياته العظيمة من مواصلة عطائه ونصائحه فمع كل كلمة شكرٍ تتويجاً شرفٍ بقدر جهده المبارك وعلمه العظيم..

الأستاذان المناقشان:

الأستاذ الدكتور / جمال محمود الهوي.

والدكتور / فايز حسان أبو عمرة.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبو هريرة، (13/322/7939)، قال الألباني: (صحيح).



الذين تفضلا بقبولهما مناقشة رسالتي هذه، وعلى كل إفادة أو نصيحة أو توجيّهة سيقدّمانه إليّ، فشكراً لكما على جهودكما المباركة.

أعضاء الهيئة التدريسيّة الذين تتلمذتُ على أيديهم، وعمادة الدراسات العليا، لكم جميعاً كل شكر على ما بذلتموه في تيسير هذا الدّرب لي ولكل سالكيه..
والديّ العزيزين:

شكراً خالصاً والشكر قليل

شكراً بقدر لا تُوفي حقه كلمات

من كنتم سبباً لوجودي في هذه الحياة

وسبباً وحافزاً لكل نجاحاتي

سبباً لأن أكون في هذا المقام الرفيع

شكراً لكما على كل اهتمام، ولمسة حنان، ودعوة صادقةٍ مدى الأيام.

رؤيّي العزيز:

يا رفيق دربي ورفيق أهدافي، مُشجعي وداعمي دوماً

لك شكر خاص جداً تترفع عنه العبارات.

أخواتي شقيقات الروح والدم، تسنيم وبراءة، الشكر يُتوج بأسمائكن كلما مرّ طيفكن أمامي.

إخوتي محمد وعبد المعزّ وأنس شكراً خالصاً لكل ما بذلتموه من جهدٍ معي.

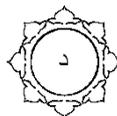
أخواتي في رحاب العلم، وغمار المعرفة، والنبض الصادق:

أختي ابتسام سمور، وأم قاسم الفرا لا تسعني كلمات لشكركن على ما دعمتموني به، على كل حرفٍ وكلمة، كل جهدٍ وكل دعوة صادقة.

مُعَلّمتي نعيمة النّجار كنت خير مثالٍ للمعلم منذ ما يزيد عن عشر سنوات، ولا زلت في تقدّم وارتقاء، وقد نلتُ من رُقيك الكثير فشكراً لك.

لكل من ساهم في إخراج هذا الإنجاز العلميّ.

لكم جميعاً كل شكرٍ وعرّفان



المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، الكريم المنان، الحليم السلام، منزل القرآن على خير الأنام، معزز الأخلاق فيه هداية للناس على مدى الأزمان.

الحمد لله القائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4).

لك الحمد يا رب دوماً أبداً.. لك الحمد يا رب أمداً سرمداً.. لك الحمد يا رب كثيراً طيباً..
والصلاة والسلام على حبيب الرحمن.. نبينا محمد المقدم.. جاء ليخرجنا من ظلمات الجهل والأوهام إلى النور والسلام.. وعلى صحابته الطيبين الأطهار أفضل صلاة وأزكى سلام..
أما بعد:

فانطلاقاً من قول الحبيب المصطفى ﷺ: **{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}**.⁽¹⁾

كان هذا البحث المتواضع قراءة لأخلاق ذوي الأخلاق (الأنبياء، ومن سار على دربهم من الأصفياء، في كتاب رب الأرض والسماء)، نتجول في بستان القرآن لننهل من عبير الآيات ورود الأخلاق فنشتمها ونبالغ في شمها، فيفوح عبقها من سيرة الأنبياء والصالحين الأبرار؛ لتسعد أنفسنا بهذه الثمار في هذا البستان اليانع الممتع.

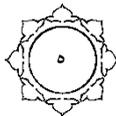
ولِعِظْمْ قَدْرَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ أَوْصَانَا بِأَنْ نَتَّصِفَ بِهَا، وجعلها صفة الأنبياء والمرسلين..

والنبي ﷺ نفسه كان يسأل ربه تعالى حسن الخلق، وهو صاحب الخلق العظيم فكان يقول:
{اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي}.⁽²⁾

فما أحوج المسلمون أن يتخلقوا بهذا القبس القرآني العظيم ليعيدوا للأمة أصالتها بأخلاقها بعدما اجتاحتها أخلاق دخيلة من أقوام آخرين، فتسبب ذلك في ابتعاد المسلمين عن مبادئ ديننا الحنيف.

(1) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب: جماع أبواب من تجوز شهادته، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العقليين المسلمين/ باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليتها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار، (20571/191/10)، قال الألباني: صحيح، (45/112/1).

(2) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: أخلاق النبي وآدابه/ باب: ذكر مرآته ومشطه وتدهينه ﷺ، (527/88/3)، قال الألباني: صحيح.



وفي هذا البحث إن شاء الله - تعالى - أود أن أشدذ القلوب بالأخلاق لأستقيها من شذى الأنبياء والصالحين، وأرسل باقة من الرسائل الجمّة إلى المصلحين في هذا الزمان؛ ليقندي بهم الناس وبذلك يعيدون للأمة الإسلامية عزها ومجدها؛ لأن صاحب الأخلاق الحميدة هو داعٍ إلى الله، وكل داعٍ إلى الله هو مصلح، وكل مصلح إما نبي وإما مؤمن سار على نهج الأنبياء عليهم السلام.

والله تعالى أسأل بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.. وينال رضاه عني إلى يوم الدين.. وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.. إنه سميع عليم..

أولاً: أهمية البحث:

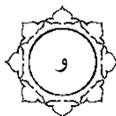
تظهر أهمية هذا البحث في عدة نقاط أهمها:

1. تعلق هذا البحث بأشرف الكتب (القرآن الكريم) الذي هو عزُّ المؤمن.
2. دعوة الأمة الإسلامية إلى كتاب الله والالتزام به قولاً وعملاً.
3. هذا البحث هو رسالة للدعاة إلى الله وللمسلمين جميعاً لأن يتمثلوا الأخلاق في حياتهم.
4. اعتراف كثير من فلاسفة الغرب أن ثبات الأخلاق عند المسلمين هي سبب عزتهم وانتصاراتهم.
5. ارتباط موضوع البحث بواقع الأمة الإسلامية.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

توجد عدة أسباب لاختيار هذا البحث، أهمها:

1. خدمة كتاب الله تعالى عن طريق تفسيره، من خلال الوقوف على آيات الأخلاق عند الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم وتفسيرها.
2. لأن الأخلاق هي غاية بعثة النبي ﷺ، وواقعنا يحتاج إلى تجلية هذا الجانب.
3. لأن الأخلاق الحميدة سبيل الإصلاح فلا يصلح إلا أصحاب الأخلاق.
4. لأن موضوع الأخلاق واسع وشامل في القرآن الكريم والسنة، لذا آثرت الباحثة الحديث عن أخلاق الأنبياء والصالحين في كتاب رب العالمين لأنهم هم قدوة الناس أجمعين.
5. جِدّة الموضوع وحدثته في مجال الرسائل العلمية.



ثالثاً: أهداف البحث:

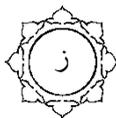
يقصد هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف، منها:

1. ابتغاء مرضاة الله ﷻ فأملني أن يرضى الله عني.
2. أن يسير الدعاة المحدثين إلى الله على نهج أخلاق الأنبياء؛ لأنهم قدوة حسنة للمسلمين.
3. خدمة الدعوة الإسلامية من خلال بيان أخلاق الأنبياء ومن سار على دربهم لأنهم القدوات لمن خلفهم.
4. بث روح الأمل في نفوس الناس بالرجوع إلى كتاب الله كمنهج حياة؛ لأنه كتاب هداية وإرشاد.
5. دعوة للتأمل والتدبر في كلام الله ﷻ؛ للوقوف على الجواهر والدرر المكنونة فيه.

رابعاً: الدراسات السابقة:

الأخلاق من الأساسيات المهمة التي قام عليها ديننا الحنيف، وقد جاء الحديث عن الأخلاق في كتاب الله في ذكر صفات وخصال أنبياء الله الطيبة ومن سار على نهجهم من الأنبياء والصالحين ، وكان ذلك بين التصريح والتلميح والأمر من الله. وبعد البحث في الكتب والمراجع والتمحيص والتتقيب تبين أن هذا الموضوع: (أخلاق الأنبياء والصالحين في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعية) هو من الموضوعات المستجدة في مجال البحوث العلمية حيث لم يتطرق إليه باحث في رسالة ماجستير أو غيرها، فمن تحدث عن الأخلاق في بحثٍ تحدّث عن خلق واحد خصّه بالبحث الموضوعي وفي ذلك رسائل منها:

1. الوفاء في ضوء القرآن الكريم للطالبة وفاء شقورة.
 2. الإحسان في ضوء القرآن الكريم للدكتور رياض قاسم.
- وهناك من تحدث عن الأمن في الأخلاق فكانت رسالة بعنوان:
3. الأمن الأخلاقي دراسة موضوعية قرآنية للطالب علي العجوري.



خامساً: منهج البحث:

وبعد استقراء جميع الآيات القرآنية التي تتحدث صراحة عن أخلاق الأنبياء وتلميحا عن أخلاق الصالحين تتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي، فالبحث عبارة عن دراسة موضوعية لأخلاق الأنبياء ومن سار على دربهم من الصالحين قبل نبينا محمد ﷺ، وقد تتبعت الباحثة الآتي:

1. الدراسة الموضوعية للآيات التي هي موضوع الدراسة.
 2. التحليل العميق للآيات وربطها بالواقع الذي تحياه الأمة.
 3. وضع العناوين الملائمة للفصول والمباحث والمطالب.
- الاستدلال بالآيات القرآنية مضبوطة بالحركات ووضعها بين قوسين مزهرين، وعزوها إلى سورها وفق الضوابط المعروفة بكتابة الآية بالرسم العثماني، وذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن بعد الآية مباشرة.
4. الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع، وتخريجها تخريجا علميا، وذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين وذلك في حواشي الصفحات.
 5. ذكر معاني المفردات الغريبة من كتب غريب القرآن والمعاجم اللغوية وكذلك كتب التفسير.
 6. عمل تراجم للأعلام المغمورين من مظانها.
 7. استخدام منهجية واحدة في التوثيق وهو توثيق المصادر والمراجع في الهوامش، وذلك بذكر اسم الكتاب ومؤلفه فقط، أما البيانات الخاصة بالكتاب كاملة فندعها في فهرس المصادر والمراجع وذلك تخفيفاً عن الحواشي.
 8. أحيانا أقول في الموضوع الواحد انظر، وأذكر أكثر من كتاب وذلك للأمانة العلمية لأنني ربما أخذ الفكرة أو بعض الجمل من مجموع تلك الكتب.
 9. إعداد الفهارس العلمية التي تخص البحث وهي:
- فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأعلام المترجم لهم، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

سادسًا: خطة البحث:

تحقيقًا للأهداف والغايات المرجوة من هذا البحث بإذن الله تعالى فقد تم تقسيمه على النحو التالي:

مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فتشتمل على:

أولًا: أهمية البحث.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثًا: أهداف البحث.

رابعًا: الدراسات السابقة.

خامسًا: منهج البحث.

سادسًا: خطة البحث.

الفصل الأول

معالم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق في الإسلام.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأخلاق لغة.

المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحًا.

المبحث الثاني: فضل ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام.. وفيه مطلبان:

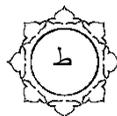
المطلب الأول: فضل ومكانة الأخلاق في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثالث: علاقة الأخلاق بالعقيدة والعبادة.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة.

المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالعبادة.



المبحث الرابع: خصائص الأخلاق في الإسلام.. وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الريانية.

المطلب الثاني: العالمية والشمول.

المطلب الثالث: الإنسانية.

المطلب الرابع: الوسطية (التوازن).

المطلب الخامس: الواقعية.

المطلب السادس: المثالية.

المطلب السابع: الجزاء.

المطلب الثامن: الرقي والتقدم.

الفصل الثاني

أخلاق الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

ويشتمل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: خلق الأمانة.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الأمانة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الأمانة عند أنبياء الله:

أولاً: نوح عليه السلام.

ثانياً: هود عليه السلام.

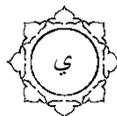
ثالثاً: صالح عليه السلام.

رابعاً: لوط عليه السلام.

خامساً: شعيب عليه السلام.

سادساً: موسى عليه السلام.

سابعاً: يوسف عليه السلام.



المبحث الثاني: خلق الصدق.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الصدق عند أنبياء الله:

أولاً: إبراهيم عليه السلام.

ثانياً: إسحاق عليه السلام.

ثالثاً: يعقوب عليه السلام.

رابعاً: إدريس عليه السلام.

خامساً: يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: خلق الصبر.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصبر وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الصبر عند أنبياء الله:

أولاً: أيوب عليه السلام.

ثانياً: إسماعيل عليه السلام.

ثالثاً: إدريس عليه السلام.

رابعاً: ذو الكفل عليه السلام.

المبحث الرابع: خلق الرحمة والرفقة.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الرحمة والرفقة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الرحمة عند أنبياء الله:

أولاً: محمد ﷺ.

ثانياً: الخضر عليه السلام.

المبحث الخامس: خلق الشكر.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشكر وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الشكر عند أنبياء الله:



أولاً: نوح عليه السلام.

ثانياً: إبراهيم عليه السلام.

المبحث السادس: خلق اللحم.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم اللحم وأهميته.

المطلب الثاني: خلق اللحم عند أنبياء الله:

أولاً: إبراهيم عليه السلام.

ثانياً: إسماعيل عليه السلام.

ثالثاً: شعيب عليه السلام.

المبحث السابع: خلق الوفاء.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوفاء وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الوفاء عند أنبياء الله:

أولاً: إبراهيم عليه السلام.

ثانياً: إسماعيل عليه السلام.

المبحث الثامن: خلق الإخلاص.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإخلاص وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الإخلاص عند أنبياء الله:

أولاً: يوسف عليه السلام.

ثانياً: موسى عليه السلام.

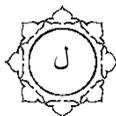
المبحث التاسع: خلق الحكمة.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحكمة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الحكمة عند أنبياء الله:

أولاً: داود عليه السلام.

ثانياً: سليمان عليه السلام.



المبحث العاشر: خلق بر الوالدين.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم بر الوالدين وأهميته.

المطلب الثاني: خلق بر الوالدين عند أنبياء الله:

أولاً: يحيى عليه السلام.

ثانياً: عيسى عليه السلام.

الفصل الثالث

أخلاق الصالحين في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول خلق التقوى عند هابيل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التقوى وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق التقوى عند هابيل.

المبحث الثاني خلق الثبات على الدين عند آسيا (امرأة فرعون) وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بامرأة فرعون وقصة إيمانها بموسى.

المطلب الثاني: من صور عذاب آسيا.

المطلب الثالث: مظاهر الثبات على الدين عند آسيا.

المبحث الثالث خلق إحقاق الحق عند مؤمن ياسين ومؤمن آل فرعون. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إحقاق الحق عند مؤمن سورة ياسين.

المطلب الثاني: إحقاق الحق عند مؤمن آل فرعون.

المبحث الرابع الصدق عند أم عيسى (مريم عليها السلام)

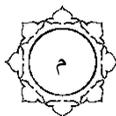
المبحث الخامس خلق الحكمة عند لقمان. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بلقمان.

المطلب الثاني: المقصود بالحكمة لقمان ومصدرها.

المطلب الثالث: نماذج من حكمة لقمان.

المطلب الرابع: وصايا لقمان لابنه.



المبحث السادس خلق العفة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العفة وأهميتها.

المطلب الثاني: العفة عند مريم ابنت عمران.

المطلب الثالث: خلق العفة عند ابنت شعيب.

المبحث السابع خلق الوفاء عند امرأة عمران. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بامرأة عمران.

المطلب الثاني: قصة النذر.

المطلب الثالث: مظاهر الوفاء بالوعد عند امرأة عمران.

المبحث الثامن خلق الشفقة والحنان عند أم موسى وأخته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشفقة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الشفقة عند أم موسى وأخته.

الخاتمة:

خُتِمَ هذا البحث بحمد الله ومِنَّةً منه، وفضل بخاتمة ذكرت فيها الباحثة أهم النتائج التي توصلت إليها، مع بيان لأهم التوصيات، وضم البحث كذلك الفهارس العلمية، وهي:

فهرس الآيات القرنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

مع تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا البحث بحثاً مباركاً مسدداً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه سميع قريب، وبالإجابة جدير، وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله الطيبين أجمعين إلى يوم الدين.. اللهم آمين..



تمهيد

لقد جاء دين الإسلام منهج هداية للبشرية؛ لتصحيح عقائدها، وتهذيب نفوسها، وتقويم أخلاقها، وإصلاح مجتمعاتها، وتنظيم علاقاتها، ونشر الخير والفضيلة بين أفرادها، ومحاربة الشر والرذيلة، وإقصائها عن بيئاتها، وسد منافذ الفساد أن يتسلل إلى صفوفها؛ لذا فقد كانت مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ومعالي القيم، وفضائل الشيم، وكريم الصفات والسجايا؛ من أسمى ما دعا إليه الإسلام، وقد تميز بنظام أخلاقي فريد، لم ولن يصل إليه نظام بشري أبداً.

وقد ارتبطت جوانب الإسلام برباط أخلاقي، مما يؤكد أن الأخلاق هي روح الدين الإسلامي، وأن النظام التشريعي الإسلامي ما هو إلا كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية.

فكان للإسلام سبق في تنظيم حياة البشر كلها؛ لأن الروح الأخلاقية في هذا الدين منبثقة من جوهر العقيدة الصافية؛ لرفع الإنسان الذي كرمه الله، وكلفه بحمل الرسالة، وتحرير العبادة من درك الشر والانحراف، ويؤر الرذائل والفساد إلى قمم الخير والصلاح، وأوج الاستقامة والفلاح؛ ليسود المجتمع السلام والمحبة والوئام، فصلاح الأفراد والأمم؛ مرده إلى الإيمان والأخلاق.

فالأخلاق هي مجد الأمة، ورمز كرامتها، وشعار عزها وسيادتها، وسر نصرها وقوتها.

فالأخلاق ذات أهمية عظيمة ومنزلة عالية من الدين، وحاجة المسلمين للأخلاق في أيامنا هذه حاجة ماسة للعودة إلى هذا النبع الصافي لينهلوا من مورده العذب ويقتبسوا من الخلق الإسلامي الرفيع، ليعودوا إلى عزهم ومجدهم ويتقدموا كما تقدم الأنبياء والصالحين والسلف الصالح الذين سادوا الأمم التي عاصروها بحسن خلقهم وطيب معدنهم.⁽¹⁾

لذلك كانت الأخلاق من أهم أهداف الأنبياء والصالحين، إذ لولا الأخلاق، لما فهم الناس الدين ولما استقامت دنياهم، وكما قال الشاعر أحمد شوقي:

"وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن تولى مضوا في إثرها قُدمًا".⁽²⁾

وقال أيضاً:

"كذا الناس بالأخلاق يبقي صلاحهم ... ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب".⁽³⁾

(1) انظر: مجلة جامعة أم القرى، مجموعة من المؤلفين، (215/3).

(2) الشوقيات، د. يحيى الشامي، (553/2).

(3) ديوان أحمد شوقي، (155/1).

فلا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بأخلاقه، وإلا طغت عليه الحيوانية، يجوب الأرض فساداً بلا معايير ولا ضوابط، فالإنسان الذي تحكمه أخلاقه، يرتقي بها عن الصغائر ليزرع الخير في نفوس البشرية جمعاء، قال أحمد شوقي:

"عَامِلِ الْكُلِّ بِإِحْسَانٍ تُحِبُّ ... فَقَدِيمًا جَمَلُ الْمَرْءِ الْأَدَبُ".⁽¹⁾

وسوف تشير الباحثة إلى بعض الآيات القرآنية التي تحدثت في طياتها عن أهمية الأخلاق في دعوة الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 151).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (آل عمران: 164).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة: 2).

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: 129).

الآيات الثلاثة الأولى - في نطاق الحديث عن أفضلية النبي ﷺ - التي قدم الله فيها التزكية على التعليم، والتزكية هي: طهارة الأرواح من لوثة الشرك، وندس الذنوب، ورجس الشهوات التي تعلق العقل، وتثبط القلب، وذلك بأن تسير النفس البشرية على أوامر الله، راجية رضاه، بما تتعلمه من أحكام، وشرائع، وأخلاق الإسلام.⁽²⁾

فالتزكية هي التربية على حسن الخلق؛ لتدل دلالة واضحة على أن من الأهداف المهمة، لبعثة النبي الأكرم ﷺ، تزكية النفوس وتربية الإنسان، وبلورة الأخلاق الحسنة، في واقعه الوجداني، بحيث يمكن أن يقال: إن تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة التي أشارت إليها الآية المباركة الأولى، يُعد

(1) الشوقيات، د. يحيى الشامي، (706/2).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (210/3) // الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي،

(19/2) // النكت والعيون، الماوردي، (208/1) // في ظلال القرآن، سيد قطب، (139/1).

مقدمة لمسألة تزكية النفوس وتربية الإنسان، والذي بدوره يشكل الغاية الأساسية لعلم الأخلاق، أما الآية الرابعة تتحدث عن دعوة نبينا إبراهيم عليه السلام عندما دعا ربه فقدم التعليم على التربية.

وتشير الآيات أيضاً إلى أن الله بعث رسولاً يُعَلِّمُ الأخلاق، التي هي: رسالة للإنسان لتفعيل عناصر الخير في وجدانه، وأنَّ النقطة المعاكسة للتربية والتعليم هي الضلال المبين، فهي تبين مدى اهتمام القرآن الكريم بالسلوك الأخلاقي للإنسان في حركة الحياة.⁽¹⁾

والخلاصة أن القرآن الكريم اهتم كثيراً بالمسائل الأخلاقية وتهذيب النفوس، باعتبارها مسألة أساسية تنشأ منها وتبنى عليها جميع الأحكام والقوانين الإسلامية، فهي بمثابة القاعدة الرصينة والبناء التحتي، الذي يقوم عليه صرح الشريعة الإسلامية.

فحياة الأنبياء عليهم السلام والصالحين كلّها تبين هذه المسألة، فإنهم كانوا دائماً يدعون إلى الأخلاق، والتّحلي بالفضائل، وهم القدوة الحسنة في سلوك هذا الطريق، ويكفي شرفاً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أن الله تعالى نعته في سورة القلم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4).⁽²⁾

(1) انظر: الايمان والحياة، القرضاوي، موقع الشبكة الدعوية - موسوعة الكتب الحركية.

(2) انظر: المرجع السابق.

الفصل الأول

معالم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثاني: فضل ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام.

المبحث الثالث: علاقة الأخلاق بالعبادة والعبادة.

المبحث الرابع: خصائص الأخلاق في الإسلام.

المبحث الأول مفهوم الأخلاق في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأخلاق لغة.

المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحًا.

المبحث الأول مفهوم الأخلاق في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأخلاق لغة

الخُلُق مأخوذ من مادة (خ ل ق)، والخُلُق: هو الدين والطبع والسجية، والأخلاق جمع خُلُق.⁽¹⁾ وحقيقة الخلق: "أن صورة الإنسان الباطنة - هي نفسه - وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة".⁽²⁾ ويقال أخلق الرجل؛ إذا صار ذا أخلاق، وخالقهم، عاشرهم بخلق حسن، وتخلق بغير خلق تكلفه.⁽³⁾

وذكر الراغب الأصفهاني⁽⁴⁾: أن الخُلُق أصله: التقدير المستقيم، وأن الخُلُق والخُلُق في الأصل واحد، لكن خُلُق بالفتح يعني الهيئات والأشكال والصُّور المدركة بالبصر، وخُلُق بالضم يعني السَّجَايا المدركة بالبصيرة، والخُلُق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين: أحدهما في معنى التقدير، والثاني في الكذب، فالشكل والصورة التي تدرك بالبصر تسمى خُلُقًا، والسجاياء والطبائع التي تدرك بالبصيرة تسمى خُلُقًا.⁽⁵⁾

قال القرطبي: "وَحَقِيقَةُ الْخُلُقِ فِي اللَّغَةِ: هُوَ مَا يَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْأَدَبِ يُسَمَّى خُلُقًا، لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْخُلُقَةِ فِيهِ. وَأَمَّا مَا طُبِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدَبِ فَهُوَ الْخَيْمُ (بِالْكَسْرِ): السَّجِيَّةُ وَالطَّبِيعَةُ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. فَيَكُونُ الْخُلُقُ الطَّبِيعُ الْمُتَكَفُّفُ. وَالْخَيْمُ الطَّبِيعُ الْغَرِيزِيُّ".⁽⁶⁾

(1) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (5/156-158) // لسان العرب، ابن منظور، (86/10).

(2) لسان العرب، (86/10).

(3) انظر: المرجع السابق/ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (1/881).

(4) الرَّاْغِبُ الْأَصْفَهَانِي: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرب بالإمام الغزالي. من كتبه: (محاضرات الأدباء) و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الأخلاق) و(جامع التفاسير). انظر: الأعلام، الزركلي، (2/255).

(5) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (1/296).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18/227).

المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحاً

لقد تباين تعريف الأخلاق لدى العلماء المعنيين بهذا العلم نذكر بعضها على سبيل المثال:

الخلق هو عبارة عن هيئة فطرية راسخة في النفس، ركيزة للأفعال والتصرفات، إما أن تكون طبيعية على الأخلاق التي فطر الله عليها الإنسان، أو تشوبها أخلاق من عادات الإنسان قد تنحاز إلى الصواب.⁽¹⁾

وقال ابن القيم⁽²⁾: "الخلق: ما يرجع إليه المتكلف من نعمته، أي: خلق كل متكلف: فهو ما اشتملت عليه نعوته فتكلفه يرده إلى خلقه كما قيل: إن التخلق يأتي دونه الخلق".⁽³⁾

وقال الماوردي⁽⁴⁾: "الأخلاق: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهّر بالاضطرار".⁽⁵⁾

وقال ابن عاشور⁽⁶⁾: "السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وقد فسّر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يُعرّف أحدُ النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه، فيقال: خُلُق حسن، ويقال في ضده: سوء خُلُق، أو خُلُق ذميم، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخُلُق الحسن".⁽⁷⁾

رأي الباحثة:

وبعد النظر في أقوال العلماء خلصت الباحثة إلى تعريف للأخلاق يجمعها فتقول:

- (1) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (53/3).
- (2) ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي العلامة الكبير المجتهد المصنف المشهور، ولد سنة 691هـ، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وتبحر في معرفة مذاهب السلف، مات سنة 751هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، (137/5) // البدر الطالع، الشوكاني، (659/1).
- (3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (316/2).
- (4) الماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي، الشافعي، ولد سنة 364هـ في البصرة، تصدر للتدريس في بغداد، لقب بقاضي القضاة، توفي سنة 450هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (327/4).
- (5) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، (2/1).
- (6) ابن عاشور: أحمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور: أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابھين، في تونس. مولده ووفاته بها. تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذاً فيه فعميدا. وكان من أنشط أقرانه دؤوبا على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمى (الحماية) وألقى محاضرات في الصربون (بفرنسة) وجامعة اسطمبول وجامعة عليكره في الهند. وشارك في ندوات علمية كثيرة وفي بعض مؤتمرات المستشرقين. وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية. وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة. انظر: الأعلام، الزركلي، (6 / 325-326).
- (7) التحرير والتنوير، (171/19).

الأخلاق هي هيئة راسخة في النفس البشرية، تقودها إلى عمل الخير، أو عمل الشر من غير فكر ولا روية، وقد تكون طبيعية نابعة من أصلها، أو مكتسبة ممن حولها، وإطلاق لفظ الخلق ينصرف إلى الأخلاق الحسنة أو الأخلاق السيئة.

موضوع الأخلاق:

هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلق بعلاقته بربه، أو علاقته مع نفسه، أو علاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد.

المبحث الثاني فضل ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضل ومكانة الأخلاق في الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثاني

فضل ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فضل ومكانة الأخلاق في الإسلام:

أولاً: تعريف حُسن الخُلق:

حُسن الخُلق هو:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ⁽¹⁾: "حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الْأَذَى"⁽²⁾.

قَالَ غَيْرُهُ حُسْنُ الْخُلُقِ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا يَكُونُ مِنْكَ يُوجِبُ عُذْرًا وَكُلَّ مَا يَأْتِي مِنْ اللَّهِ يُوجِبُ شُكْرًا فَلَا تَزَالُ شَاكِرًا لَهُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ سَائِرًا إِلَيْهِ بَيْنَ مُطَالَعَةِ وَشُهُودِ عَيْبِ نَفْسِكَ وَأَعْمَالِكَ، وَالثَّانِي حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ⁽³⁾.

ثانياً: فضل حسن الخلق:

للأخلاق في الإسلام فضل عظيم، وثواب جزيل، لمن تحلى بها إلى يوم الدين:

1- إن الله أثنى على حبيبه محمد ﷺ ومدحه في كتابه بحسن الخلق فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4) والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم، مما يدل على فضل ومكانة حسن الخلق في الإسلام.

2- تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق، جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}⁽⁴⁾، فالنبي ﷺ حصر بعثته في مكارم الأخلاق.

3- إن النبي ﷺ كان يدعو ربه بأن يُحسِّن خُلُقَه - وهو ذو الأخلاق الحسنة - وأن يَهْدِيَه

(1) عبد الله ابن المبارك: أبو عبد الرحمن الحنظلي، ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام وكانت أمه خوارزمية، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (7/ 365).

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم، محمد آبادي، (13/91).

(3) انظر: المرجع السابق.

(4) سبق تخريجه: (ص1).

لأحسنها، وأن يصرف عنه سيئها، ومن ذلك ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَنْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ}.⁽¹⁾ وعن زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ عَنْ عَمِّهِ⁽²⁾ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ}.⁽³⁾

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا نظر في المرأة قال: {اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي}.⁽⁴⁾

هذا هو هدي نبينا محمد ﷺ، يدعو ربه بأن يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وهو صاحب الخُلق العظيم، فحريٌّ بنا أن نَتَّبِعَ هُدْيَهُ، وأن نقتفي أثره، وأن نسير على خلقه صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن القيم -رحمه الله- "جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين خالقه، فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته".⁽⁵⁾

4- الأمر بحسن الخلق:

أ- فقد أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ فقال سبحانه: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ} (المؤمنون: 96)

ب- وأمر به نبيه ﷺ أمته، فعن أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السُّبَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ}.⁽⁶⁾

(1) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الافتتاح/ باب: نوع آخر من الدعاء بين التكبير والافتتاح، (2/ 896/129)، قال الألباني: صحيح، (1/ 45/112).

(2) زياد بن علقمة هو: زياد بن علقمة الثعلبي من غطفان. ويكنى أبا مالك، الكوفي، من الثقات المعمرين، وعنه هو: قُطْبَةُ بْنُ مَالِكٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ. انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (6/ 36) // سير أعلام النبلاء، الذهبي، (5/ 215).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات/ باب: دعاء أم سلمة، (12/ 3515/16)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(4) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: أخلاق النبي وآدابه/ باب: ذكر مرآته ومشطه وتدهينه ﷺ، (3/ 527/88)، قال الألباني: صحيح.

(5) الفوائد، (1/ 53).

(6) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة/ باب: ما جاء في معاشرته الناس، (4/ 1987/355)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن.

5- إن من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْعِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ} (1). (2)

6- إن من حسن خلقه فهو أفضل المؤمنين، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: {أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا} (3).

7- إن حسن الخلق هو البر، فعن النّوّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ (4)، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: {الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ} (5).

8- إن حسن الخلق أكثر ما يدخل الجنة، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: {سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الْفَمُّ وَالْفَرْجُ} (6).

رأي الباحثة:

حسن الخلق هو: قول طيب، وعمل حسن، يُقَدِّمُهُ المسلم لنفسه ولمن حوله، ينال به الحسنات ويدفع عنه السيئات.

(1) الفاحش: الذي يتكلم بالفحش: أي الخارج عن الاعتدال من القول (ورديء الكلام) / البذيء: هو السوء الخلق، وهو ملازم لما قبله لأن الفحش إنما يصدر عنه، انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، خليل شيحا، (5/81).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة/ باب: ما جاء في حسن الخلق، (2002/362/4)، وقال: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

(3) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب: ومن كتاب الرقاق/ باب: في حسن الخلق، (2834/1840/3)، قال الألباني: صحيح.

(4) النّوّاس بن سمعان هو: النّوّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ ابْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فُرْطِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ غَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، صحابي، سكن الشام. انظر: معجم الصحابة، ابن قانع، (3/163) / إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، البكري، (89/12).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الآداب/ باب: تفسير البر والإثم، (2553/1980/4).

(6) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة/ باب: ما جاء في حسن الخلق، (2004/363/4)، وقال: صحيح غريب، وقال الألباني: حسن.

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام

الأخلاق هي صفة الأقيوم، وهو عنوان الأمم، بجمالها ترتقي الشعوب، وبانحدارها تتراجع وتتحدر؛ لذلك دعا الإسلام إلى الأخلاق؛ بل جاءت رسالة الإسلام خالصةً متوجهةً بالأخلاق؛ فقد قال ﷺ: **{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}**⁽¹⁾، وهذا التخصيص للأخلاق في بعثته ﷺ لهو الدليل القاطع على أهميتها وضرورتها في حياة البشرية جمعاء.

ويمكن أن نبين أهمية الأخلاق وضرورتها فيما يلي:

أولاً: تعظيم الإسلام لحسن الخلق:

لم يُعد الإسلام الخلق سلوكًا مجردًا، بل عدّه عبادة يُؤجّر عليها الإنسان، ومجالًا للتنافس بين العباد، وأثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، وأكثر وسيلة لدخول الجنة، وقد يدرك الإنسان بحسن خلقه درجة العابدين الصالحين.⁽²⁾

ثانياً: كثرة عدد الآيات التي تحدثت عن الأخلاق:

إذا تتبعنا البناء الأخلاقي في القرآن الكريم سنصل إلى حقيقة نغفل عنها جميعاً، وهي أن عدد آيات الأخلاق كبير جداً بالقياس إلى عدد آيات الأحكام، حيث بلغ عددها أربعاً وخمسمائة وألف آية، موزعة في مختلف سور القرآن الكريم، وهذا دليل على أهمية الأخلاق في المنظومة الإسلامية، علمًا بأن آيات الأحكام لها دور كبير في تقويم سلوك الإنسان وتحسين أخلاقه.⁽³⁾

ثالثاً: إن الخلق أفضل الجمالين:

الجمال جمالان؛ جمال حسي، يتمثل في الشكل والهيئة والزينة والمركب والجاه والمنصب، وجمال معنوي، يتمثل في النفس والسلوك والذكاء والفتنة والعلم والأدب، كما قال القائل:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُرْتَبْنَا ... إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ⁽⁴⁾

وقد ذكر الله أن للإنسان عورتين، عورة الجسم وعورة النفس، ولكل منهما ستر، فستر الأولى بالملايس، وستر الثانية بالخلق، وقد أمر الله بالسترين، ونبه أن الستر المعنوي أهم من

(1) سبق تخريجه: (ص1).

(2) انظر: الايمان والحياة، القرضاوي، موقع الشبكة الدعوية.

(3) انظر: الأخلاق الحميدة، موقع الشبكة الدعوية.

(4) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، د. علي زينون، (ص:55).

الستر الحسي فقال: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْوَمٍ وَرِدْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: 26). فلباس التقوى هو الستر المعنوي الذي يُجَمِّلُ الإنسان فينعكس ذلك على سلوكه بجميل أخلاقه التي تتبعث من تقواه لخالفه.⁽¹⁾

رابعًا: الأخلاق غاية الأنبياء وهدفهم:

جعل النبي ﷺ الغاية من بعثته الدعوة للأخلاق فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ﴾⁽²⁾.

لقد بين رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب أهمية الخلق، حيث أن الخلق من أهم أسس العقيدة والعبادة، جاء ذلك لبيان أن الخلق هو أبرز ما يراه الناس ويدركونه من سائر أعمال الإسلام، فالناس لا يرون عقيدة الشخص لأن محلها القلب، كما لا يرون كل عباداته، لكنهم يرون أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها، لذا فإنهم سيقومون دينه بناء على تعامله، فيحكمون على صحته من عدمه عن طريق خلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، والنبي ﷺ عندما دعا قومه بداية التكليف أخبرهم عن خلقه وأنه كان صادقًا ولم يُعرف بالكذب عندما نادى فِي قُرَيْشٍ بَطْنًا بَطْنًا فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّ خَيْلًا تُغَيِّرُ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ مِنْ كَذِبٍ قَطُّ فَقَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.⁽³⁾

فالأخلاق هي غاية الأنبياء وهدفهم، فمثلًا نبي الله إبراهيم عليه السلام قال: قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: 78-80)، فإبراهيم أضاف المرض لنفسه، وإن كان المرض والشفاء من الله فاستعمل ذلك لحسن الأدب.

والخضر عليه السلام قال في السفينة: قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: 79)، فقد نسب عليه السلام العيب لنفسه، ولم يقل: (فأراد ربك أن يُعيبها)، وعندما تحدث عن الغلامين نسب الفضل لله فقال: قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ (الكهف: 82)، وهذا غاية في الأدب مع الله.

(1) انظر: طريقنا إلى القلوب، إبراهيم درويش، (24/1).

(2) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبي هريرة، (8595/137/18)، قال الألباني: صحيح.

(3) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (351/1) // دلائل النبوة، أبي نعيم الأصبهاني، (177/1).

خامساً: نظام الأخلاق ربّاني:

يتميز النظام الأخلاقي الإسلامي بكونه نظاماً إلهياً من حيث المصدر، إنسانياً من حيث الموضوع، فالأخلاق في الإسلام هي مبادئ وقواعد حددها الوحي الإلهي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، لذلك لا يكتفي الإنسان بالانتظير في الجانب الأخلاقي بل لابد من تمثّل وتطبيق لهذه الأخلاق حتى يحقق الإنسان الغاية من وجوده في العالم.⁽¹⁾

ونجد أن الكثير من آيات القرآن تدعو العاقل إلى امتثال أمر الله في الأخلاق إما إيجاباً أو نهياً أو إرشاداً قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف:199).

سادساً: الأخلاق طهارة للقلوب:

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشَّمْس:9-10).

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى:14-15).

أي قد أفلح من زكّى نفسه وأناها وأعلاها بالبر والطاعة، وقد خاب من دساها، أي أنقصها وأخفاها بترك عمل البر، وارتكاب المعاصي.

إن التكامل الأخلاقي للفرد والمجتمع هو أساس الصلاح ومحاربة الفساد، هذا لا يتأتى إلا بتزكية النفوس وتطهير القلوب والتربية على محاسن وفضائل الأخلاق.

سابعاً: الأخلاق لين للقلوب وشرح للصدور وفتح للعقول:

حسن الأخلاق وفضائلها سبب في نشر الدين القويم منذ عهد نبينا الأمين إلى يومنا الحالي الميرير، فكم كانت مكارم الأخلاق سبباً في ترقيق قلوب الكافرين، وشرحاً لصدورهم، وفتحاً لعقولهم مما لمسوه من صدق، وأمانة، وإخلاص، ولين تعامل المسلمين معهم حين دخلوا ديارهم سلموهم بلادهم فانتشر بذلك الإسلام العظيم من حسن تعامل التجار المسلمين، وحسن تعامل المجاهدين المسلمين حين دخولهم أرض الكافرين،⁽²⁾ فالله سبحانه تعالى يقول: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:128)، فبالرحمة واللين، والرأفة بالمسلمين، دخل الناس في دين رب العالمين بحسن أخلاق نبينا الكريم.

(1) انظر: الايمان والحياة، القرضاوي، موقع الشبكة الدعوية.

(2) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:16).

ويقول ﷺ: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»

(النحل:125)، بالحكمة وحسن القول، والهدوء والرفقة في الكلام، والإعراض عن أذى الكافرين؛ سبباً في شرح الصدور وفتح العقول في دعوة الناس للإسلام.

ومثال على ذلك:

"كان لسهل بن عبد الله التستري⁽¹⁾ جار مجوسي، وكان قد انبثق من كنيفه⁽²⁾ إلى بيت في دار سهل بئق⁽³⁾، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البئق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحة بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر فيه، فدخل فرأى ذلك البئق والقدر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا ألقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، وإلا لم أخبرك، فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك، فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم مات سهل - رحمه الله-".⁽⁴⁾

قال الماوردي: "إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه

الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب".⁽⁵⁾

(1) سهل بن عبد الله التستري الزاهد، أبو محمد، شيخ الصوفيّة، صاحب كرامات، وكان سبب سلوكه خاله محمد بن سوار، لقي ذا النون وكان له اجتهاد ورياضات، كان من أهل العلم والرواية والجمع، وكان ورعاً فاضلاً زاهداً دينياً، ولم يكن يُحدّث، وكان يكره ذلك، وكان يذهب إلى الانقباض، فلم يزد ذلك إلا رفعةً وعلواً، وكان الناس يكتبون لفظه وحكمه، سكن البصرة زماناً، وعبادان مدة، ومات يوم الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء، النصف من المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (557/6) طبقات الأولياء، ابن الملقن، (ص:232) / النقات ممن لم يقع في الكتاب والسنة، السخاوي، (160/5).

(2) الكنيف: الحمام أو موضع الحاجة.

(3) البئق: القذارة والوساخة.

(4) الكبائر، الذهبي، (82/1).

(5) أدب الدنيا والدين، (299 /1).

ثامناً: تنوع طرق غرس الأخلاق:

إن التربية الخلقية في الإسلام تربية مقاصدية ذات أبعاد وغايات وليست شعارات جوفاء، ولأجل ذلك دعا الإسلام إلى اتباع طرق متعددة لغرس الأخلاق في النفوس بحيث تصبح قناعة لدى الفرد والجماعة، ويكون الحامل على تمثلها هو الاقتناع بأهميتها وجدواها لذلك يجب أن يكون الرقيب الأساسي على حفظها وصيانتها هو الوازع الديني والعمل على تقويم السلوك الفردي والاستعانة بوسائل الوعظ والإرشاد، والتذكير والنصح، والترغيب والترهيب، وإصلاح السر والعلن وهذا هو نهج الأنبياء عليهم السلام ومن سار على دربهم من الصالحين الكرام.⁽¹⁾

فالتترغيب سبيل لغرس الأخلاق، قال ﷺ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: 21)

والوعظ والإرشاد سبيل آخر، قال ﷺ: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: 120) فقصص الأنبياء سبيل للأخلاق.

وقال ﷺ: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: 57) فكتاب الله يفيض بالخير الكثير، من الموعظة والحكمة والرحمة والهدى، في الدعوة إلى الأخلاق، وذلك بالتمسك بهذا الدستور العظيم، والسير على نهج الأنبياء والصالحين.

تاسعاً: الأخلاق ترتقي بالسلوك وتبني الشخصية الإنسانية:

للأخلاق أهمية بالغة في الارتقاء بسلوك الأفراد، حيث لا أثر كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، ويمكن القول إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معانٍ وصفات⁽²⁾ ونجد أن الأخلاق تزرع في نفس الفرد الأمانة والاستقامة والحياء والعفة والتواضع والإخلاص وغير ذلك من الفضائل السامية، وهي بذلك ترسم الصورة الداخلية للإنسان.⁽³⁾

(1) انظر: الأخلاق الحميدة، موقع الشبكة الدعوية.

(2) انظر: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، جمال الزكي، (46/1).

(3) انظر: مكتبة القرضاوي، موضوع/ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم.

وهذه هي الصورة الداخلية الباطنية للإنسان هي قوام شخصيته التي يوزن بها، فلا يوزن الإنسان بطوله أو عرضه أو لونه أو جماله إنما بأخلاقه وقيمه وأعماله وسلوكه الناجم عن تلك الأخلاق، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ (الحجرات:13)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صُدْرِهِ﴾.⁽¹⁾

ويقول الغزالي: "فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب".⁽²⁾

ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتركيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، وأكد الإسلام على صلاح النفوس وبيّن أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذلل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات. قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:11).⁽³⁾

عاشراً: الأخلاق أساس الفلاح والنجاح في بناء المجتمعات الإنسانية:

الأخلاق أساس الفلاح والنجاح لأنها تزكي النفوس، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:9-10).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى:14-15).

تركية النفس تعني: إصلاحها وتطهيرها من الذنوب، وإنماؤها بالعلم والعمل الصالح، وعكس ذلك إفسادها بخذلانها وإخمالها بالكفر والمعصية، وإنقاصها بالجهل والفسوق وقلة العمل الصالح،⁽⁴⁾ ولا شك أن العلم لن يُنَوِّجَ إلا بالأخلاق، وكذلك العمل الصالح لن يستقيم إلا بالأخلاق، فالتركية هنا هي الأخلاق التي تعني: تهذيب النفس باطنًا وظاهرًا.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب/باب: تحريم ظلم المسلم وخذله، (4/ 2564/1986)

(2) إحياء علوم الدين، (2/259).

(3) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (1/ 78) // إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، جمال الدين زكي، (1/ 46).

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، (4/451) // أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (5/316).

فالأخلاق أساس بناء المجتمعات الإنسانية، وهذا ما تشهد به الآيات الكريمة في سورة العصر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (سورة العصر).

فالعمل الصالح المبني على الإيمان بالله، المدعوم بالتواصي بالحق أمرًا ونهيًا عن المنكر، والتواصي بالصبر في مواجهة المحن والابتلاءات والمغريات والموضات التي تبعد الناس عن دينهم، من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا بدينه لا تتال منه أيدي الظلم والسقوط والعدوان، وما حل بالمجتمعات من الفساد والظلم وفقدان الأمن لهو سبيل واضح على إضاعة الأخلاق.⁽¹⁾

الحادي عشر: الأخلاق أساس بقاء الأمم:

إذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم.⁽²⁾

فالأخلاق هي المؤشر على استمرار أمة ما أو انهيارها، فالأمة التي تتهاور أخلاقها يُوشك أن ينهار كيانها، كما قال ﷺ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ تَدْمِيرًا فَدَمَّرْنَاهَا﴾ (الإسراء:16).

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار.⁽³⁾

لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقاً لها، وهي ليست أسسا ومعايير وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه، كما أن الإسلام شرع أحكاماً لحماية المجتمع من التردّي الخلفي الذي يؤدي إلى الهلاك، وذلك واضح في العقوبات الحدية والتعزيرية.⁽⁴⁾

(1) انظر الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 24-25).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص: 25-26).

(3) انظر: الإسلام عقيدة وشرعية محمود شلتوت، الألوكة-المجلس العلمي.

(4) انظر: المرجع السابق.

الثاني عشر: أنها من أسباب المودة وإنهاء العداوة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت:34)

والواقع يشهد بذلك، فكم من عداوة انتهت لحسن الخلق، كعداوة عمر وعكرمة، بل عداوة قريش للنبي ﷺ. يقول ابن حبان⁽¹⁾ - رحمه الله - "الواجب على العاقل أن يتحيب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، وترك سوء الخلق، لأن الخلق الحسن يُذيب الخطايا كما تُذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل".⁽²⁾

الثالث عشر: قابلية للتقويم والتعديل:

وتظهر أهمية الأخلاق أيضًا في أن الإنسان قبل أن يفعل شيئًا أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه، فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضيا مقبولًا انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكشفت النفس عنه وكرهته وأحجمت عنه تركًا كان أو فعلًا .

إن وزن الأفعال والترك بميزان الأخلاق، وصحة هذا الوزن أو فساده، ومدى التزام الإنسان بمقتضاه، وتنفيذه له، كل ذلك يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها من حيث حسنها وسيئها، ومن أجل هذا أكد الإسلام على معاني الأخلاق المطلوبة وشوق إليها، وحث النفوس عليها، وكررها وأعادها حتى يتذكرها المسلم دائمًا وينصبغ بها، فيكون أثرها واضحًا في سلوكه.⁽³⁾

(1) ابن حبان: الإمام العلامة الحافظ الموجود، شيخ خراسان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سهيدي بن هدية بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، التميمي الدارمي البستي، صاحب الكتب المشهورة، كان من أئمة زمانه، وطلب العلم على رأس الثلاثمائة، وأدرك أبا خليفة، وأبا عبد الرحمن النسائي، وكتب بالشام والحجاز ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وولى قضاء سمرقند مدة، وكان عارفا بالطب والنجوم، والكلام والفقه، رأسا في معرفه الحديث. ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، أكبر شيخ لقيه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، سمع منه بالبصرة، ومن زكريا الساجي، وسمع بمصر من أبي عبد الرحمن النسائي، وإسحاق بن يونس المنجنيقي، وسمع ببخارى من عمر بن محمد بن بجير. حدث عنه أبو عبد الله بن مندة، وأبو عبد الله الحاكم. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (183/12) // ميزان الاعتدال، الذهبي، (3/506) // لسان الميزان، ابن حجر، (9/222).

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (20/1).

(3) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (1/79).

الرابع عشر: الأخلاق ضرورة حياتية:

الإسلام لا ينظر إلى الأخلاق على أنها قيم شكلية، أو مثالية كما تنظر إليها الحضارات الأخرى، بل ينظر إليها على أنها ضرورة حياتية لا يمكن للإنسان أن يحقق وجوده الإنساني بدونها، كما أن سعادته الدنيوية والآخروية مرتبطة بها.⁽¹⁾

(1) انظر: الايمان والحياة القرضاوي، موقع الشبكة الدعوية - موسوعة الكتب الحركية.

المبحث الثالث علاقة الأخلاق بالعبادة والعبادة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الأخلاق بالعبادة.

المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالعبادة.

المبحث الثالث

علاقة الأخلاق بالعبادة والعقيدة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الأخلاق بالعبادة

مقدمة:

إن للأخلاق صلة وثيقة بالعبادة، فبها تقوى، وبها تضعف، وبها تزيد، وبها تنقص، "فعلامة الأخلاق بالعبادة واضحة في كتاب الله، وقد بين - سبحانه وتعالى - الأخلاقيات الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون بلا إله إلا الله والأخلاقيات الجاهلية التي ينبغي أن ينبذها المؤمنون، والحقيقة أن التنديد بأخلاقيات الجاهلية قد بدأ من اللحظة الأولى، مع التنديد بفساد تصوراتهم الاعتقادية، واستمر معه حتى النهاية"⁽¹⁾.

ويمكن أن تبرز علاقة الأخلاق بالعبادة من عدة جوانب أهمها:

أولاً: الأخلاق ترجمة عملية للعبادة والإيمان:

"إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري، إنما هي ركيزة من ركائزه، وشاملة للسلوك البشري كله، والمظاهر السلوكية كلها ذات الصبغة الخلقية الواضحة، هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح، لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب؛ إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي أو حين نرى عكسه، أن نتساءل أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك؟"⁽²⁾، قال ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (ال عمران: 31)، فمحبة الله ﷻ لن تتحقق إلا بصدق إتباع أمره، واجتناب نهيه، وهذا هو سلوك مترجم عن الإيمان.

(1) دراسات قرآنية، محمد قطب، (130).

(2) المرجع السابق.

ثانياً: الأخلاق ثمرة للعقيدة الصحيحة:

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (المؤمنون: 1-11).

فالسورة تبدأ بتقرير الفلاح للمؤمنين بهذا التوكيد: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ثم تصف هؤلاء المؤمنين ذلك الوصف المطول المفصل الذي يعني إبراز الجانب الخلقى لأولئك المؤمنين، موحياً إيحاءً واضحاً أن هذه الأخلاقيات من جهة هي ثمرة الإيمان، وأن الإيمان - من جهة أخرى - هو سلوك ملموس يترجم عن العقيدة المكنونة:⁽¹⁾

الصفة الأولى: أول مظهر للمؤمن الصادق كما توضحه الآية: الخشوع في الصلاة؛ وذلك باتصال الروح بالله، وتعلق القلب بالله مما ينبئ عن صدق الصلة الإيمانية الحقيقية بالله.

الصفة الثانية: ثم تذكر الآيات صفة سلوكية أخرى ذات دلالة إيمانية خُلقية، هي أن المؤمنين عن اللغو معرضين، فاللغو لا ينبئ عن نفس جادة. والإيمان الصحيح يُورث في النفس الجد، بما يشعرها من ثقل التكليف وجديته، والجد ليس تقطيباً دائماً ولا عبوساً، ولا ينبئ عن نفس جادة، ولا يستقيم مع جدية الشعور بعظم الأمانة التي يحملها الإنسان أمام خالقه، بينما الإيمان الصحيح يورث.

الصفة الثالثة: للمؤمنين في هذه الآيات الطيبات هي: تأديتهم لحق الله في أموالهم، وهو الزكاة.

الصفة الرابعة: هي التزامهم بأوامر الله في علاقات الجنس فلا يتعدون حدود الله.

الصفة الخامسة: هي التزامهم بأوامر الله في علاقتهم الاجتماعية، فيحفظون الأمانة ويرعون العهد.⁽²⁾

(1) انظر: مكتبة القرضاوي، موضوع/ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم

(2) انظر: المرجع السابق.

ثالثاً: الأخلاق جزء من العقيدة الصحيحة:

"إن الأخلاق في المفهوم القرآني هي لله وليست للبشر، ولا لأحد غير الله: فالصدق لله، والوفاء بالعهد لله، واتقاء المحرمات في علاقات الجنس لله، والعفو والصفح لله، والانتصار من الظلم لله، وإتقان العمل لله كلها عبادة لله، تقدم لله وحده خشية وتقوى، وأملاً في رضاه، نابغاً من الإيمان الصحيح بالله؛ إنها ليست صفقة بشرية للكسب والخسارة، إنما هي صفقة رابحة تعقد مع الله".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمُ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: 151-153).

ذلك هو الميثاق الأخلاقي الشامل الذي يلتزم به المؤمن اتباعاً لصرار الله المستقيم، المتمثل في كل جوانب حياته وعلاقاته بدءاً ببر الوالدين، والحفاظ على النفس والشرف، والمال الحلال، ورعاية الأيتام ووعده من أكل أموالهم وحقوقهم، والالتجاء إلى طريق الله في كل خطوة لأنه سبيل النجاة.

رابعاً: الأخلاق تفصل بين الإيمان والنفاق:

فبالأخلاق يُعلم المؤمن من المنافق⁽²⁾، يقول تعالى: ﴿ مَا سَأَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (المدثر: 42-46).

المذكورون في الآية الكريمة لم يكونوا مُتَّصِفِينَ بِخَصَائِلِ الْإِسْلَامِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ثُمَّ ارْتَقَوْا مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْظَمِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّكْذِيبُ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ.⁽³⁾

(1) انظر: دراسات قرآنية، لمحمد قطب (130).

(2) انظر: خلق المؤمن، مراد، (ص: 14).

(3) انظر: البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، (338/10).

فالذي أودى بهؤلاء في النار أنهم تركوا الصلاة، ثم تهاونوا في أخلاقهم فلم يقيموها على النحو الصحيح؛ فكان خوضهم مع الخائضين الذي قرّبهم لطريق الجحيم وأبعدهم عن طريق الجنة.

خامساً: سوء الأخلاق دليل على التكذيب بالدين، والكفر برب العالمين:

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (سورة الماعون)، فلو تأملنا الصفات التي وردت في الآيات لوجدنا أن أغلبها متعلقة بالأخلاق بعد التقصير في العبادات؛ فالرياء، وظلم اليتيم وغيرها من سوء الأخلاق تجر صاحبها للتكذيب بالدين والشرك بالله.⁽¹⁾

سادساً: سوء الأخلاق تشابه الرياء:

يقول تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: 264)

فالظاهر لبعض الناس أنهم ملتزمون بأخلاق حميدة، وهم في الواقع غير ذلك؛ لأنهم لا يقومون بالطاعات من أجل الطاعة إنما من أجل الرياء؛ فعندما فقدوا خلق الإخلاص وغيره كان الرياء واختلال الظاهر عن الباطن في نيّة الأعمال.⁽²⁾

سابعاً: سوء الأخلاق دليل على ذهاب الإيمان من القلب وغرس النفاق فيه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا إِذَا أُوتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ}.⁽³⁾

كل ما ورد في الحديث هي أخلاق، من عمل بها كان فيه غرس من النفاق، ومن تركها تباعد بينه وبين النفاق، فالكذب، والخيانة، ونقض العهود، وعدم الوفاء كلها صفات ذميمة وقضايا أخلاقية.⁽⁴⁾

(1) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:14).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان/باب: علامة المنافق، (34/16/1).

(4) انظر: خلق المؤمن، (ص:14).

ثامناً: ثبات الأخلاق إن بُنيت على أساس العقيدة:

جعل الإسلام العقيدة أساساً أولاً تصدر عنه الأخلاق القويمة، لذلك نجد الكثير يحثون على الخلق الرشيد والتذكير بالعامل الإيماني قبل الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، وهذا هو منهج الإسلام في الربط بين الأخلاق والعقيدة، وهذا ما نلمسه واضحاً في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على حد سواء.⁽¹⁾

فمن الآيات القرآنية قوله ﷻ:

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: 1).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (الحجرات: 11).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: 12).

ومن الأحاديث الشريفة قوله ﷺ: - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: {لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ} (2).
وَقَالَ ﷺ: {مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُنْتُ} (3).
فخلاصة القول:

إنَّ الأخلاق ثمرة طبيعية للعقيدة الصحيحة، وسلوك مترجم عنها، وبناء الأخلاق على أساس من العقيدة الصحيحة يُشكل ضماناً قوية لثباتها واستقرارها وعدم العبث بها.⁽⁴⁾
وقد عبر الشيخ محمود شلتوت - شيخ الجامع الأزهر سابقاً - عن هذا المعنى أجمل تعبير فقال: "إن العقيدة دون خلق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة".⁽⁵⁾

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 22)

(2) انظر: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحدود/ باب: لا يشرب الخمر، (6772/157/8).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان/ باب: الحث على إكرام الجار والضيف، (48/96/1).

(4) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، القرضاوي، (460/1).

(5) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت، الألوكة - المجلس العلمي.

المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالعبادة

العبادات تتصل اتصالاً مباشراً بالأخلاق، فلا نرى عبادة إلا وللفضائل الحميدة بها علاقة وطيدة، وصلة وثيقة تقويها وتكملها، وتكون سبباً في قبولها عند الله، ورفعها للدرجات. ولبيان مدى ارتباط الأخلاق بالعبادات تُبيَّنُها في النقاط التالية:

أولاً: خطر سوء الأخلاق على العبادات:

إن الأخلاق أهم من العبادات؛ لأن كل العبادات هدفها الأسمى هو ضبط الأخلاق، وإلا فإن العبادات تصبح تمارين رياضية، وعادات يومية، بدلاً من عبادات ربانية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ»⁽¹⁾.

ثانياً: العبادات مطهرة للقلوب من سيء الأخلاق:

أ. الصلاة: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^ط وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ^ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» (العنكبوت:45).

فالمؤمن حينما يُقبل على الله بصلاته لا بد أن تكون صلته دافعاً له إلى محاسن الأخلاق ورادعاً لسيئها؛ لأن الصلاة هي ترجمة لواقع المرء وأفعاله، ولا تصح صلته إلا إذا توجَّت بمكارم الأخلاق.

ب. الزكاة: يقول سبحانه: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ^ط إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ^ط» (التوبة:103).

فالصدقة هي ليست اقتطاع من المال وحسب، إنما هي تنقية للمال والنفس، فالمزكي والمتصدق حينما يُخرج هذا الجزء من ماله ليعطيها لفقير أو محتاج فهو هذا يمثل كل الأخلاق

(1) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، (2418/191/4)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

والمعاني الإنسانية التي ترقى به وبعلاقته بأخيه الإنسان؛ فالمال الذي يُتصدق به هو لكسر كبرياء النفس، وتنقية الروح، وتنمية خلق الرحمة والرأفة والشفقة في قلب المؤمن⁽¹⁾.

ثالثاً: الأخلاق ثمرة للعبادة الصحيحة والإيمان:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: 1-11).

الآيات الطيبات هنا ترسم صورة للشخصية المؤمنة، فجد العبادة أول معلم واضح فيها، فذكر الله في هذه الآيات أوصاف المؤمنين، حيث وصفهم بالخشوع في الصلاة وبالمحافظة عليها، كما وصفهم بفعل الزكاة وهي عبادة، مع الفضائل الخلقية الأخرى.

فالأخلاق ثمرة للعبادة الحية الخاشعة، والعبادة الحية الخاشعة لله من ثمار الإيمان الصحيح.⁽²⁾

رابعاً: كيف نربط بين الأخلاق والعبادة:

أ- الأخلاق نوعاً من العبادة:

أبرز القرآن الكريم جانب العبادة واعتنى بها فقال تعالى في وصف المتقين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: 16-19). فأخلاق المؤمنين عبادة؛ لأن مقياسهم في الفضائل والردائل ومرجعهم فيما يأخذون وما يدعون هو طاعة ربهم، فيأتمرون بما أمرهم به، وينتهون عما نهاهم عنه، فيثيبهم الله على اتباعهم لأمره واجتنابهم لنهيها، فتصبح أخلاقهم عبادة.⁽³⁾

(1) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص: 15).

(2) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، القرضاوي، (460/1).

(3) العبادة في الإسلام، (ص: 123)، الإيمان والحياة، القرضاوي، (ص: 256).

ب- العبادة نوعًا من خُلق المؤمن مع ربه:

أبرز القرآن الكريم جانب العبادة واعتنى بها فقال تعالى في وصف أصحاب العقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (الرعد:19-22). فالعبادة عند المؤمن نوعٌ من أنواع الأخلاق، وهذا ما أوضحتها الآيات الكريمة حيث إن أوصاف أولي الألباب ليس فقط أخلاق مدنية وإنما أخلاق ربانية منها معنى العبادة الحقّة المتوّجة بالتقوى والإخلاص.

فأولوا الألباب يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أو يوصل، ويفعلون ما يؤمرون، ويتزكون ما ينهون عنه، وهم في كل أخلاقهم وسلوكهم يرجون الله واليوم الآخر.

فالأخلاق الربانية عبادة حيث إن باعثها الإيمان بالله، وحاديها الرجاء في الآخرة، وغرضها رضوان الله ومثوبته؛ فالمؤمن حيث يصدق الحديث، ويرعى الفضيلة في سلوكه يبتغي وجه الله تعالى.

هذه هي الأخلاق الربانية التي فيها معنى العبادة لله، أما الأخلاق المدنية فهي كأخلاق الناس الطيبين في عصر الجاهلية، كالكرم والأمانة والصدق والوفاء بالعهد؛ فهذه الأخلاق أخلاق مدنية فقط؛ لأن من يؤدي هذه الأخلاق لا يُؤديها من أجل الله وابتغاء رضوانه؛ لأنهم غير مؤمنين بالله فهي أخلاق تُعبر عن فضائل النفوس في ذلك العصر ولا تعبر عن أصل إيماني.

وخلاصة القول:

أن العبادة عند المؤمن نوع من الأخلاق؛ لأنها من باب الوفاء لله، والشكر للنعمة، والاعتراف بالجميل، والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم، وكلها من مكارم الأخلاق عند الفضلاء من الناس.⁽¹⁾

خامسًا: العبادة تُعلم الأخلاق وتُتمّيها:

حيث إن العبادات منها ما هو خاص يتعلق بالشعائر الدينية، ومنها ما هو عام يشمل أعمال الخير عامة، وعليه يمكن أن نقسم هذا الجانب إلى قسمين:

(1) انظر: العبادة في الاسلام، (ص:123)، الإيمان والحياة، (ص:256)، الوسطية في القرآن الكريم، (ص:94-95) القرضاوي.

الأول: العبادات المفروضة (العبادة بمفهومها الخاص):

مثلاً: عبادة الصلاة، تُربي على خشية الله تعالى والتعلق بالآخرة، وعبادة الصيام تُعوّد الإنسان على الصبر وضبط اللسان، والإعراض عن اللغو، والحج عبادة لا رفث فيها ولا فسوق، وعبادة القرآن تتمي خلق الطهارة وستر العورة والخشوع.... إلخ.

الثاني: العبادة بمفهومها العام (أعمال الخير العامة):

فكل عمل نافع يبتغي به الإنسان وجه الله تعالى، ولا يوجد واحد في الإسلام يمكن أن يخرج عن دائرة الأخلاق فمثلاً: الكلام له أخلاق وهي الإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق وهي الالتزام بحدود الله وحرماته، والتعامل مع الآخرين له أخلاق وهي الوفاء بالأمانة ورعاية العهد، والإنفاق له أخلاق هي التوسط بين التقنير والإسراف، والحياة الجماعية لها أخلاق هي أن يكون الأمر شورى بين الناس، والغضب له أخلاق هي العفو والصفح، ووقوع العدوان من الأعداء يستتبعه أخلاق هي الانتصار أي رد العدوان... وهكذا نستنتج أنه لا يوجد شيء واحد في حياة المسلم إلا وله أخلاق تضبطه ولا شيء واحد إلا وله دلالة أخلاقية مصاحبة له.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:162).

(1) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، القرضاوي، (ص:95-96).

المبحث الرابع خصائص الأخلاق في الإسلام

وفيه ثمان مطالب:

المطلب الأول: الربانية

المطلب الثاني: العالمية والشمول

المطلب الثالث: الإنسانية

المطلب الرابع: الوسطية

المطلب الخامس: الواقعية

المطلب السادس: المثالية

المطلب السابع: الجزاء

المطلب الثامن: الرقي والتقدم

المبحث الرابع خصائص الأخلاق في الإسلام

وفيه ثمان مطالب:

الأخلاق في الإسلام هي تهذيب لكل خُلق نبيل تمارسه البشرية، والأخلاق الإسلامية مصدرها السماء ومرساها قلوب أهل الأرض متى التزموا بها وعملوا بها. وتتميز الأخلاق في الإسلام بعدة خصائص تتمثل في المطالب التالية:

المطلب الأول: الربانية

من ربّ السماء لعباده في الأرض، من كل اسم من أسمائه جل في علاه، خُلق يتحلى به المسلم ويشعر بالتزامه بهذا الخلق أنه مربوطٌ بحبلٍ متينٍ بالسماء وأنه في اتصالٍ دائمٍ مع ربه، هذه الأخلاق التي وضعها ربنا سبحانه للبشرية بها تظهر معالم الشخصية الإسلامية المميزة.

فاسم (الرحمن الرحيم) يعلمنا خلق الرحمة، واسم (القوي) يعلمنا خلق القوة، واسم (الصبور) يتعلم منه خلق الصبر، واسم (الحليم) يؤخذ منه خلق الحلم، وكذلك اسم (العزيز) يتعلم منه عزة النفس، وباقي الأسماء ك (الحق والعدل والكريم والحفيظ والجميل والحي والحكيم) وغيرها مرتبطة بمكونات المسلم متصلة بربه جل وعلا.⁽¹⁾

المطلب الثاني: العالمية والشمول

تتميز الأخلاق الإسلامية بصفة الشمول التي تمنحها عالمية الانتشار، شاملة كل شؤون الحياة فهي ذات صلة بالعقيدة والعبادة والمعاملات ومختلف العلاقات، علاقة الفرد بنفسه وبربه وبالأشخاص والأشياء.⁽²⁾

فالفرد في حد ذاته هو حياة كاملة؛ فالأخلاق الإسلامية تضع قواعدها على كل مناحي هذه الحياة الفردية من جسمه وعقله ونفسه وفكره، ثم تتوسّع دائرة الشمولية للتفرّع بعلاقات مع ربه، مع الناس، مع الحيوان والطير، وحتى مع الجمادات، أيضاً تشمل علاقته مع قوانين الحياة وتدابير الأقدار.

(1) انظر: خلق المؤمن، مراد، (ص: 19-20).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 53-54).

فعندما تسمو الأخلاق بشمولها نجد في الاقتصاد تمثل خُلق الأمانة والنقاء المالي فتتمثل آيات الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (المطففين: 1-5)، وكذلك قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 278).⁽¹⁾

وفي السياسة نجد الكثير من الأخلاق على الصعيد الفردي والجماعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (النساء: 58)، وفي الحديث الشريف قول النبي ﷺ: {الدِّينُ النَّصِيحَةُ}.⁽²⁾

وتظهر أخلاق الفرد بنفسه في الحياء والالتقان والصبر، ويطاعة ربه وشكره تظهر أخلاقه بما يتعلّق بخالقه، والإحسان والتعاون والعدل والأمانة في كل نظام ودولة، ومع كل ديانة هي مثال شمولية الأخلاق لعلاقة الفرد مع الناس، أما عن الأشياء فتتمثل صفة الشمولية في الحفاظ على البيئة ورعاية الحيوان والطير وغيرها.⁽³⁾

ولعل أهم نقطة في هذه الخاصية للأخلاق الإسلامية هي أنها شاملة لتعامل المسلم مع كل الأديان، وفي كل بقعة على الأرض؛ لذا سميت بالعالمية فالمسلم الصادق الأمين صادق أمين مع المسلم، وصادق أمين مع الكافر؛ وبهذا يكون المسلم خير دليل على رسالة الإسلام النقية في كل البقاع.

المطلب الثالث: الإنسانية

لأن الأخلاق الإسلامية شاملة فهي تمتد من كونها أخلاق بشرية إلى أخلاق إنسانية شاملة لعلاقة الإنسان مع الحيوان والجان وكل المخلوقات،⁽⁴⁾ يقول ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159) فالآية تُرشد إلى الرحمة واللين

(1) انظر: مكتبة القرضاوي، موضوع/ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان/ باب: بيان أن الدين نصيحة، (1/ 55/74).

(3) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 58-59).

(4) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص: 21).

التي تكسب القلوب وتهدي العقول، وأن عكس ذلك من الشدة والغلظة يُحقق النفور، وهذه هي قمة الإنسانية في أخلاق الإسلام، ولم يقف الأمر على الإنسان فحسب بل إن الإنسانية تمتد لتشمل الحيوان، فحديث النبي ﷺ: **«دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمِهَا، وَلَمْ تَدَعِهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»**⁽¹⁾ يظهر أن جزاء هذه المرأة النار لسوء معاملتها للهرة، وحديث النبي ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِنْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِنْرَ فَمَلَأَ خَفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»** **«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»**.⁽²⁾ دليل على إنسانية ما تدعو إليه أخلاق الإسلام من الرأفة والشفقة على الحيوان، وأن كان جزاء هذا الرجل الجنة.

فالإسانية هي من أرقى خصائص الأخلاق في الإسلام، حيث يُعرف المسلم من خلقه في مكان، سواء مع الإنسان أو الحيوان، فإنسانيته دليل على حسن خلقه.

المطلب الرابع: الوسطية

الوسطية تعني التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه.⁽³⁾

فالحياة فيها الكثير من المتناقضات التي يسير عبرها الإنسان؛ لذا جاءت الأخلاق الإسلامية بصفاتها الوسطية لتوازن بين هذه التناقضات، فوازنت بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، بين الحقوق والواجبات، ووازنت بين حق الجسم وحق الروح، بين المثالية والواقعية.

فالإسلام ما جاء ليقضي على الجسد أو يضعفه، ولا ليقبض الروح أو يكتبها، فلا الزهد في الحياة يعني العيش برهبانية، ولا الانفتاح فيها يعني العيش بلا دين ولا مسئولية.⁽⁴⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق/ باب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، (4/ 130/ 3318).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب/ باب: رحمة الناس والبهائم، (8/ 6009/ 9).

(3) انظر: انظر: مكتبة القرضاوي، موضوع/ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم.

(4) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص: 22).

وهذه الوسطية تعطي مساحة لاختلاف درجات الناس: قال سبحانه: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذَّنَ اللَّهُ ﴾ (فاطر:32).⁽¹⁾

والوسطية في النفقة، فلا إسراف ولا تقتير، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:67).⁽²⁾

المطلب الخامس: الواقعية

ولأن الإسلام دين حق، فإن الأخلاق التي دعى إليها هي أصل الواقعية، فليس صعباً هو الالتزام بها؛ فأخلاق الإسلام تجري مجرى الواقع في كل أحداث وحياة الإنسان، وجاءت مراعية لظروفه وعلى قدر طاقته، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:286).⁽³⁾

فواقعية الأخلاق في الإسلام دليل قوتها، ومدعاة لتطبيقها دون تزمت أو تكلف، وواقعيته يعني ملائمتها لفطرة الإنسان، فالعمل بالأخلاق يُنمي الفطرة السليمة التي فطر الله الإنسان عليها وبنى بها الكون، فواقعية الأخلاق في الإسلام يعني تطبيقها بتناغم الكون كله مع فطرة الإنسان القويمة.

المطلب السادس: المثالية

والالتزام بأخلاق الإسلام ترقى بالمسلم للمثالية؛ فأخلاق الإسلام مثالية في طرحها، مثالية في تعاملها مع الظروف والأشخاص وكل الأحوال، فيكون المسلم مُتَّصِفٌ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (آل عمران:134)، كما يَتَّصِفُ بِالصَّبْرِ خَاصَّةً فِي وَقْتِ الْخَلَفَاتِ وَالْمَشَاكِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى:43).⁽⁴⁾

فأخلاق المسلم ترتقي وتتعالى في ظل الخلافات عن كل نقصٍ وسوءٍ لتخرج في أجمل صورة وأرقى دليل على مثاليته.

(1) انظر: انظر: مكتبة القرضاوي، موضوع/ ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم.

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:58).

(3) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:22).

(4) انظر: المرجع السابق، (ص:22-23).

المطلب السابع: الجزاء

لأن الأخلاق هي ركيزة أساسية في الإسلام؛ لذا كان الثواب جزاءً لمن يلتزم بها، وكان العقاب لمن يتهاون بها؛ فالفلاح للمؤمن المتمثلة صفاته بمحاسن الأخلاق كما قال الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: 1-11).

إن أكثر الحدود التي يعاقب عليها الشرع الإسلامي في الدنيا، وجُلّ الكبائر عليها العذاب في الآخرة راجعة إلى سوء الخلق، ولعل أكثر مثال يوضح هذه العقوبة على سوء الخلق هو دعاء المظلوم الفاجر على ظالمه؛ فهو دعاء مستجاب لأن الظلم من كبائر الأخلاق⁽¹⁾، يقول ﷺ: ﴿دَعْوَةُ الْمُظْلَمِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾.⁽²⁾

المطلب الثامن: الرقي والتقدم

كما جاء رسولنا متمماً لمكارم الأخلاق فإن نتيجة ذلك هو كل خير ورفعة وتقدم ورقي وحضارة، وعكس ذلك يؤدي بالأمة للهلاك.⁽³⁾

يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: "إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة".⁽⁴⁾

(1) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص: 25-26) // موسوعة البحوث المنبرية، موضوع/ خصائص الأخلاق الإسلامية.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، (14 / 8795/398)، قال الألباني: حسن.

(3) انظر: خلق المؤمن، (ص: 26).

(4) الاستقامة، (2/247).

الفصل الثاني

أخلاق الأنبياء في ضوء القرآن الكريم

ويشتمل على عشرة مباحث:

المبحث الأول: خلق الأمانة.

المبحث الثاني: خلق الصدق.

المبحث الثالث: خلق الصبر.

المبحث الرابع: خلق الرحمة والرفقة.

المبحث الخامس: خلق الشكر.

المبحث السادس: خلق الحلم.

المبحث السابع: خلق الوفاء.

المبحث الثامن: خلق الإخلاص.

المبحث التاسع: خلق الحكمة.

المبحث العاشر: خلق بر الوالدين.

المبحث الأول خلق الأمانة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الأمانة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الأمانة عند أنبياء الله.

المبحث الأول خلق الأمانة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الأمانة وأهميتها:

أولاً: مفهوم الأمانة:

الأمانة لغة:

(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر الإيمان: التصديقُ وضدّه التكذيب. ومن أسماء الله تعالى (المؤمنُ)؛ لأنه آمنَ عباده أن يظلمهم وهو الذي يصدّق عباده وعده فهو من الإيمان التصديق، أو لأنه يؤمنُ عباده من عذابه يوم القيامة فهو من الأمان ضدّ الخوف. والمعنيان متدانيان، والأمنُ: ضدّ الخوف.⁽¹⁾

ومنه قوله ﷺ: ﴿أَمَنَةٌ نُّعَاسًا﴾ (آل عمران: 154)، الذي يثق بكلّ أحد.⁽²⁾

وأصل آمنَ آمنَ بهمّتين، لَبِنَتِ الثَّانِيَةَ، وَالْأَمَنَةُ بِالْتَحْرِيكِ: الْأَمْنُ.⁽³⁾

ويقال: رجل أمنة، للذي يأمنه الناس ولا يخافون غائلته ويطمئن إلى كل أحد. ويقال أمنتُ الرَّجُلَ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وآمني يؤمنني إيمانًا. رجل أمنة، بالفتح، للذي يصدّق بكل ما يسمع ولا يكذب بشيء. والعرب تقول: وإنه لرجل أمان، إذا كان أمينًا، أي: له دين.⁽⁴⁾

الأمانة اصطلاحًا:

أما الأمانة في الاصطلاح فقد تعدد معانيها ولم تقتصر على معنى واحد، فيما يلي عرض لبعض معاني الأمانة اصطلاحًا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "الأمانة الفرائض التي افترضها الله على عباده".⁽⁵⁾

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (21/13).

(2) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (23/1).

(3) انظر: لسان العرب، (21/13).

(4) انظر: تهذيب اللغة، الهروي، (224/5) / مقاييس اللغة، ابن فارس، (138/1).

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (337/20).

قال الكفوي⁽¹⁾: "الأمانة: هي كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم الأسرار".⁽²⁾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأمانة: هي الفرائض التي افترضها الله على عباده".⁽³⁾

قال الدكتور عائض القرني: "الأمانة كل ما ائتمنك الله عليه من قليل أو كثير، فهو سائلك عنه يوم العرض الأكبر".⁽⁴⁾

فالبيت أمانة، والولاية أمانة، والأولاد أمانة، فمن قصر في أمانته أثم ومن وفى بها أجر.

وأبلغ قول للأمانة الأمانة هي: الدين، فالدين يشمل قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فالأمانة هي الإسلام، ورسالته عليه السلام.⁽⁵⁾

رأي الباحثة:

الأمانة هي خلق ثابت في النفس يقود إلى كل خير؛ فهي العلاقة بين ما يكن في النفس وبين حقوق الله، وحقوق العباد، وكافة أمور الحياة، والتي تتمثل في حديث النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْنُوءَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْنُوءٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».⁽⁶⁾

فالدين كله أمانة، فالعبادة أمانة، والصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والصيام أمانة، والحج أمانة، وجوارحك أمانة، ومنصبك وكرسيك أمانة، والمال عندك أمانة، وزوجك وأولادك أمانة، والعلم عند العالم وطالب العلم أمانة، والحكم أمانة.

(1) الكفوي: محمد بن حيدر، أبو الفيض الكفوي: متأذب، من علماء الدولة العثمانية. من أهل (كفه) بالتخفيف. من كتبه (حدائق الاخيار في حقائق الأخبار) في مكتبة أحمصار وهو حكم وأمثال وأشعار بالعربية والتركية، كان في المدينة المنورة وتولى القضاء بالقدس الشريف وتوفي بها سنة (1168). انظر: الأعلام، الزركلي، (6/ 111).

(2) الكلبيات، (ص: 176).

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد، (508/3)

(4) انظر: دروس للشيخ عائض القرني، (6/314).

(5) انظر: دروس للشيخ محمد حسان، (9/115).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة/ باب: الجمعة في القرى والمدن، (893/5/2).

ثانياً: فضل وأهمية الأمانة:

الأمانة خُلِقَ من أخلاق المسلم الأصيلة التي تَنبُع من عقيدته، وتدل على صدق اتجاهه، وهي صفة جامعة للفضائل بأكملها.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الأمانة وفضلها في كثير من آياته، وفصلها في أكثر من موطن، موضعاً قيمتها وعظمتها، وتظهر أهميتها من خلال الأمور التالية:

1- تكرر لفظ الأمانة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (سورة الأحزاب: 72).⁽¹⁾

2- أمانة الرسل في كتاب الله:

أ. إشارة القرآن الكريم أكثر من مرة إلى أن رسل الله يتصفون بهذه الصفة العظيمة ، فقال الله سبحانه عن نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب:

﴿ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (سورة الشعراء: 125 - 143 - 162 - 178 - 107).

ب. وأشار القرآن الكريم إلى أمانة موسى عليه السلام في موضعين:

1- قبل بعثته، قال الله تعالى عنه على لسان ابنة الرجل الصالح: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا

يَتَأْتٍ أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ (سورة القصص: 26).

2- وبعد بعثته إلى قومه حيث قال لهم: ﴿ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (سورة الدخان: 18).

ج. وأشار كذلك إلى أمانة يوسف عليه السلام حيث جاء فيه على لسان الملك ليوسف:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِمَآءِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

(يوسف: 54).⁽²⁾

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 122).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص: 123).

3- لقد كان نبينا محمد ﷺ مثلاً أعلى في فضيلة الأمانة حتى لقبه الناس منذ صغره (بالصادق الأمين)، فكان خلق الأمانة من الأخلاق الظاهرة فيه، حتى كان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر ﷺ وكلّ علي بن أبي طالب ﷺ بردّ الودائع إلى أصحابها.⁽¹⁾

4- وصف خيار الصحابة بالأمانة، فقد وصف الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح بأمين هذه الأمة.⁽²⁾

5- الأمانة مظهر من مظاهر الإيمان، وهي من لوازمه، والخيانة من علامات الجود والكفران، فقد وصف الله بها المؤمنين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون:8).⁽³⁾

6- الأمانة خلق المؤمنين، فعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ اِضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُوا إِذَا اتُّمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾.⁽⁴⁾

7- تعوذ الرسول ﷺ من الخيانة وهي ضد الأمانة، عن أبي هريرة ﷺ، قال: كَانَ رَسُولُ ﷺ يَقُولُ: ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِنَسِ الضَّجِيعِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِنَسِ الْبِطَانَةِ ﴾.⁽⁵⁾

ويقول سبحانه: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴾ (سورة يوسف:52).

8- الخيانة من صفات المنافقين، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ﴿ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ﴾.⁽⁶⁾

9- وصف الله تعالى اليهود إلا قليلاً منهم بأنهم أهل خيانة، فقال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ (سورة المائدة:13)، فمن خيانة اليهود محاولة اغتيال الرسول وقد

(1) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبة، (662/2).

(2) انظر: رجال حول الرسول، خالد ثابت، (175/1).

(3) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:174).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبادة بن الصامت، (22756/417/37)، قال الألباني: حسن.

(5) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: الاستعادة، باب: الاستعادة من الخيانة، (5469/263/8)، قال الألباني:

حسن صحيح.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان/ باب: علامة المنافق، (33/6/1).

كان بينه وبينهم عهد وأمان، وتاريخنا الحاضر أكبر شاهد ودليل على خيانتهم ونقضهم للعهد والمواثيق.⁽¹⁾

10- وأخيراً من أهمية الأمانة، هي وصية المسلمين فيما بينهم يتواصلون بها ويستعينون بالله على حفظها خاصة عندما يكون الإنسان على أهبة السفر يقول له أخوه المودع كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَبِي إِذَا رَأَى الرَّجُلَ وَهُوَ يُرِيدُ السَّفَرَ قَالَ: ادْنُهُ حَتَّى أُوَدِّعَكَ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُودِّعُنَا، ثُمَّ يَقُولُ: {أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِمَ عَمَلِكَ}.⁽²⁾

المطلب الثاني: خلق الأمانة عند أنبياء الله

الأمانة من أخلاق الإسلام العظيم الحميدة؛ بل هي من أساسيات الأخلاق منذ بداية الخلق، فكل مخلوق اصطفاه ربنا لنشر الدين وبث الخير بين الخلائق أجمعين كانت الأمانة من أبرز أخلاقه وصفاته. ومن قبل ذلك جبريل - عليه السلام - أمين الوحي، وصفه الله بالأمانة في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: 192-194).

فالأنبياء والملائكة - خيرة خلق الله - تخلقوا بالأمانة واشتهروا بها فكانت سبيلاً لهم للدعوة إلى الله⁽³⁾، وسنقف مع خلق الأمانة عند الأنبياء الذين وصفهم القرآن الكريم بها.

أولاً: الأمانة عند نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (سورة الشعراء: 105-110).

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:110).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات/ باب: ما يقول إذا ودع إنساناً، (3443/499/5)، وقال: حسن صحيح غريب، وقال الألباني: صحيح.

(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد، (509/3).

ثانياً: الأمانة عند هود عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء: 127-123).

ثالثاً: الأمانة عند صالح عليه السلام:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء: 141-145).

رابعاً: الأمانة عند لوط عليه السلام:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء: 160-164).

خامساً: الأمانة عند شعيب عليه السلام:

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء: 176-180).

الشاهد من هذه الآيات قوله ﷺ: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ وتفسير ذلك:

قامت الباحثة بالتركيز على الآية ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ التي تدل على اتصاف هؤلاء الأنبياء بالأمانة.

فقد كان هؤلاء الأنبياء ﷺ مشهورين بين أقوامهم بالأمانة، وقد عرفوا بأمانتهم وصدقهم، فلما بعثوا إلى أقوامهم قال كل نبي لقومه:

أنا أمين فيكم قبل الرسالة، قد عرفتموني بذلك من قبل؛ فكيف تتهموني اليوم بعكس ذلك، وقد ائتمني الله على وحيه ورسالته.⁽¹⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (19/369) // تفسير الجلالين، المحلى - السيوطي، (7/38).

فأنا يا قوم أمين على الوحي، أمين فيما بعثني الله به فاقبلوا نصحي، وأنا صادق في قلبي وتبليغ رسالات ربي، فلا أخون فيها، ولا أزيد فيها ولا أنقص منها شيئاً مما أمرني ربي بإبلاغه.⁽¹⁾

فكان تكرار لفظ التقوى والوصية به في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وابتغاء الأجر من الله تعالى ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دليلاً على الأمانة.⁽²⁾

سادساً: الأمانة عند موسى عليه السلام:

وقد ورد الحديث عن أمانة موسى عليه السلام في موضعين:

الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة الدخان: 17-19).

فوصفت الآيات موسى بأنه أمين على الوحي حتى يقبلوا نصحه، وأن يكون أميناً على ما أوحى إليه، فلا يخون رسولاً أميناً مبلغاً رسالته دون تعديل أو تغيير.

الثاني: ما ورد على لسان إحدى ابنتي شعيب ﴿قَالَتْ إِحَدْنُهُمَا يَتَأْتِبِ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: 26)

فقد جمعت ابنة شعيب بين أمرين عظيمين ينطوي تحتها معظم الكمالات الإنسانية، وهي القوة والأمانة، والمراد بالأمانة هنا غض البصر وصون النظر، ومصدر هاتين الصفتين ما شاهدت من حاله؛ حيث قال لها أبوها: ما أعلمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جننت معه تقدمت أمامه، فقال لي: كوني من ورائي؛ وبذلك قد استدلت على قوته وأمانته بفراسستها.⁽³⁾

(1) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (662/3) // التحرير والتتوير، ابن عاشور، (158/19).

(2) انظر: الكشف والبيان عن معاني القرآن، الثعلبي، (137/7)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (118/13).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (55/14).

سابعًا: الأمانة عند يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِمَاءٍ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِنْ مَكِينٍ ﴾
(يوسف: 54)

الآية فيها تعليق رباني يلائم ما وصل إليه يوسف عليه السلام بفضل الله جزاء إحسانه في اختياراته وأعماله الصالحة الظاهرة والباطنة، مع وعده بالأجر العظيم يوم الدين، والمعنى إنك في أقرب القرب منا ذو مكانة رفيعة عالية ثابتة مأمون على كل شيء وذلك أن الملك لما رأى صدقه، وأمانته وعفته وفائق ذكائه ورجاحة عقله، وحسن بيانه قال ائتوني به أجعله خالصًا مصطفىً لنفسي فلما كلمه زاد إعجابه به.⁽¹⁾

المكين: أنه صار ذا مكانة: أي مرتبة عظيمة.

الأمين: المأمون على شيء، الموثوق به في حفظه.⁽²⁾

والظاهر أن يوسف عليه السلام كلم الملك كلام حكيم أديب، فلما رأى حسن منطقته وبلاغة قوله وأصالته رأيه رآه أهلاً لتقته وتقريبه منه، فهذه صيغة تولية جامعة مانعة لكل ما يحتاج إليه ولي الأمر من الخصال، لأن المكانة تقتضي العلم والقدرة إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه، وبالقصد يستطيع فعل ما يبدو له من الخير، والأمانة تستدعي الحكمة والعدالة إذ بالحكمة يؤثر الأفعال ويتترك الشهوات الباطلة، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها، وهذا تعريض بأنه يريد أن يستعين به في أمور مملكته.⁽³⁾

وذكر المفسرون أن يوسف لما رأى الملك وكلمه وسمع منه تأويل رؤياه، تحقق له صدق ما توسمه فأعجب به وبعلمه وحسن أدبه فإذا هو يطمئنه على أنه عند الملك ذو مكانة وفي أمان. فليس هو الفتى العبراني الموسوم بالعبودية، إنما هو مكين. وليس هو المتهم المهدد بالسجن، إنما هو أمين، فأعزه وأنزله لديه مكانة عالية وآمنة على نفسه واثمنه على كل شيء، وتلك المكانة وهذا الأمان لدى الملك وفي حماه، وزاده عزًا وشرافًا أن سلمه مقاليد الحكم والسلطة وفوض الأمر إليه في تصريف وإدارة الأمور السياسية والمالية في جميع أنحاء مصر.⁽⁴⁾

(1) انظر: معارج التفكير ودقائق التدبر، حبكة الميداني، (690-686/10).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/13).

(3) انظر: المرجع السابق، (8/14).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (8/3) في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/2005).

فماذا كان موقف يوسف عليه السلام أمام هذا الاهتمام والتقدير من الملك على غير العادة؟

يوسف عليه السلام لم يسجد للملك شكرًا كما يسجد رجال الحاشية المتملقون للطواغيت. كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أول بها رؤيا الملك، خيرًا مما ينهض بها أحد في البلاد وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحًا من الموت ويأمن بلادًا من الخراب، ومجتمعًا من الفتنة- فتنة الجوع- فكان عليه السلام قويًا في إدراكه لحاجة الموقف إلى الخبرة والكفاية والأمانة، وإلى حفظ ذلك بكل عزة وكرامة، فقال: قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:55).⁽¹⁾

إنها الأمانة..

فيجب على الداعية أن يجعل أفئدة الناس حوله تؤمن لقياه، والحديث إليه، ووضع حاجياتهم عنده، فهذه الأمور هي مفاتيح للعلاقات بين البشر- يصلح المفتاح إذا كانت الأمانة عنوانه، ويفسد وتختلط الأمور إذا كان غير ذلك.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/2005).

المبحث الثاني خلق الصدق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الصدق عند أنبياء الله.

المبحث الثاني خلق الصدق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته:

أولاً: مفهوم الصدق:

الصدق لغة:

(ص د ق) الصاد والذال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً، صدق يصدق صدقاً وصدقاً وتصادقاً. ومعناه الصالح، والقوة، والجودة.⁽¹⁾

الصدق: الصدقُ، بالكسر والفتح، وهو بالفتح مَصْدَرٌ نحو (صَدَقَ في الحديثِ)، وبالكسر اسمٌ نحو (رجُلٌ صِدْقِي، صديقٌ صِدْقِي، امرأةٌ صِدْقِي) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقِي﴾ (يونس:93)، وهو ضد الكذب.⁽²⁾

والصدق: مطابقة الحكم للواقع، ومطابقة القول للضمير، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان.⁽³⁾

"وسمي الصدق بذلك لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له وهو باطل".⁽⁴⁾

والجمع صدقٌ، بالضم وبضمّتين: جَمْعُ صِدْقٍ نحو: قَوْمٌ صِدْقٌ، وَجَمْعُ صِدْقٍ نحو: قَوْمٌ صِدْقُونَ.⁽⁵⁾

الصديق: من كثر منه الصدق، فهو دائم التصديق ملازم للصدق.⁽⁶⁾

الصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.⁽⁷⁾

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (193/10)/مقاييس اللغة، ابن فارس، (339/3).

(2) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (900/1).

(3) انظر: التعريفات، الجرجاني، (132/1)/المفردات في غريب القرآن، الراغب، (480/1).

(4) مقاييس اللغة، (339/3).

(5) انظر: القاموس المحيط، (900/1).

(6) انظر: المفردات في غريب القرآن، (480/1)/مختار الصحاح، الرازي، (151/1).

(7) انظر: فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب، محمد عويضة، (292/6).

الصدق اصطلاحًا:

الصدق: هو قول الحق في جميع المواطن.⁽¹⁾

وهو مطابقة الخبر الواقع، هذا في الأصل ويكون في الإخبار فهو إخبار عن المخبر به ما هو عليه مع العلم بأنه ليس كذلك، فإذا أخبرت بشيء وكان خبرك مطابقًا للواقع قيل أنه صدق، وإن كان غير مطابق للواقع فهو كذب.⁽²⁾

"وكما يكون الصدق في الأقوال فهو في الأفعال وهو أن يكون الإنسان باطنه موافقًا لظاهره بحيث إذا عمل عملاً يكون موافقًا لما في قلبه".⁽³⁾

وقيل: الصدق الوفاء لله بالعمل، وحقيقته أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.⁽⁴⁾

وقيل الصدق: "ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب".⁽⁵⁾

والمناقض ضد المؤمن الصادق، وهو الذي يكون كاذبا في خبره أو كاذبا في عمله كالمرائي في عمله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 142)⁽⁶⁾

رأي الباحثة:

الصدق هو أساس الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بالصدق، وهو قول الحق في جميع الأوقات والأحوال، وهو مطابقة السر للعلن في القول والفكر والعمل.

ثانياً: فضل وأهمية الصدق:

الصدق فضيلة الفضائل، والأصل الذي تتفرع عنه جميع الأخلاق الشريفة والصفات الكريمة التي يتحلى بها الإنسان ومن هذه الصفات ما يلي:

- (1) انظر: مجالس التنكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد باديس، (ص: 291).
- (2) انظر: شرح رياض الصالحين، العثيمين، (59/1) // الحديث الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية، (311-312) // الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 63).
- (3) شرح رياض الصالحين، (59/1).
- (4) انظر: التعريفات، الجرجاني، (132/1).
- (5) المرجع السابق.
- (6) انظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي الشحود، (ص: 75).

- 1- أنه مما وصف الله به نفسه، ولا يوصف إلا بصفات الكمال، ومن أصدق من الله قيلاً. قال سبحانه: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران:95)، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (الحجر:64)،⁽¹⁾ قال البيضاوي: "إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه، فإنه لا يتطرق الكذب إلى خبره بوجه، لأنه نقص، وهو على الله محال". (2)
- 2- الصدق خلق دعت إليه كل الرسالات ونادى به جميع الرسل فهو خلق الأنبياء والمرسلين، وسمة من سماتهم الطيبة، وعلامة على إخلاصهم وصلاحهم وحسن قيادتهم للناس وتوجيههم، فإِنَّكَ مَدْحُهُمْ وَأَتَى عَلَيْهِمْ:
- أ- فقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم:41)، قال ابن عاشور: "وُصِفَ إِبْرَاهِيمَ بِالصَّدِّيقِ لِفِرْطِ صَدَقِهِ فِي امْتِنَالِ مَا يَكْفُهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَا يَصْدهُ عَن ذَلِكَ مَا قَدْ يَكُونُ عَذْرًا لِلْمَكْتَفِ، مِثْلَ مَبَادِرَتِهِ إِلَى مَحَاوَلَةِ ذَبْحِ وَلَدِهِ حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي وَحْيِ الرُّؤْيَا، فَالصَّدِّيقُ هُنَا بِمَعْنَى: بَلُوغِ نَهَايَةِ الصِّفَةِ فِي المَوْصُوفِ بِهَا".⁽³⁾
- ب- وقال سبحانه عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (مريم:54).
- ج- وقال سبحانه عن إدريس عليه السلام: ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم:56).
- ح- وقال سبحانه عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ ﴾ (الزمر:33).
- 3- الصدق صفة الأتقياء الأبرار من المؤمنين والمؤمنات، وبه يتميز المخلصون ورواد الإصلاح وقادة التوجيه، قال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ (الحجرات:15). وقال سبحانه: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (المائدة:75).

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:64) // مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (150/93).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (360/1).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (112/16).

- 4- إن الله وعد الصادقين بالمغفرة والأجر والفوز العظيم في الآخرة، قال سبحانه: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:33). كما وبشر سبحانه وتعالى عباده بأن لهم عنده قدم صدق، ومقعد صدق فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس:2). (1)
- 5- أن الله ﷻ يجزي عباده المؤمنين يوم القيامة على الصدق، فقال ﷻ: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ (الأحزاب:24).

6- الصدق أصل البر الذي هو الطريق إلى الجنة، والكذب أصل الفجور الذي هو الطريق إلى النار، (2) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا}. (3)

7- إن الصدق يفتح أبواب البركة والرزق في النفس والمال والأولاد، ويعين على الخروج من كل ضائقة، (4) عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّئَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا}. (5)

8- الصدق منجاة، فإن صدق المسلم فإن الله سبحانه يصدقفه، (6) وهذا ما نجده واضحًا جليًا في قول الصحابي الجليل كعب بن مالك: "أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيْتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (151/93).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:65) // موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي الشحود، ص2.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (6805/2013/4).

(4) انظر: الأخلاق في الإسلام، (ص:65).

(5) أخرجه أحمد في مسنده، مسند حكيم بن حزام، (15327/43/24)، قال الألباني: صحيح.

(6) انظر: دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود، (13/15).

لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَّابُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا".⁽¹⁾

لقد بشر الثلاثة الذين خَلَفُوا⁽²⁾ وصدقوا رسول الله ﷺ عند مرجعه من تبوك، أولئك الثلاثة لم يفعلوا فعل المنافقين ويحلفوا بالكذب، وإنما صدقوا رسول الله ﷺ، فأخبرنا تبارك وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة:118) فنزلت هذه التوبة لهم، وبشروا رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك.

فالصدق منجاة، فيجب على المسلم الصدق مع الله، والصدق مع النفس، والصدق مع الناس، وليحذر من الكذب والمراوغة، فإنه لا يمكن أن يفيد صاحبه أبداً.

فقد جاء المنافقون وكذبوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! لدينا أعداء، ولدينا كذا، ولدينا كذا، فكان عاقبة ذلك أن جعل الله ذلك نفاقاً في قلوبهم، أما أولئك الصحابة الذين صدقوا ربهم سبحانه وتعالى فإن الله تبارك وتعالى قد أنزل عليهم توبة فرحوا بها فرحاً عظيماً.⁽³⁾

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في فوائد قصة كعب: "ومنها عظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين. وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب"⁽⁴⁾.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : "وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب".⁽⁵⁾

وبهذا تظهر فضيلة الصدق وملازمته، وإن كان فيه مشقة على صاحبه، فإن عاقبته خير.

(1) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، (7/6).

(2) الثلاثة الذين خلفوا: كعب بن مالك، مرارة بن الربيع، هلال بن أمية، انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم السهيلي، (327/7).

(3) انظر: دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود، (13/15).

(4) زاد المعاد، (3/590).

(5) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (124/8).

9- دعوة المؤمنين أن يتخلقوا بهذا الخلق الفضيل ف جاء الأمر من الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ مباشرة بعد ذكر قصة الثلاثة الذين تاب الله عليهم.

10- إن الصدق والكذب هو المميز بين المؤمن والمنافق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ}.⁽¹⁾

11- الصدق مما اتصف به أئمة أهل السنة والجماعة حينما أخذوا يبلغون وحي الله تبارك وتعالى إلى من بعدهم، القرآن محفوظ، لكن السنة النبوية دخل فيها الكذب، فقام أئمة أهل السنة والجماعة ليتحروا في هذا الجانب تحرياً شديداً، ويكون المقياس الأساسي والشرط الأكبر لقبول الرواية مع الشروط الأخرى هو أن يكون الرجل صادقاً.

12- أن الصادق تنزل عليه الملائكة، والكاذب تنزل عليه الشياطين،⁽²⁾ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ (الشعراء: 221-223)

13- أن الصدق في النيات والأقوال والأعمال يُوصل صاحبه إلى مرتبة الصديقية التي هي المرتبة التالية لمرتبة النبوة، مع الحرص على تحري الصدق دائماً في ذلك كله. يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- في وصف أهل هذه الطبقة:

"ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علماً وعملاً ودعوة الخلق إلى الله على طريقتهم ومنهجهم. وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69)، فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة وهؤلاء هم الريانيون، وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين

(1) سبق تخريجه، (ص: 43).

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (74/20) // موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي الشحود، (ص: 73).

الرسول وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك".⁽¹⁾

14- أن الصدق مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين، قال الله تعالى: ﴿ فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ^ع وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج:30-31) ولهذا حذر النبي ﷺ من شهادة الزور لأنها عنوان للكذب، بل وعدلت شهادة الزور الاشرار بالله مرتين.

15- أن الصدق ركن الشهادة الخاصة عند الحكام التي هي قوام الحكم والقضاء والشهادة العامة في جميع الأمور، والشهادة خاصة بهذه الأمة التي ميزت بها في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:143).

16- الصدق مطلب أساسي في حياة المؤمن، وهو رأس الفضائل وأهمها، وأجمل الصفات الحميدة التي يتحلى بها المؤمن وتزيده هيبته ووقاراً، ولذلك أثنى الله تعالى على من لزمه فصار خُلُقًا، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^ط وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (الحديد:19).

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- عن عظم منزلة الصدق وشدة حملة: "وأیضا فحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل، والرياء والكذب خفيف كالريشة لا يجد له صاحبه ثقلا البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق، بلا تعب ولا مشقة ولا كلفة، فهو لا يتقلب تحت حملة ولا يجد ثقله".⁽³⁾

إن الصراع الذي نشاهده اليوم بين الحق والباطل، بين دعاة الشر والكفر ودعاة الخير والإصلاح؛ ليحتم على أهل الخير حرصهم الشديد على الصدق مع الله سبحانه واليقين بنصره وثوابه؛ حتى لا تنزل الأقدام وتضعف العزائم إزاء هذا البلاء العظيم والمعركة الشرسة بين الحق

(1) طريق الهجرتين، (ص:614).

(2) انظر: الصدق الفضيلة الجامعة، (ص:11) // مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (144/93).

(3) مدارج السالكين، (276/2).

والباطل، وهذه المواطن هي التي يتميز فيها الصادقون عن سواهم، قال تعالى: ﴿الْمَرَّ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ط فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 1-3)، وكذلك أيام الفتن لا يثبت فيها إلا الصادقون العالمون العاملون، وهم الذين يشرفهم الله ﷻ بنصره، ويمكن لهم في الأرض، ويجعلهم أئمة، ويجعلهم الوارثين.⁽¹⁾

المطلب الثاني: خلق الصدق عند أنبياء الله

أولاً: الصدق عند إبراهيم وإدريس عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 41).

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 56).

امتدح الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم وإدريس عليهما السلام بالصديقة، وفيه إشارة بهذا اللفظ إلى المبالغة في الصدق التي تحتل أن تكون باعتبار الكم، أو باعتبار الكيف، أو الأمرين معاً؛ لأن المقام مقام مدح ومبالغة فجاز ذلك في حق أنبياءه سبحانه.⁽²⁾

ولم يقتصر هذا المدح على لفظ الصديقة فحسب؛ بل مدحه بلفظ آخر عظيم في حق الأنبياء إنه لفظ -نبيًا- فنيباً خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له أي كانا عليهما السلام جامعين بين الوصفين.⁽³⁾

مقام الصديقة تحت مقام النبوة ليس بينهما مقام، فقد تلازم الصديقة النبوة (صديقاً نبياً)؛ لكن مقام الصديقة أقل درجة من مقام النبوة، كما يخبرنا ﷻ في قوله: فالصديق أنزل من النبي، فكل نبي صديق وليس كل صديق نبي؛ لأن ملاك أمر النبوة الصدق.⁽⁴⁾

(1) انظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي الشحود، (ص: 73).

(2) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي، (413/8-414).

(3) انظر: المرجع السابق/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، (5/ 270، 266).

(4) انظر: إرشاد العقل السليم، (5/ 270) // سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، (9/13).

قرب مرتبة الصديقة من النبي شرف عظيم:

لما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى كونه نبياً؛ فأبي شرف لمن وصف بالصديق أن يتبع النبي في المكانة والقرب من الله.

فمن الدعاة والصالحين من أطلق عليهم لفظة الصديقة واشتهروا بين الناس بذلك فهنيئاً لهم قرب منزلتهم من أنبياء الله، فهم من حملوا رسالة أنبياء الله بصدق ودعوا إلى ربهم بلسان صدق وعمل صدق فمن أمثال هؤلاء وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي اشتهر بهذا الوصف بين الصحابة. (1)

الصديق:

هو الملازم في الصدق في كل ما يأتي ويذر، ولم يكذب قط، فهو الكثير التصديق من كثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، فصدق الله في وحدانيته، وصدق أنبيائه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت، وقام بالأوامر فعمل بها فحقق صدقه بفعله وصدقته بقوله واعتقاده. (2)

أ- الصدق عند إدريس عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:56).

سمي إدريس لكثرة دراسة الكتب، وهو أول الرسل بعد آدم عليه السلام، وقد وصفه الله تعالى بالصديق لعظمة الأمانة التي حملها وصدقها وأداها على حقها، إنها النبوة. (3)

ب- الصدق عند إبراهيم عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:41).

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (188/3) // روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، (459/8).

(2) انظر: لباب التأويل، (188/3) // روح المعاني، (413-414) // إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، (266-270).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، (270/5) // روح المعاني، (423/8) // البدء والتاريخ، المطهر المقدسي، (11/3).

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض المدح لأنبياء الله تعالى في سورة مريم بعد ذكر الذين ضلوا طريق الهداية حينما نسب فريق الألوهية إلى الجماد، وفريق آخر نسبها إلى الحي، والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن الفريق الثاني أضل.

أي أن المراد أنذرهم ذلك وائل على الناس قصة إبراهيم فإنهم ينتمون إليه فعساهم بسماع قصته وصدقه في دعوته إلى خالقه يتوبون إلى الله ويقبلون عن هذه الذنوب.⁽¹⁾

وفي هذه الآية "أمر للحبيب أن يذكر الخليل وما من الله تعالى به عليه من أحكام الخلّة ليستثير المستعدين إلى التحلي بما أمكن لهم منها".⁽²⁾

ثانياً: الصدق عند إسحاق ويعقوب:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۗ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۗ ﴾ (مريم: 49-50)

قبل أن نفسر قوله: ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۗ ﴾ سنرى مناسبة الآية بما سبقها من الآيات حتى يتضح تفسيرها.

أولاً: قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۗ ﴾

إبراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة ربه سنيئاً طوال، فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا بالله ، فقال إبراهيم عليه السلام إنني ذاهب إلى ربي سيهدين، اعتزل إبراهيم عليه السلام الدار والمكان بالهجرة إلى الأرض المباركة، واعتزل صنيعهم الذي يصنعون من عبادة الأوثان، وترك ما يعبدون من دون الله.

فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بقلب مؤمن متيقن بالله أنه لن يضيعه متوكلاً عليه راجياً الخير منه، فقال: وأدعو ربي الذي لا يخيبني إذا دعوته، ما خسر على الله أحد ترك الكفار والفسقة لوجهه فعوّضه خيراً مما كان عليه.

فلما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله، آنسنا وحشته من فراقهم وأبدلناه بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق وابن ابنه يعقوب بن إسحاق

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، (8/413-414).

(2) روح المعاني، (8/459).

زيادة في العطاء، فأقر عينه بهم فكانوا أولاد كرام على الله، أنبياء مؤمنين صالحين، وذلك من أعظم النعم في الدنيا والآخرة، فخير خلق الله من الناس هم الأنبياء.

قال بعض الحكماء: "من هاجر لطلب رضا الله ﷻ، أكرمه الله ﷻ في الدنيا والآخرة، كما أن إبراهيم ﷺ هاجر من قومه في طلب رضى الله تعالى عنه، فأكرمه الله تعالى بإسحاق ويعقوب عليهما السلام والثناء والعمل الصالح".⁽¹⁾

إبراهيم ﷺ أكرمه ربه بالنبوة وفضل على الناس بذلك، فجزاء لفضله وإحسانه في الدعوة إلى خالقه، وتحمله الصعاب في الدعوة، أكرمه ربه بأبناء أنبياء مثله عوضاً له عن قومه الذين لم يؤمنوا به وأسأعوا إليه، وهبةً له بعد طول عمر وحسن عمل، فبعد أن كبر في السن وكانت امرأته عقيماً، جاءت البشرية من عند ربه الكريم المنان ذو الفضل والإحسان على عباده المؤمنين الصالحين الأبرار فكان من عظيم البشارة أنه سيطل في عمره حتى يرى ابن ابنه يعقوب بن إسحاق، ومن عظيم البشارة أيضاً أنهم أنبياء مثله فقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أي أكرمناهم جميعاً بالنبوة.⁽²⁾

"تخصيص إسحاق ويعقوب بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الأفراد".⁽³⁾

ثانياً: قال الله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾:

الهبة هنا من فضل الله وإنعامه على إبراهيم ﷻ وأبنائه فكانت الهبة نوعان من النعم:

النعمة الأولى: ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾:

هبة الله بالرحمة: فهي تشمل ما بسط لهم -إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونسلهم- من سعة الرزق في المال والأولاد، والعمل الصالح كما قال ﷻ لعمر بن العاص: ﴿يا عمرو، نعما بالمال الصالح للرجل لصالح﴾،⁽⁴⁾ وتشمل النبوة والكتاب، وتشمل العزة والكرامة، والعلو في الأرض

(1) بحر العلوم، السمرقندي، (376/2-377).

(2) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (218/6) // الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (22/3) // بحر العلوم، (376/2-377) // التفسير الوسيط، الواحدي، (186/3) // إحياء التراث، البغوي، (237/3) // التفسير الوسيط، الزحيلي، (1483/2) // تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (241/7).

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (13/4).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عمرو بن العاص، (17763/299/29)، صحيح على شرط مسلم، انظر:

المستدرک على الصحيحين للحاكم، (2130/3/2).

ورراثتها، والإمامة فيها، وتشمل العلم والمنزلة والشرف في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة، فكانت الرحمة نعمة عامة في كل أمر ديني ودنيوي أوتوه.

النعمة الثانية: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾:

أي حققنا لهم الثناء الباقي عليهم إلى آخر الأبد، وأكرمناهم بالثناء الحسن وجعلنا لهم ذكرًا جميلًا بين الناس إلى يوم القيامة، وأبقينا لهم ثناء حسناء رفيعًا من بعدهم في أهل الأديان فكل أهل دين يتولونهم - دين إبراهيم وذريته - ويثنون عليهم ويفتخرون بهم؛ لأنهم رسلا الله كراما على الله، أوفياء بعهود الله.⁽¹⁾

ثالثًا: الصدق عند يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (يوسف:46).

الآية الكريمة وصفت يوسف عليه السلام بالصدق، أي العظيم الصدق وهي صفة مبالغة تدل على التكثير، وقد وُصِفَ يوسف عليه السلام بالصدق في أكثر من موطن منها في سورة يوسف نفسها قال سبحانه: ﴿وَأِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ﴾ (يوسف:51).⁽²⁾

كان يوسف عليه السلام مثال المؤمن الصادق الذي يُؤثر مرضاة الله، وإعزاز دينه على أي شيء في الوجود، فقد حرص يوسف عليه السلام على تمسكه بدينه وبمرضاة ربه رغم كل الظروف والمحن التي مر بها.⁽³⁾

ومنذ أن وصفه الملك بالصدق، ووثق به لأن يُفسر رؤياه، وتبيَّنت له براءته، وظهرت له حكمته في طلب تمحيص أمر النسوة، كذلك تبينت له كرامته وإباؤه، وهو لا يتهافت على الخروج من السجن، ولا يتهافت على لقاء الملك. وأي ملك؟ ملك مصر! ولكن يقف وقفة الرجل الكريم المتهم في سمعته، المسجون ظلمًا، يطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه الذي يمثله قبل أن يطلب الحظوة عند الملك.

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (208/18) // تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (241/7) // أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (13/4).

(2) انظر: معارج التفكير ودقائق التدبير، حبنكة الميداني، (680/10).

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (285/12).

هنا تجلت فيها شخصية يوسف مكتملة ناضجة واعية، مطمئنة ساكنة واثقة، فنجد أن شخصية يوسف عليه السلام تفردت أما الأحداث، وتوارت تمامًا شخصيات الملك والعزيز والنسوة والبيئة. ويمهد السياق القرآني لهذا التحول في القصة وفي الواقع بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا جُرْأُولَ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يوسف: 55-56).⁽¹⁾

كان هذا جزاء الصدق، التمكين في الأرض بعلو مقامه وشأنه في الدنيا عند الملك خاصة والناس عامة، والأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة.
إنه الصدق..

بابٌ كبير من أبواب القلوب؛ لأنه يمهد طريقاً طيباً مريحاً بين الطرفين، فالصادق طرفٌ محبوب مؤتمنٌ عليه، ولأن هدف الداعية هو صيد القلوب وهدايتها؛ فعليه بالصدق قولاً وعملاً، الصدق في كل نية وفي كل خطوة كي يجد كل القلوب له مَرَحَبَةً.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/ 1956-2004)

المبحث الثالث خلق الصبر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصبر وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الصبر عند أنبياء الله.

المبحث الثالث

خلق الصبر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصبر وأهميته:

أولاً: مفهوم الصبر:

الصبر لغة:

الصَّبْر: هو الحبس والكف،⁽¹⁾ وقال الراغب: "الامساك في ضيق"،⁽²⁾ "والصبر نقيض الجَزَع".⁽³⁾

والصبر مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدلّ بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة: الأول الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة، وقد اشتقَّ الصَّبْر المراد التحدث عنه هنا من المعنى الأول وهو الحبس.⁽⁴⁾

أي حَبَسَ النَّفْسَ عَنِ الْجَزَعِ وضبطها واحتمال الضيق والألم والابتلاء والمحن، يقال صبر فلان عند المصيبة صبراً أو صبر على الأمر أي: حبس نفسه وتجلد، واحتمل ولم يجزع، وانتظر في هدوء واطمئنان.⁽⁵⁾

وصبَّرتَه أي: أنا حبسته، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ (الكهف:

28)، أي احبس نفسك معهم، وصبَّرتَه: أمرته بالصبر، وأصبرتَه: جعلت له صبراً، وصبرت نفسي عن ذلك الشيء أي: كفتها، ويقال: حبست نفساً صابرة أي صبرتها.⁽⁶⁾

(1) انظر: تهذيب الأسماء والصفات، النووي، (172/3) // المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس،

(331/1) // المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (505/1).

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (474/1).

(3) المخصص، أبو الحسن المرسي، (91/4).

(4) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (329/3) // مختار الصحاح، الرازي، (172/1).

(5) انظر: مختار الصحاح، (172/1).

(6) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (438/4) // المخصص، (91/4) // مختار الصحاح، (172/1).

صبير القوم أي: هو الذي يصبر لهم ومعهم في أمورهم.⁽¹⁾

الصبر اصطلاحاً:

"حبس النفس عن أشياء وأشياء".⁽²⁾

"حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله، فيحبس الإنسان نفسه عن التسخط والتضجر والملل".⁽³⁾

"حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب".⁽⁴⁾

"الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا} مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره، ولئلا يكون كالمقاومة مع الله تعالى".⁽⁵⁾

"قال الجاحظ⁽⁶⁾: الصبر عن الشدائد خلق مركب من الوقار والشجاعة".⁽⁷⁾

(1) أساس البلاغة، الزمخشري، (534/1).

(2) القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين، (109/2).

(3) شرح ثلاثة الأصول، العثيمين، (ص24).

(4) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والالحاد، صالح الفوزان، (ص134).

(5) التعريفات، الجرجاني، (131).

(6) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ، المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف، كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وقدم بغداد، فأقام بها مدة. وقد أسند عنه أبو بكر بن أبي داود الحديث، وهو كنانة قيل صليبة، وقيل مولى. وكان تلميذ أبي إسحاق النظام. وذكر يموت بن البصري العالم المشهور؛ صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في المزرع أن الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، ثم القيمي، وهو أحد النساء وكان جد الجاحظ أسود، وكان جمالا لعمرو بن قلع. وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، من تصانيفه: الحيوان والبيان والتبيين. قيل له (الجاحظ) لأن عينيه كانتا جاحظتين. انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (12/ 208-209) // وفيات الأعيان، ابن خلكان الإربلي، (3/ 471) // الأعلام، الزركلي، (5/ 74) // ميزان الاعتدال، الذهبي، (3/ 247).

(7) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد، (6/ 2441).

رأي الباحثة:

الصبر هو: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله، حيث يتمثل فثبات القلب مع الله والوقوف مع البلاء بحسن أدب وتلقي ذلك بسعة صدر وترحيب نفس ويظهر ذلك بحبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب. فحبس النفس يكون على ثلاثة أمور:

على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله، فالصبر قوة من قوى النفس في مقاومة الابتلاءات والأهوال والآلام الحسية والعقلية التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها، فيكون الصبر على المحن والشدائد حيث أنه خلق مركب من الوقار والشجاعة.

ثانياً: فضل وأهمية الصبر:

1- الصبر صفة من صفات الله الحسنى، فالله ﷻ هو الصبور الذي لا يعامل العصاة بالانتقام والعقاب.⁽¹⁾

2- الصبر صفة من صفات المجاهدين عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:200).

3- الصبر صفة الأنبياء والمرسلين، فقد اشتهر به:

أ- أيوب عليه السلام عندما مدحه ربه ﷻ في قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ ءَوَابٌ﴾ (ص:44).

ب- إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام في قوله سبحانه: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء:85).

4- الصبر خلق أهل العزيمة القوية وأصحاب الإرادة الماضية، فأكمل الخلق أصبرهم؛ لأن كمال الصبر بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كان له عزيمة ولا ثبات عليها فهو ناقص، فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، فكان الصبر من عزم الأمور كما ذكر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:43).

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:122).

والعزم هو عقد القلب على امضاء الأمر، والمحافظة على ما يؤمر الإنسان به، ويقول ﷺ أيضاً:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:17).⁽¹⁾

5- لقد جعل الله جزاء الصبر عظيماً:

أ- أهل الصبر يستحقون البشري فقال ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:155).

ب- قال ﷺ: ﴿وَلَيْنَ صَبْرَتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل:126).

ت- الله ﷻ يحب أهل الصبر فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:146).

ث- الله ﷻ مع الصابرين فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:153).

ج- وعد الله ﷻ الصابرين بمضاعفة الأجر، فقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا

صَبَرُوا﴾ (القصص:54).

ح- يبين الله ﷻ أن ثواب الصابرين غير محدود وهو يحقق لصاحبه الفوز بمعية الله والفوز

بجناحه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:10).⁽²⁾

6- الصبر من دلائل صدق الإيمان، فإنه لا يصبر لحكم الله إلا مؤمن به مقدر لحكمه، مبتغ

لثوابه في الدنيا والآخرة⁽³⁾، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرُ ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:1-3).

يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"⁽⁴⁾، ثم رفع صوته

فقال: "ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له"⁽⁵⁾.

"وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، فمن لم يصبر على العمل بشرائع

لم يستحق اسم الإيمان بالإطلاق، والصبر على العمل بالشرائع نظير الرأس من جسد الإنسان الذي

لا تمام له إلا له"⁽⁶⁾.

(1) انظر: أنواع الصبر ومجالاته، القحطاني، (ص:12).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:123)/ أنواع الصبر ومجالاته، (ص:10).

(3) انظر: عدة الصابرين، ابن القيم، (ص:90).

(4) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (284/9)، قال الطبري: صدق علي.

(5) فتاوى ابن تيمية، (4/10).

(6) شرح صحيح البخاري، (284/9).

7- الصبر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم:5)، والنبى ﷺ يصف حال المؤمن بين الصبر والشكر فيقول: {عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ} (1).

8- الصبر هو السبيل إلى الرئاسة في الدنيا والإمامة في الدين، فأحق الناس بالتحلي بخلق الصبر من يتصدى للقيادة العامة والإمامة الدينية وذلك لكثرة ما يعرض له من أمور تتطلب منه صبرًا، فإذا لم يصبر، فشل وسقط عن مرتبة القيادة أو الإمامة فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:24). (2)

9- الصبر مفتاح الفرج، وضمان النصر والمدد من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران:125). (3) وقال النبي ﷺ: ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ﴾. (4)

10- الصبر ضياء، ونور يهدي صاحبه إلى اتباع الطريق المستقيم، (5) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: ﴿الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنَّ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَّكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَيَبِيعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا﴾. (7)

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق/ باب: المؤمن كله خير، (4/2295/2999).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:123).

(3) انظر: المرجع السابق.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، (5/18/2803)، قال الألباني: صحيح.

(5) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:63).

(6) أبي مالك الأشعري: اختلف في اسمه، فقيل: الحارث بن الحارث؛ وقيل: عبيد؛ وقيل: عمرو؛ وقيل: كعب بن عاصم؛ وقيل: عبيد الله؛ وقيل: كعب بن كعب؛ وقيل: عامر بن الحارث بن هاني بن كلثوم، نزل الشام، روى عنه: عبد الله بن معانق الأشعري، عبد الرحمن بن غنم الأشعري، وشريح بن عبيد الحضرمي. انظر: تحفة الأشراف، المزني، (8/294-280/9-281)/ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، (7/23-27).

(7) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة/ باب: فضل الوضوء، (1/203/223).

المطلب الثاني: خلق الصبر عند أنبياء الله

أولاً: الصبر عند أيوب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: 83-84).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخَذُ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 41-44).

أيوب عليه السلام من أنبياء الله الذين تخلقوا بخلق الصبر وكانوا خير مثال له، وسُمِّي أيوب بهذا الاسم لكثرة إيباه إلى الله في جميع أحواله في السراء والضراء، والشدة والرخاء.⁽¹⁾
بيان تفسير الآيات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

واذكر أيوب حين دعا ربه فقال رب إني أصابني الجهد والتعب والعناء، ومسني الشيطان بوسوسته.⁽²⁾

ذكر ابن عباس: أن الشيطان استأذن الله تعالى أن يسلمه على ماله فسأطه، ثم أهله وداره فسأطه، ثم جسده فسأطه، ثم قلبه فلم يسأطه.⁽³⁾ فأصابه النصب والألم في جسده، والعذاب في ماله بهلاكه، والبلاء في أهله بالسقم والأمراض وهلاكهم.

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (211/8)

(2) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (169/3) // لطائف الاشارات، القشيري، (514/2) // الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (247/3).

(3) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (101/5) // تفسير العز بن عبد السلام، (85/3).

قال له جبريل: (اضرب الأرض برجلك) فضرب عليه السلام، فنبتت عين من تحت قدميه فاغتسل منها فأذهب الله ظاهر دائه فبرئ وخرج منها صحيحاً، ثم ضرب برجله الأخرى فنبت أخرى عين ماء عذب فشرب منها فأذهب الله باطن دائه فارتوى. (1) ذكر العلماء: لما اغتسل أيوب عليه السلام عاد إليه جماله وكماله ورد الله عليه لحمه وشعره وبشره. (2)

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ^ط﴾:

استجاب الله سبحانه لطلب عبده أيوب مع أنه لم يدع ربه صراحة؛ بل كان دعاءه تلميحاً واستحياءً من ربه الذي أفاض عليه من النعم فخاف أن يكون بدعائه صراحة الاعتراض على أمر الله وقضائه. وقد أزال الله ما به من الهم والغم والشح والسقم وأعاد إليه الخير والنعم.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرُبْ بِهِ وَلَا تُحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ^ط﴾:

كرامة وإحساناً لنبي الله أيوب الذي كان خير مثالٍ يقتدى به في الصبر، رد الله إليه أهله. إن هذه الكرامة التي حلت بنبي الله أيوب كانت رحمة ونعمة من الله سبحانه ذو الفضل والنعم. قال المفسرون في ذلك أقوالاً كثيرة نذكر منها قول ابن عباس: أن الله سبحانه ردهم عليه بأعيانهم ووهب له مثلهم من غيرهم. (3)

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرُبْ بِهِ وَلَا تُحْنُتْ﴾:

كان أيوب عليه السلام قد حلف في مرضه على زوجته أن يضربها مائة جلدة، فرحمة بامرأته لبراءتها وصبرها على خدمته، أمره أن يضربها ضربة واحدة مجمعة بعيدان الحشيش أو الشجر الرطب توفية ليمينه. (4)

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (169/3) النكت والعيون، الماوردي، (101/5) لطائف الاشارات، القشيري، (258/3).

(2) انظر: النكت والعيون، (102/5).

(3) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (248/3).

(4) انظر: النكت والعيون، (103/5) لطائف الاشارات، (259-258/3).

أي لتبقى قصة أيوب عليه السلام في الصبر والثبات على الطاعة والبلاء أروع مثالٍ يُفْتَدَى به المؤمنين المطيعين، ولتكون عبرة لذوي العقول.

مظاهر الصبر عند أيوب عليه السلام:

سبب هذه الرحمة التي وهبها الله ﷻ لنبيه أيوب عليه السلام، وهذا العطاء، وهذا المنّ العظيم {الصبر}، فالله ﷻ مدحه وأثنى عليه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ وهذا مصداق قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

1- قوله ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

وأنت أرحم الراحمين: أي الأكثر رحمة، في هذا المقام لم يقل أيوب عليه السلام يارب ارحمني بل حفظ أدب الخطاب فقال: أرحم الراحمين، وهنا تعريض منه بمسألة الرحمة، إذ أثنى على ربه بأنه الأرحم وسكت.

فيه فائدة: أن المؤمن الراضي بقضاء الله هل يسأل ربه؟

قيل: يُعرض! مثل قول أيوب ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.⁽¹⁾

2- دعائه عليه السلام لم ينافي الصبر:

قوله: "مسنى الضر" لم يسلبه اسم الصبر حيث أخبر عنه سبحانه بقوله: "إنا وجدناه صابراً" لأن الغالب كان من أحواله الصبر.

وذكر المفسرون لما لم يكن قوله: (مسنى الضر) على وجه الاعتراض على التقدير - بل كان على وجه إظهار العجز - فلم يكن ذلك منافي لصفة الصبر، ولم يكن هذا القول منه على جهة الشكوى؛ إنما كان من حيث الشكر "أني مسنى الضر" الذي تخصص به أوليائك، ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني بهذا، ولكن برحمتك أهلتني لهذه النعم. ولأنه كان مرة واحدة، وقد وقف الكثير من الوقت ولم يقل مسنى الضر فكان الحكم للغالب.⁽²⁾

وذكر العلماء: لم يكن جزءاً من أيوب مع ما وصفه الله به من الصبر وكان هذا الدعاء منه، فقد قال الله: فاستجبنا له على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق.

(1) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (247/3-248).

(2) انظر: لطائف الاشارات، القشيري، (514/2) / (259/3).

وفيه فائدة: أنه من اشتكى إلى الله فليس بجازع، ومنه قول يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي

وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:86). فهذا لا يُحمل على الجزع.⁽¹⁾

3- قوله: ﴿ إنا جعلناه صابراً ﴾:

هذا مدح عظيم لنبي الله أيوب، أي صابراً على البلاء الذي ابتليناه فلا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول في معصيته.⁽²⁾

4- قوله: ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ ﴾^ط:

ثم يمدحه ربه على هذا الصبر والثبات، بل إن صبره كما يقول العلماء: الوقوف مع الله بحسن الأدب، فيقول سبحانه: ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ ﴾^ط أي: نعم العبد في صبره؛ لأنه خرج من البلاء على الوجه الذي دخل فيه.⁽³⁾

5- قوله: ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾:

ويثني عليه فيقول: ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي: على طاعة ربه مقبل وإلى رضاه رجاع، فلم يشغله البلاء عن الله ولو للحظة واحدة.⁽⁴⁾

ثانياً: الصبر عند إسماعيل عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

هذه الآية المباركة تمدح نبي الله إسماعيل عليه السلام بأنه كان نعم المؤمنين الصابرين على البلاء العظيم من رب العالمين:

فإسماعيل عليه السلام قد صبر على ابتلاء ربه له بالذبح فاستسلم لله وقال: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات:102).

(1) انظر: تفسير الوسيط، الواحدي، (247/3).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (214/21).

(3) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (102/5) // لطائف الاشارات، القشيري، (259/3).

(4) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (169/3).

فيقول إسماعيل عليه السلام ﴿يَتَأْتٍ﴾ في مودة وقربى، فشج الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أذبه ومودته لأبيه إبراهيم⁽¹⁾.

فإسماعيل عليه السلام هو أعلم الناس بأبيه فهو يشعر بقلب أبيه ويحس به بأن الرؤيا إشارة وأن الإشارة أمر، وهذا يكفي لأن ينفذ أمر ربه دون تردد أو ارتياب؛ إنها روعة الإيمان والطاعة والتسليم لله⁽²⁾.

فيقول إسماعيل عليه السلام بلسان المؤمن المحب لله: ستجدي يا أبت إن شاء الله صابراً من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، سأصبر وأحتسب ذلك عند الله، فقد وفقه الله للصبر وأعانه عليه⁽³⁾. هذا هو حال الإنسان الذي وصف بالحلم والصبر والامتثال لأمر الله والرضا بما أمر الله⁽⁴⁾.

إنه عليه السلام يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب؛ ولكن في رضا ويقين، إنه قمة الأدب مع الله ومعرفة حدود قدرته وطاقته⁽⁵⁾.

إنه قمة الأدب مع الله ومعرفة حدود قدرته وطاقته في احتمال الموقف، والاستعانة بربه على ضعفه إذ لا قوة له على ذلك إلا بالله وقد نسب الفضل لله الذي أعانه على التضحية ومساعدته على الطاعة ثم إنه لم يندفع إلى هذا الأمر اندفاع الشجاع البطل آخذاً لنفسه إلى الخطر دون مبالاة، إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه وأصبره على ما يراد به فقال ستجدي إن شاء الله من الصابرين⁽⁶⁾.

"يا للأدب مع الله ويا لروعة الإيمان ويا لنبل الطاعة ويا لعظمة التسليم"⁽⁷⁾ عند نبي الله إسماعيل عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2994/5).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: البحر المحيط، الأندلسي، (116/9).

(4) انظر: في ظلال القرآن، (2994/5).

(5) انظر: المرجع السابق.

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (76/21) / الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (102/15) / البحر المحيط، (116/9) / تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (28/7) / في ظلال القرآن، (2994/5).

(7) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2994/5).

ثالثاً: الصبر عند إدريس وذو الكفل:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء: 85).

هو خلق الصبر الذي تمثل ذكره في هذه الآية في قصص هؤلاء الرسل.

أما إدريس عليه السلام فلأنه أول نبي أعطي النبوة بعد آدم وشيخ عليهم السلام، ويوصف بأنه المعلم الأول للبشر الذي خط بالقلم، وعلمهم الزراعة والصناعة، ونظر في علم الفلك والحساب، فالنبوة والعلم يحتاجان إلى صبر.⁽¹⁾

وأما ذو الكفل فهو كما ورد في رواية الطبري، "عن عبد الله بن الحارث: أن نبيا من الأنبياء، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: تقوم الليل، وتصوم النهار، ولا تغضب فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقلب، فضرب الباب ضربا شديدا، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلا فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده، فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب، فسمي ذو الكفل".⁽²⁾

"فصبر ذو الكفل على ما تكفل به: أَنْ يَصُومَ النَّهَارَ، وَيَقُومَ اللَّيْلَ، وَلَا يَغْضَبَ".⁽³⁾

فهؤلاء هم أنبياء الله الذين كان الصبر دليلهم فصبروا على الطاعات لما التزموا بها، وصبروا على المعاصي لما اجتنبوها، استحقوا أن يدخلهم الله في رحمته حيث قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فجملة إنيهم من الصالحين تغليل لإدخالهم في الرحمة، وتذليل للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين.⁽⁴⁾

(1) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (71/1) في ظلال القرآن، (4/ 2392).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (18/ 507).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، (22/ 176).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (17/ 128).

ثانياً: قال الله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾:

أما عن قول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾

فشهادة الله أن هؤلاء الأنبياء من الأخيار لما صبروا عليه في حياتهم، فنالوا رحمة الله، وقد تم ذكرهم ليتأمل الناس صبرهم على كل ما لاقوه من أقوامهم التي كذبتهم؛ فالصبر هو طريق الرسالات، وطريق الدعوات، والله لا يدع عباده الصابرين حتى يعوضهم من صبرهم خيراً ورحمة وبركة، وما عند الله خير. وهان كيد الكائدين وتكذيب المكذبين إلى جانب رحمة الله ورعايته وإنعامه وإفضاله.⁽¹⁾

إنه الصبر..

الصبر خُلِقَ اجتمع عليه كل الأنبياء، ولولا صبرهم لما بُلّغت كلماتُ الله، فصبرٌ على الابتلاءات، وصبر على كلام القوم وسخريتهم؛ فأجدر بالداعية أن يتحلّى بالصبر لأنه الحل الوحيد لكل أزمة؛ لأن طريق الصعاب لا نخرج منه بتخطيه إنما بالعبور خلاله متحلين بكل صبرٍ وشجاعة.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 3022).

المبحث الرابع خلق الرحمة والرأفة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الرحمة والرأفة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الرحمة عند أنبياء الله.

المبحث الرابع خلق الرحمة والرفقة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الرحمة والرفقة وأهميتها:

أولاً: مفهوم الرحمة:

الرَّحْمَةُ لُغَةً:

الرحمة: من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رِقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرفقة، يقال من ذلك رحمه رحماً يرحمه إذا رِقَّ له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرَّحْمَةُ بمعنى، وقد رحمته وترحمت عليه أي: (رحمةُ الله عليه أي: دعا له بالرَّحْمَةِ)، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً. ومنها الرَّحْمُ: وهي علاقة القرابة، واسترحمه: سأله الرَّحْمَةَ.⁽¹⁾ وقد تطلق الرَّحْمَةُ، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَةُ، كإطلاق الرَّحْمَةَ على الرِّزْق والغيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾ (يونس:21).⁽²⁾

والرحمة المغفرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:52).

والرَّحْمُ بالضَّمَّة: الرَّحْمَةُ، قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف:81).⁽³⁾

وأمَّ الرَّحْمِ مَكَّة، أي: أصل الرحمة، والمرحومة: من أسماء مدينة رسول الله ﷺ.⁽⁴⁾

الرَّحْمَةُ اصطلاحاً:

قال الراغب: "الرَّحْمَةُ رِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرِقَّةِ

المجرَّدة، وتارةً في الإحسان المجرَّد عن الرِقَّةِ".⁽⁵⁾

(1) انظر: الصحاح، الجوهري، (207/6) // مقاييس اللغة، ابن فارس، (498/2) // لسان العرب، ابن منظور،

(230/12) // مختار الصحاح، الرازي، (120).

(2) انظر: لسان العرب، (230/12).

(3) انظر: مختار الصحاح، (207/6).

(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (112/1) // النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (210/2).

(5) المفردات في غريب القرآن، (347/1).

قال ابن عاشور: "هي رِقَّةٌ في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه".⁽¹⁾
 "وهي رِقَّةٌ في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور
 الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السُّرور حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس أو
 يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر".⁽²⁾
الرحمن والرحيم من أسماء الله الحسنى:

الرحمن والرحيم من أسماء الله ﷻ التي سمى بها نفسه، وهما اسمان مشتقان من الرحمة،
 وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم. قال ابن عباس: "هما اسمان رقيقان أحدهما أرق
 من الآخر"، أي أكثر رحمة.

والرحمن خاص لله لا يسمى به غيره، ولا يوصف. والرحيم يوصف به غير الله تعالى،
 فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن.⁽³⁾

ثانياً: مفهوم الرأفة:

الرأفة لغة:

الرأفة: مأخوذة من مادة (ر أ ف) التي تدلّ على الرِّقَّة والرَّحمة، وهي مصدر قولهم: رؤف
 به يرؤف ورئف يرأف رأفة ورأفة، وَ(رَأَفَ) بِهِ يَرَأْفُ (رَأْفًا) أَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا
 تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور:2)، والرأفة أشدُّ الرَّحمة، وقيل هي أرقُّ من الرَّحمة، والرأفة من
 الله: دفع السوء. رأف بالضعيف: رحمه وعطف عليه.⁽⁴⁾

دُو الرأفة والرأفة شِدَّة الرَّحمة فَهُوَ بِمَعْنَى الرَّحِيمِ مَعَ الْمُبَالَغَةِ فِيهِ.⁽⁵⁾

(1) التحرير والتنوير، (26/21).

(2) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، (3/2).

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (2/210) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (ص: 28) تفسير القرآن، السمعاني، (1/33).

(4) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (471/2) مختار الصحاح، الرازي، (ص: 115) معجم وتفسير لغوي لمفردات القرآن، حسن الجمل، (161/2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (812/1) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (2/837).

(5) المقصد الأسنى، الغزالي، (ص:140).

الرأفة اصطلاحًا:

قال الكفوي: "الرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة هي رفع المكروه وإزالة الضرر".⁽¹⁾

الرؤوف من أسماء الله الحسنى:

الرؤوف من أسماء الله ﷻ التي سمى بها نفسه، فهو الرؤوف أي: المنتاهي في الرحمة بعباده لا راحم أرحم منه ولا غاية وراء رحمته.⁽²⁾

قال ابن الأثير: "هو الرؤوف بعباده العطف عليهم بألطافه".⁽³⁾

الفرق بين الرحمة والرأفة:

قال ابن عاشور: "والرأفة: رقة تتشأ عند حدوث ضرر بالمرؤوف به. يقال: رؤوفٌ رحيم. والرحمة: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطل".⁽⁴⁾

وقال القفال⁽⁵⁾: "الفرق بين الرأفة والرحمة: أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور: 2) أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأما الرحمة فإنها اسم جامع، يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الانفصال والإنعام".⁽⁶⁾

(1) الكلبيات، (471/1).

(2) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد، (5/ 2014).

(3) النهاية في غريب الحديث، (2/176).

(4) التحرير والتنوير، (10/239).

(5) القفال: محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، أبو بكر، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، أصله إصبهاني، درس على أبي العباس ابن سريج، وهو أمام عصره بما وراء النهر، وكان إماماً، وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء. وعنه انتشر مذهب (الشافعي) في بلاده. مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون)، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام. من كتبه (أصول الفقه) و(محاسن الشريعة) و(شرح رسالة الشافعي)، مات في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. انظر: طبقات الفقهاء، الشيرازي، (ص: 112) // الأعلام، الزركلي، (6/ 274) // تاريخ نيسابور، النيسابوري، (ص: 106) // فتح الباب في الكنى والألقاب، ابن منده، (ص: 119).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي، (4/93).

وذكر الكفوي: أن الرَّحْمَةَ هي أن يوصل إليك المسار، والرَّأْفَةُ هي أن يدفع عنك المضار، فالرَّحْمَةُ من باب التزكية، والرَّأْفَةُ من باب التَّخْلِيَةِ، فذكرت الرَّحْمَةَ بعد الرَّأْفَةِ في القرآن مطردةً لتكون أعم وأشمل.⁽¹⁾

وقيل: الرَّأْفَةُ أشد وأبلغ من الرَّحْمَةِ، وقيل: الرَّحْمَةُ أكثر من الرَّأْفَةِ، والرَّأْفَةُ أقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم.⁽²⁾

وقال ابن الأثير: "الرَّأْفَةُ أرقّ من الرَّحْمَةِ، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرَّحْمَةُ قد تقع في الكراهة للمصلحة".⁽³⁾

ثالثاً: فضل وأهمية الرحمة:

الرحمة في الإسلام شاملة لكل كائن حي، وهي التي تجمع بين الرواح، وتؤلف بين القلوب، فمن فضائلها ما يلي:

1- الرحمة صفة من صفات الله تعالى فهو الرحمن الرحيم، وقد كتبها سبحانه وتعالى على نفسه فقال سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام:54).⁽⁴⁾

2- وصف الله القرآن بأنه رحمة وهدى وبشرى، فقال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:89).

3- الرحمة صفة من صفات الرسول ﷺ، وخلق عظيم من أخلاقه كانت السبب في تجمع الصحابة من حوله، وحبهم له والدفاع عنه بل وحب الآخرين له، وإقبال الناس على الإسلام، قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:128).⁽⁵⁾

4- الرحمة صفة من صفات المؤمنين يقول سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:29).

(1) انظر: الكلبيات، (741/1).

(2) انظر: الفروق اللغوية، (ص:196)، معجم الفروق اللغوية، العسكري، (ص:246).

(3) النهاية في غريب الحديث، (176/2).

(4) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:230).

(5) انظر: المرجع السابق.

ويؤكد النبي ﷺ على خلق الرحمة، عن أبي هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {جعل الله الرحمة من مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه}.⁽¹⁾

إن رحمة المسلم لغيره من الخلق توجب رحمة الله له: فالنبي ﷺ يقول: {إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ}.⁽²⁾

المطلب الثاني: خلق الرحمة عند أنبياء الله

أولاً: الرحمة عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:128).

من كمال شفقتة ورحمته ﷺ بأمتة قال الله تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال عنه سبحانه في موضع آخر ما يؤكد هذا المعنى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:107).

بيان تفسير الآية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾:

أبها الناس هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا عائد إليكم. إنه محمد ﷺ أكثركم طاعة لله، أشرفكم نسباً، أفضلكم خلقاً.⁽³⁾

ثانياً: قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾:

من عظيم رحمته وشفقتة وعطفه بأمتة أنه ﷺ يعز عليه مشقتكم، ويشق عليه ضرركم، بل ويخاف على المؤمنين من دخول النار، فهو ﷺ لا يهمله إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم فلا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب/ باب: جعل الله الرحمة في مائة جزء، (6000/8/8).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد/ باب: ما جاء في قوله تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين، (7448/133/9)،

(3) انظر: النكت والعيون، المارودي، (417/2).

تهتموا بما عنتم ما دتمتم قائمين على سنته متبعين هديه فإنه ﷺ لا يرضيه إلا دخولكم
جنة ربكم. (1)

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾:

فمن كمال حرصه ﷺ وحبّه لأمته ورقة قلبه عليهم أن علم النَّاس أجمعين أركان الإسلام
وشرائعه وفرائضه ونوافله، فكان بالناس رؤوفاً رحيماً، وعلى تعليمهم حريصاً أميناً. (2)
فهو الذي أرشدهم إلى أفضل الأعمال، وهداهم إلى أحسن الأخلاق، وألزمهم ما فيه النجاة في
الآخرة، والأجر والثواب في الدنيا. (3)

فهو ﷺ حريص على هداية الناس أجمعين ووصول النفع والخير الدنيوي والآخروي إليهم،
حريص على ضالهم أن يهديه الله، حريص على من لم يسلم أن يسلم، فتعظم رغبته ﷺ في أن
تؤمن أمته كلها وتدخل جنة ربها. (4)

رابعاً: قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

ذكر الحسن بن الفضل (5): أن الله لم يجمع لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا النبي
محمد ﷺ فإنه قال عنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وقال عن نفسه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج:65)، (6)

فكان من خلقه الكريم الذي نوّه الله إليه ما جلبه عليه من الرحمة والرأفة المتناهية في الشفقة
والرقة. (7)

- (1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/302) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، التميمي، (ص:255).
- (2) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (5/1).
- (3) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (1/107-174).
- (4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (12/98) الجامع لأحكام القرآن، (8/302) فتح المجيد، (ص:255).
- (5) الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل بن علي أبو علي الأدمي الفقيه الشافعي الأصبهاني، من أهل أصبهان فقيه محدث واعظ شاعر، كان فقيهاً فاضلاً كاملاً، له معرفة بالحديث، مات بأصبهان سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. انظر: معجم ابن عساكر، (1/251) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، السخاوي، (3/383) تاريخ الإسلام، الذهبي، (11/590) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (7/66).
- (6) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (8/302) البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، (5/534) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (5/431) فتح المجيد، (ص:255).
- (7) انظر: الرسل والرسالات، العتيبي، (ص:81).

فكلمة (الرؤوف) تعني المبالغ في الرحمة والشفقة.⁽¹⁾

فمن كمال رحمته ﷺ وعظيم شفقته أنه «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ»، «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ»،

«رُؤُوفٌ رَحِيمٌ» بالمؤمنين الطائعين لله رب العالمين.⁽²⁾

قال سبحانه: «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»، ولم يقل {رؤوف رحيم بالمؤمنين} فإن الآية

تخالف النسق الذي كانت عليه الجملتين السابقتين، وهذا يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين، وهذا هو المحتم لِقَدْر ما ورد في السورة من التغليظ والشدة على المنافقين والكافرين.⁽³⁾

وكل هذه الرحمة والعطف والشفقة والرأفة المتناهية في الإحسان عنده ﷺ إلا أنه أشد الناس

غضباً إذا انتهكت محارم الله وطعن في دينه.⁽⁴⁾

وقد كان لهذا الخلق الجليل أثر كبير في هداية الناس وتربيتهم وإرشادهم إلى الخير

والصواب.⁽⁵⁾

فصفوان بن أمية له شأن مع رسول الله ﷺ:

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ⁽⁶⁾، قَالَ: «عَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَفَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ مِائَةَ مِنَ النَّعْمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (302/8).

(2) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (431/5).

(3) انظر: المرجع السابق.

(4) انظر: الإصابة في الذب عن الصحابة، مازن عيسى، (ص:258).

(5) انظر: الرسل والرسالات، العتيبي، (ص:81).

(6) ابنُ شِهَابِ الرَّهْرِيِّ: هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (451 / 34).

«أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ. حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا أَرَى أَحَدًا جَمَعَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جَمَعَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأُخْبِرْتُ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ: قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ. أَخْبَرَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: اجْتَمَعْتُ أَنَا وَالرُّهْرِيُّ وَنَحْنُ نَطْلُبُ الْعِلْمَ فَقُلْنَا نَكْتُبُ السُّنَنَ. قَالَ: وَكُنْتُمْ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثُمَّ قَالَ نَكْتُبُ مَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ سَنَةٌ. قَالَ: فَلْتُ إِنَّهُ لَيْسَ بِسَنَةٍ فَلَا نَكْتُبُهُ. قَالَ: فَكُنْتُ وَلَمْ أَكْتُبْ فَأَنْجَحَ وَضِيعْتُ. قَالَ: قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّا مَا سَبَقْنَا ابْنَ شِهَابٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَا كُنَّا نَأْتِي الْمَجْلِسَ فَيَسْتَنْتِلُ وَيَشُدُّ ثَوْبَهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَيَسْأَلُ عَمَّا يُرِيدُ وَكُنَّا تَمْنَعُنَا الْحَدَاثَةَ». انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (2/ 296).

صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»⁽¹⁾.

صلى الله عليه وسلم لو لم يكن هكذا برحمته العالية ورأفته البالغة لما أقبل الناس إلى الإسلام.

ثانياً: خلق الرحمة عند الخضر عليه السلام:

أولاً: قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾

بيان تفسير الآية:

قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾:

أي آتيناه رحمة من عندنا، يتبين لنا من تفسير هذه الآية الكريمة أن معنى الرحمة مغاير لمفهوم الرحمة كما عرفناه لغة واصطلاحاً من أنها تدل على الرقة والعطف والرأفة، والعلماء في تفسيرها هنا على أقوال منها:

أنها رحمة النبوة، أنها رحمة الولاية والملك، أنها رحمة النعمة.⁽²⁾

واستدلوا على أن الرحمة تكون بمعنى النبوة بقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾

رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان: 5-6).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾

(القصص: 86).⁽³⁾

نستطيع أن نقول أن رحمة الله بمعنى النبوة هي رحمة، فقد جعل الله الخضر سبب رحمة، وذلك بأن رفق به في أحواله، وصرّفه تصرفاً يجلب الرحمة العامة للناس، فكان مرحوماً من عند الله، رحمة لخلق الله ويتضح ذلك من المواقف الجليلة التي تحدث عنها القرآن في قصة موسى عليه السلام مع الخضر.⁽⁴⁾

(1) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل/باب: ما سئل النبي ﷺ قط فقال لا وكثرة عطائه، (4/1806 /2313).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (21/481)/فتح القدير، الشوكاني، (3/355).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، (21/481)/أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (3/322).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (15/369).

ثانياً: الخضر نبي أم ولي:

لقد أجمع العلماء على أن العبد المذكور في هذه الآية هو الخضر، بدلالة النصوص الصحيحة من كلام النبي ﷺ، واختلفوا في شأنه أهو نبي أم ولي، فعن أبي بن كعب قال: لَبِينَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ " قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾، قَالَ: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿ فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴾،⁽¹⁾ وقد وصفه الله تعالى بالعبد تشریفًا وتكریمًا.⁽²⁾

وعن أبي أمامة، ؓ، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ﴿ألا أحدثكم عن الخضر؟﴾ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: " بينا هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل، أبصره رجل مكاتب، فقال: تصدق علي بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي شيء أعطيكه، فقال المسكين: أسألك بوجه الله لم تصدقت علي؟ فإني نظرت السيماء في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعني، فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم الحق أقول، لقد سألتني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك بوجه ربي بعني. قال: فقدمه إلى السوق، فباعه بأربع مائة درهم، فمكث عند المشتري زمانا لا يستعمله في شيء، فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس يشق علي. قال: فقم فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته، ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة، فقال: أحسنت وأجملت، وأطقت ما لم أرك تطيقه. قال: ثم عرض للرجل سفر، فقال: إني أحسبك أمينا، فأخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: فأوصني بعمل قال: إني أكره أن أشق عليك. قال: ليس يشق علي، قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك. قال: فمضى الرجل لسفره فرجع الرجل، وقد شيد بناءه، فقال: أسألك بوجه الله ما سبيلك، وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله، ووجه الله أوقعني في العبودية، فقال الخضر: سأخبرك من أنا، أنا الخضر

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضل العلم/ باب: ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر، (74/26/1).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (369/15).

الذي سمعت به سألني مسكين صدقة، فلم يكن عندي شيء أعطيه، فسألني بوجه الله، فأمكنته من رقبتي فباعني، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله، فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له ولا عظم يتققع، فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم، فقال: لا بأس، أحسنت وأبقيت، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي، يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما أراك الله أو أخيرك، فأخلي سبيلك، فقال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي فخلي سبيله، فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقفني في العبودية، ثم نجاني منها⁽¹⁾.

ذكر ابن قتيبة⁽²⁾: "أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان يكنى أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك"⁽³⁾. وترى الباحثة أن:

من قال بتفسير الرحمة في هذه الآية على أنها النبوة استدل على أن الخضر هو نبي، وأن العلم الذي أعطاه الله إياه هو علم الوحي، ومن يتلقى العلم بواسطة الوحي لا بواسطة بشر إنما هو نبي.

ومن قال بتفسير الرحمة في هذه الآية غير ذلك، استدل على أن الخضر إما ولياً أو ملكاً، تلقى علمه بواسطة البشر، وبراعة العلم الذي عنده كان بتوفيق الله له وهدايته للخير والرشاد، وإنما هي فراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله.

وترجح الباحثة أن الخضر هو عبد صالح وذلك بالتوفيق بين الحديثين حيث جاء في الحديث الأول لفظ (عبد) والثاني لفظ (نبي).

ففي الحديث الذي يرويه أبي بن كعب جاء فيه لفظة {عَبْدُنَا خَضِرٌ} قال عَبْدُنَا ولم يقل نَبِيُّنَا ولو كان الخضر نبياً لناداه بلفظ النبوة تشريفاً وتأكيذاً على نبوته، وهذه الرواية صحيحة جاءت في صحيح البخاري.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (8/ 113)، وقال الألباني: ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (11/ 580/5353).

(2) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المروزي، الكاتب، العلامة، الكبير، ذو الفنون، من أئمة الأدب، ولد ببغداد وسكن الكوفة وتوفي بها، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، صاحب التصانيف الكثيرة، منها: (غريب القرآن)، (غريب الحديث)، (مشكل القرآن)، (مشكل الحديث)، (الفقه)، (الرد على من يقول بخلق القرآن)، (إعراب القرآن)، (إعراب القراءات). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (13/ 296) // الأعلام، الزركلي، (1/ 156) // وفيات الأعيان، ابن خلكان الإربلي، (3/ 42).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 168).

أما الحديث الذي يرويه أبو أمامة جاء فيه لفظة {يا نبي الله}؛ لكن بالرجوع إلى صحة هذه الرواية فقد ضعفها الإمام الألباني.

ثالثاً: مظاهر الرحمة عند الخضر:

تظهر صفة الرحمة عند الخضر، كما أخبر عنها القرآن أثناء رحلته مع نبي الله موسى عليه السلام، وكانت رحلة تعليمية ملؤها الرحمة والحب والخير للناس، وبينها في الآتي:

1- عندما ركب موسى والخضر عليهما السلام السفينة، فقام بخرقها الخضر فقال له موسى: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف: 71) فكانت رحمة الخضر لأصحاب السفينة بهذا العيب، فقد نجت السفينة من أن يأخذها الملك الظالم غصبا، وكان الضرر الصغير الذي أصابها اتقاء للضرر الكبير الذي يكنه الغيب لها لو بقيت على سلامتها، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: 79).⁽¹⁾

2- إذا كان الموقف الأول هو خرق السفينة واحتمال غرق من فيها، ففي الموقف الثاني كان أصعب على نفس موسى عليه السلام وهو قتل نفس عمداً لا مجرد احتمال، وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده الذي وعد الخضر عليه وهو الصبر على كل ما يراه من الخضر، وعدم الاعتراض عليه، فقال: ﴿قَالَ أَقْتَلَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف: 74).⁽²⁾

فهذا الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل، قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، فلو عاش لأرهب والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع حبهما له أن يتبعاه في طريقه، فكانت رحمة الله وإرادته أن وُجِّهت لعبد الصالح -الخضر- إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية، وأن يبدهما الله خلفاً خيراً منه، وأرحم بالديه، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/2280-2281).

(2) انظر: المرجع السابق، (4/2280).

مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا ﴿ (الكهف: 80-81).⁽¹⁾

3- والموقف الأخير الذي تظهر رحمة الخضر التي سيرها الله للناس، رحمته في إقامته للجدار، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الكهف: 82)، فتعجب موسى عليه السلام من الخضر، كيف يقدم خيراً لأهل القرية وهم لم يُحسنوا إليهما، فكانت هنا الرحمة من عند الله على يد الخضر لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة، حيث كان يُخبأ تحته كنزاً، ويُغيب وراءه مالاً، ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعوا عنه.. ولما كان أبوهما صالحاً فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما، ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته.⁽²⁾

إنها رحمة عامة أضفت خيراً كثيراً على من خصهم الله بها من عباده الضعفاء المساكين، مما يكمن في علم الله جل جلاله، وهبها سبحانه لعبده الخضر، فكان ذو رحمة من عند الله.
إنها الرحمة والرأفة..

صفة ملأت قلوب أنبياء الله، فساروا في الأرض مبشرين ومنذرين، لا معذبين ومحاكمين، أعانهم في ذلك نبضات الرأفة للناس كافة، ونبضات الرحمة لمن يخصونهم، فعلى الداعية أن يتحلى بهاتين الصفتين الحميدتين لأن أرقهما جميلٌ ولو بعد حين.

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2284/4).

(2) انظر: المرجع السابق، (2280/4).

المبحث الخامس خلق الشكر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشكر وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الشكر عند أنبياء الله.

المبحث الخامس خلق الشكر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشكر وأهميته.

أولاً: مفهوم الشكر:

الشكر لغة:

مصدر شكر يشكر، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدلّ على التناء على الإنسان بمعروف يوليه إليك، فهو عِرْفَانُ الإحسان ونَشْرُهُ.⁽¹⁾

وذكر الراغب الأصفهاني: الشُّكْرُ تصوّر النعمة وإظهارها، وهو الامتلاء من ذكر المنعم عليه،⁽²⁾ "وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان".⁽³⁾

وشكوراً: مصدر وجمع، مصدر شكر كَقَعَدَ فُعودًا ، وجمع شُكْرٍ كَبُرْدٍ بُرودٍ وَكُفْرٍ كُفورٍ.

الشُّكْرَانُ: ضدُّ الكُفْرَانِ أو النكران.⁽⁴⁾

ورجل شكور: كثير الشكر، وهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظّف عليه من عبادته، وكذلك الأنثى بغير هاءٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:3)، وَقَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ:13)⁽⁵⁾

الشكر اصطلاحاً:

"الشُّكْرُ: صفة فعلية لله عزَّ وجلَّ، و(الشاكر) و(الشكور) من أسمائه تعالى، وكل ذلك ثابت بالكتاب والسنة".⁽⁶⁾

(1) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص:167)/مقاييس اللغة، ابن فارس، (3/ 207).

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص461).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص: 206).

(4) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4/424).

(5) انظر: المرجع السابق.

(6) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف، (ص: 214)

قال الكفوي: والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل".⁽¹⁾
 وقال المناوي: "الشكر: صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله".⁽²⁾
 وقال ابن القيم: "حَقِيقَةُ الشُّكْرِ فِي الْعُبُودِيَّةِ: وَهُوَ ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَعَلَى قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً، وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً".⁽³⁾
الفرق بين الحمد والشكر:

الشُّكْرُ وصف بِاللِّسَانِ وبالقلب والجوارح بِإِزَاءِ النِّعْمَةِ، وَالْحَمْدُ وصف بِاللِّسَانِ فقط بِإِزَاءِ الشُّجَاعَةِ ولأبي شيء حسن.⁽⁴⁾
 ذكر ابن منظور: الشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ يَدٍ، وَالْحَمْدُ يَكُونُ عَنْ يَدٍ وَعَنْ غَيْرِ يَدٍ.⁽⁵⁾
الفرق بين الشكور والشاكر:

الشكور والشاكر من أسمائه سبحانه، سمي نفسه بالشاكر كما في قوله ﷺ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء:147)، وسمى نفسه بالشكور كما في قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن:17)، وشاكر على وزن فاعل، وشكور على وزن فعول، أي كثير الشكر.
 "والشاكر من يشكر على الرخاء، والشكور من يشكر على البلاء، والشاكر من يشكر على العطاء، والشكور من يشكر على المنع. وإذا وصف البارئ بالشكور فالمراد إنعامه على عباده ومجازاتهم على حسناتهم".⁽⁶⁾
شكر الله وشكر العبد:

ويشكر الله للعبد بأن يثني عليه بين ملائكته في ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده. ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة وهو سبحانه الذي وفق عبده للترك والبذل وشكره على هذا وذلك.⁽⁷⁾
 ويشكر العبد ربه: بأن يعلم أن النعمة من الله وحده فيثني على خالقه لجميل فضله عليه ويعترف بعظيم إحسانه عليه على وجه الخضوع.⁽⁸⁾

- (1) الكليات، (ص:534).
- (2) التوقيف على مهمات التعريف، (ص206).
- (3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (2/234).
- (4) انظر: الكليات، (ص535).
- (5) لسان العرب، (4/242).
- (6) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص:207).
- (7) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، (ص281).
- (8) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (174/87).

أمثلة على شكر الله مع عباده:

ومن شكره سبحانه أنه يُجازى العاصي بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه، ومن ذلك أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى.

والله ﷻ يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه؛ فهو ﷻ الذي أعطى العبد ما يحسن به الى نفسه، وشكره على القليل بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الاحسان وإعطاء الشكر فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه! (1)

أحوال الناس مع عبادة الشكر:

"إن أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدتها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدتها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه لم يشكرها أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم- وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له". (2)

قال التستري⁽³⁾: "شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم"، وقال أيضاً: "الشكر أن تريد المزيد، وإلا شكر مطعون". (4)

(1) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، (ص281-282).

(2) طريق الهجرتين، ابن القيم، (ص:95).

(3) التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الزاهد، شيخ الصوفية. ولد بمدينة تستر في سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، وإلى هذه المدينة ترجع نسبته (التستري)، ونشأ بها، وكانت بدايات اتجاهه إلى التصوف في سن مبكرة جداً. لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع؛ وكان صاحب كرامات، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى، وكان له اجتهاد وافر ورياسة عظيمة، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار. انظر: تفسير التستري، (ص: 4) // وفيات الأعيان، ابن خلكان، (2/ 429)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (6/ 557).

(4) تفسير التستري، (ص86).

ثانياً: فضل وأهمية الشكر:

الشكر صفة الأبرار وسمة الأحرار وخلق المؤمنين الأطهار، ولهذا الخلق فضل عظيم وخير عميم، فمن أهمية الشكر وفضله التالي:

1- الشكر من صفات الله ﷻ، والشاكر والشكور من أسمائه سبحانه:

الشكر من صفات الله ﷻ فقد وصف الله تعالى نفسه بهذا الخلق العظيم، وسمى نفسه بالشاكر فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:17).

وسمى نفسه أيضاً بالشكور فقال سبحانه: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة:158).⁽¹⁾

2- أهمية الشكر بوجوبه عقلاً وشرعاً:

الشكر واجب شرعاً لصيغة الأمر في الآية الكريمة، قال ﷺ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:152)، فالله سبحانه يقول (اذكروني) أي: بالطاعة أو في الرخاء (أذكركم) بالمغفرة أو في الشدة. (واشكروا لي) أي: نعمتي وفضلي عليكم.⁽²⁾

والشكر واجب بالعقل كما هو واجب بالشرع، وأوجبها شكره ﷻ، ثم شكر من كان سبباً لوصول خير إليك على يده،⁽³⁾ ولهذا قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مِنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسُ﴾،⁽⁴⁾ وقد قال بعض الحكماء: "اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ".⁽⁵⁾

3- أمر الله أنبيائه بالشكر:

ولشرف الشكر أمر الله ﷻ أنبياءه عليهم السلام بالشكر، فقال لنبيه:

(1) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف، (214-215).

(2) انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك، الصاوي، (4/729) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الشافعي، (7/186).

(3) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص198).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أبو هريرة، (13/7939/322)، قال الألباني: (صحيح).

(5) الزهد، أحمد بن حنبل، (1/298).

موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَمْؤَسَىٰٓ إِلَىٰٓ أَنِّي أَخْطِفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف:144)

أي كن يا موسى من الشاكرين لله على ما أنعم عليك من إعطاء الرسالة والكلام، وخصك به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه، والمسارة إلى رضاه.⁽¹⁾

وقال لنبيه داوود عليه السلام: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سبأ:13) قال الله تعالى في هذا الأمر اعملوا ولم يقل اشكروا، لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح.⁽²⁾

4- الشكر صفة الأنبياء:

أ- الشكر عند نوح عليه السلام:

أثنى الله تعالى على نبيه نوح عليه السلام بكثرة الشكر فقال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء:3).

وصفه الله بكثرة الشكر في السراء والضراء؛ وذلك أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله.⁽³⁾

ب- الشكر عند إبراهيم عليه السلام:

أثنى الله تعالى على نبيه إبراهيم عليه السلام بكثرة الشكر فقال تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴾ (النحل:121).

فخص الله تعالى لفظ الأنعم الدال على أدنى العدد، لدلالة على أنه عليه السلام كان يشكر ربه على أقل القليل من النعم، ومن يشكر القليل يشكر الكثير.⁽⁴⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (105/13)/ تفسير القرآن، السمعاني، (214/2).

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص462).

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (7/354)/ مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (87/174).

(4) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص:199).

ج- الشكر عند النبي محمد:

كان الأنبياء لمعرفة فضل الشكر يعظمون هذا الخلق فأعظم أنبياء الله ﷺ شكراً لربه هو النبي الأمي محمد ﷺ أفلا نكون قدوة طيبة لنبينا ﷺ عندما قال أفلا أكون عبداً شكوراً أي: مبالغاً في شكر ربي، وزوجه عائشة رضي الله عنها رق قلبها عليه من شدة ما رأت منه،⁽¹⁾ فقالت رضي الله عنها: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطِرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غَفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»}.⁽²⁾

وقد ردَّ ﷺ على عائشة رضي الله عنها عندما بكت عليه فقال لها: {يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ لِرَبِّي}.⁽³⁾

5- قرن الله الشكر بالإيمان:

قرن الله تعالى الشكر بالإيمان، وأخبر سبحانه أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به، فهو لا يضل من أمن به وذكره وطلب هدايته، ولا يعذب من شكره،⁽⁴⁾ فقال ﷺ: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النساء:147).

6- الشكر دليل الإيمان وجماعه:

الشكر والصبر جماع الإيمان، فالمؤمن حاله بين الشكر والصبر، قال رسول الله ﷺ: {عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ}.⁽⁵⁾

(1) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي المهدي، (1/ 388) // مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (87/ 176) // روح البيان، الإستانبولي، (8/ 78).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الإكثار من الأعمال والاجتهاد في العبادة، (4/ 2819/2172).

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (ص:620)، قال الألباني: حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، (1/147).

(4) انظر: صيد الأفكار، (1/ 388) // ألف سؤال وجواب في القرآن، قاسم عاشور، (ص: 462).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق/ باب: المؤمن أمره كله خير، (4/ 2999/2295).

لأن الله يختبر عباده دائماً بالشكر وبالصبر، وحياة الإنسان مليئة بالمواقف والأحداث التي تقوده إما إلى شكر أو صبر، فانه يختبر عباده بالشدة أو الرخاء، والمؤمن الحقيقي هو الذي يحمده ربه في كل حال.⁽¹⁾

7- الشكر من ثمرات الإيمان:

وذلك بأن يقع في نفس الإنسان الرضا التام عن الله بقلبه ولسانه وجوارحه، فمن جمع شكر القلب بالرضا عن الله، وشكر العمل بأن يفيض على المحرومين من فضل النعم، وشكر اللسان بأن يكثر من حمد الله والثناء عليه، كان من الشاكرين حقاً.⁽²⁾

8- الشكر سبب الرضوان:

الشكر سبب رضوان الله والقرب منه⁽³⁾ قال ﷺ: ﴿وإن تشكروا يرزقكم﴾ (الزمر:7)، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، أو يشرب الشربة، فيحمد الله عليها﴾.⁽⁴⁾

فالشكر موجب لمحبة الله؛ فانه لا يرضى عن العبد إلا إذا أحبه، والعبد لا يشكر الله إلا إذا فرح بالله، قال بعض العارفين: "لم يضمن الحق تعالى الزيادة في مقام من المقامات إلا الشكر"⁽⁵⁾، فدل أنه أفضل المقامات وأحسن الطاعات لرضا رب الأرض والسماوات.

9- الشكر أمان من العذاب:

الشكر أمان من العذاب، فبالشكر والإيمان يحفظ الإنسان نفسه من عذاب الله، وإلا استحق العذاب والعتاب، فشكره ﷺ يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم، كما يأبى إضاعة سعيهم باطلاً

-
- (1) انظر: الذريعة الى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص: 199) / مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (87 / 174).
- (2) انظر: تعريف عام بدين الإسلام، علي طنطاوي، (ص: 90).
- (3) انظر: روح البيان، الإستانبولي، (8 / 78).
- (4) أخرجه أحمد في مسنده، (19 / 12168/209)، قال الألباني: (صحيح).
- (5) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري، (3 / 45).

فالشكور لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء،⁽¹⁾ فقال سبحانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: 147).

10- الشكر بمنزلة العبادات:

الشكر لا يقل منزلة وأجرًا عن غيره من العبادات⁽²⁾ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ}.⁽³⁾

11- شكر الناس طريق إلى رب الناس:

شكر الناس سبيل لشكر الله تعالى، فعن النعمان بن بشير قال: قال ﷺ: {مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ. التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب}.⁽⁴⁾

12- الشكر مطهرة للنفس:

إن منفعة الشكر لا تعود على الخالق سبحانه وتعالى فهو الغني؛ ولكنها تعود على الشاكر من عباده، فهو يطهر النفس، ويقربها من بارئها، ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة في وجوه البر، وقد جاء في محكم التنزيل: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: 12)، فهي عبادة نعمة ومنة للعبد لكي يتقرب إلى بارئه أكثر باعتراف فضله وإحسانه عليه.⁽⁵⁾

13- الشكر وفاء للجزاء ومضاعفة للثواب وجزاء للإحسان:

الشكر صفة المؤمنين الصالحين الذاكرين لله رب العالمين؛ حيث قابل الله تعالى الشكر بالمجازاة، فعل الحبيب بحبيبه، فهو يوفي الشاكر جزاءه بما أقامه من العبادة، ويرفع جنابه،

(1) انظر: عدة الصابرين وخيرة الشاكرين، ابن القيم، (282) // صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي المهدي، (1/388) // روح البيان، الإستانبولي، (2/311).

(2) بيان المعاني، العاني، (1/159).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع/ باب: الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر، (4/2486/653)، وقال (حسن غريب)، وقال الألباني: (صحيح).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، (30/390/18449). قال الألباني: (صحيح).

(5) انظر: صيد الأفكار، (1/388).

ويضاعف ثوابه، ويحفظ عليه نعمته، ويديم الله عليه نعمته⁽¹⁾، فقال الله ﷻ في كتابه مبيئاً أنه يحفظ جزاء الشاكرين: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران:144) وقال ﷻ: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران:145).

14- الشكر عبادة خيرها راجع على العبد:

وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لصالحي عبادته، فمن أروع ما يتميز به الشاكر لربه أن شكره يعود على نفسه⁽²⁾ فانه ﷻ قال في محكم آياته: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ (لقمان:12).

15- الشكر سبب ل دوام النعمة:

الشكر من إنعام الله على عبادته، فمن سأل الله الشكر زاده من نعمه وفضله، فعن النعمان بن بشير قال: قال ﷻ: {من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله. التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب}.⁽³⁾

وقال بعض أهل العلم: "كل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله تعالى فإن شكر نعمته نعمة منه"، ولذلك قال نبي الله موسى ﷺ: "اللهم أمرتني بالشكر على نعمتك، وشكري إياك نعمة من نعمك"، "وقد حكى أن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك، وشكري إياك تجديد منة منك علي؟ قال الله تعالى: الآن شكرتني"⁽⁴⁾.

قال بعض الصالحين: "يا من منعه عطاء وبلاؤه نعماء"⁽⁵⁾، فكل ما يفعله الله بعباده هو خير لهم نعمة كانت أو بلاء لأن غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عنه لعظيم نعمه على عباده،⁽⁶⁾ قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم:34- النحل:18).

(1) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي المهدي، (1/388) مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، (ص:462).

(2) انظر: الذريعة الى مكارم الشريعة، (ص: 198)، مفردات غريب القرآن، (ص:462)، الأصفهاني.

(3) سبق تخريجه في (ص:97).

(4) تفسير التستري، (ص:86).

(5) الذريعة الى مكارم الشريعة، (ص: 199).

(6) انظر: المرجع السابق، (ص: 199).

16- الشكر منتهى الإحسان:

الشكر منتهى كل إحسان؛ لأن الصبر يحمل على الإنسان قهراً، والشكر يؤديه الإنسان طوعاً،
فنهاية كل جميل هو الشكر. (1)

المطلب الثاني: خلق الشكر عند أنبياء الله

أولاً: الشكر عند نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الاسراء:3).

نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض وصفه الله تعالى وصفاً جميلاً لم يصف أحداً من الأنبياء مثله سوى إبراهيم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الاسراء:3).

النداء هنا للتنبية والتهيبج يا سلالة من نجينا مع نوح في السفينة وقت الطوفان من موسى وقومه من بني اسرائيل وغيرهم - فكل من على الأرض من بني آدم هم من ذرية من حملهم الله مع نوح في السفينة -تشبهوا بأبيكم ونيكم نوحاً في شكره لربه سبحانه وتثناه الحسن لخالقه واعترافه بعظيم الفضل والنعم له. (2)

وصفه الله بكثرة الشكر في السراء والضراء، وذلك أنه كان عليه السلام يذكر ربه كثيراً في أحواله كلها، فكان يذكر ربه عند الطعام والشراب ويحمده على ذلك، (3) وكان يذكر ربه إذا استجد ثوباً ويحمده على ذلك، (4) وكان يذكر ربه إذا دخل وخرج وقام وقعد وفي جميع أموره كلها.

فجعل سبحانه وتعالى ذلك كالعلة لما قبله إيداناً بكون الشكر من أعظم أسباب الخير ومن أفضل الطاعات، وحثاً لذريته على شكر الله سبحانه اقتداءً بأبيهم نوحاً عليه السلام. (5)

لقد بلغ الشكر مبلغه عند نبي الله نوح عليه السلام عندما دعا إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(1) انظر: الذريعة الى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص: 200).

(2) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (3/228) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/46).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (17/352-354) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (96/6)

(4) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (5/7)

(5) انظر: الكشف والبيان، (96/6) النكت العيون، (3/228) لطائف الاشارات، القشيري، (2/335) تفسير القرآن، السمعاني، (3/217-218).

ثانياً: الشكر عند إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحْتَبَهُ وَهَدَانَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النحل: 120-122).

لا يكون العبد شاكرًا لأنعم الله إلا بالأركان الثلاثة:

1- الإقرار بالنعمة وادّائها إلى المنعم بها 2- صرفها في مرضاته 3- والعمل فيها بما يجب. (1)

هكذا كان إبراهيم عليه السلام خير مثالاً في الشكر، لقد مدح الله خليله إبراهيم عليه السلام بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم والعمل بموجب الإسلام وتعاليمه ودعوة الناس إليه وهي:

أمة، قانتاً، حنيفاً، ثم ختمها بـ (شاكراً) فكانت تاجاً لهذه الصفات، وبيان ذلك في التالي:

الصفة الأولى: إبراهيم أمة:

أي إماماً يُقتدى به، فهو أمة في تعليم الناس الخير، ومقاومة أهل الباطل بالمناصحة والمجادلة الحسنة أولاً بأول والأهم فالأهم؛ فأول ما بدأ بنصح أبيه وإرشاده إلى الصواب قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَلَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم: 42-45) فقال له أبوه أزر: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (مريم: 46)، فلما بان له الصدود والإعراض من قبل أبيه، وتبين له أنه عدو لله، وتبرأ منه بدأ بنصح قومه ولم ينس أباه، بل ناصحه مرة أخرى مع قومه، واجتهد في ذلك كثيراً، وجادلهم بالحسنى علّمهم يهتدون وينتهون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع من دون الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ هَا عَنكُم مِّنَ السَّمَاءِ * قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ وَهِيَ كَذِبُ آلِهَاتِ الْأُمَمِ﴾ (مريم: 25-27) فبدأ بنصح قومه ولم ينس أباه، بل ناصحه مرة أخرى مع قومه، واجتهد في ذلك كثيراً، وجادلهم بالحسنى علّمهم يهتدون وينتهون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع من دون الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ هَا عَنكُم مِّنَ السَّمَاءِ * قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ وَهِيَ كَذِبُ آلِهَاتِ الْأُمَمِ﴾ (مريم: 25-27)

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/42-45-46)/ روح البيان، الاستانبولي، (5/131).

يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي - إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿ الشعراء: 70-76. (1)﴾

الصفة الثانية: إبراهيم عليه السلام قانتاً:

أي خاشعاً مطيعاً لله ورسوله. (2)

الصفة الثالثة: إبراهيم عليه السلام حنيفاً:

الحنيف هو: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد. (3)

ذكر مجاهد لما كان إبراهيم عليه السلام مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار في ذلك الزمان في ابتداء دعوته ورسالته ونبوته عليه السلام مدحه الله بتبرئته من المشركين، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (مريم: 42). (4)

إبراهيم عليه السلام لم يك من المشركين:

هنا أكد قول حنيفاً بـ (ولم يك من المشركين) أي فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادتهم، وكسر الأصنام، وصبر على ما أصابه في ذات الله بقلبه السليم المخلص لرب العالمين، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات: 84)، ولم يكن على وجه الأرض مسلم غيره، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ ط قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 131). (5)

الصفة الرابعة: إبراهيم عليه السلام شاكراً:

أمة، قانتاً، حنيفاً هذه الصفات الثلاثة نعمة لإبراهيم، فكان عليه السلام شاكراً لربه على عظيم هذه النعم، وشاكراً لربه على غيرها من النعم، فكان عليه السلام يخلص شكره لله دوماً فيما أنعم عليه، ولا

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (316/17)، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، التميمي، (58-152).

(2) انظر: المرجعين السابقين.

(3) انظر: جامع البيان، (316/17).

(4) انظر: فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، (ص: 58).

(5) انظر: جامع البيان، (316/17)، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، (ص: 58-152).

يجعل في شكره لربه شريكاً من الأنداد والآلهة فلم يصرف شكر نعمه إلى غير المنعم سبحانه بل صرف شكرهما إلى منعمها.⁽¹⁾

فكان ﷺ شاكرًا لله ذاكراً لآلآئه دوماً وأبداً في حال الرخاء والشدة، حامداً لربه على الطعام والشراب، لسانه لاهجاً بذكر ربه، داعياً إياه في كل وقت وحين.⁽²⁾

من يشكر الله حقاً يرى أنه في حقيقة أمره عاجزاً عن شكره سبحانه، فلو يرى الإنسان أن الله هو الذي خلقه، وهو الذي وفقه لشكره، وهو الذي رزقه الشكر، وهو الذي اجتباه حتى كان كله لله سبحانه.⁽³⁾

فالشكر هو المكافأة، لم يبلغ أحد من الخلائق في المرتبة أن يكافئ خالقه بأصغر نعمة أنعمها عليه، ولم يتفرغ أحد في أداء ما عليه من الفضل والإحسان أن يتفرغ لمكافئة خالقه؛ لكن الله بفضله ومنته وحبه لإبراهيم ﷺ سماه شاكرًا.⁽⁴⁾

إنه الشكر..

دليل الامتتان، وأنه مهما بلغ الإنسان بأنه إلى ربه يعود شاكرًا تائبًا؛ لذا كان دأب الأنبياء الشكر وكانت صفةً لنبي الله إبراهيم ونوح عليهما السلام، فبقدر الأمانة وعظم تحملها، بقدر ما كان شكرهم وامتنانهم لله، وعلى هذا الدرب ليكون الداعية إلى الله.

(1) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (591/6) لطائف الاشارات، القشيري، (327/2) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، التميمي، (58-152).
 (2) انظر: تأويلات أهل السنة، (591/6).
 (3) انظر: لطائف الاشارات، (327/2).
 (4) انظر: المرجع السابق.

المبحث السادس خلق الحلم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحلم وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الحلم عند أنبياء الله.

المبحث السادس خلق الحلم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحلم وأهميته:

أولاً: مفهوم الحلم:

الحلم لغة:

مصدر حَلَمَ فلان أي صار حليماً، وهو مأخوذ من مادة (ح ل م) التي تدلّ على ترك العجلة، يقال: حلمت عنه أحلم فأنا حليم.⁽¹⁾
قال ابن فارس: "الحلم خلاف الطيش"⁽²⁾. وذكر الرازي: (الحلم) بِالْكَسْرِ الأَثَاءُ والعقل، وهو نقيض السفه.⁽³⁾

وجمعه أحلام وحُلوم، وفي التنزيل العزيز: ﴿ أُمَّ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِكَذَّآ ﴾ (الطور: 32)، وهو حليم جمع: حُلماء وأحلام، وَقَدْ (حَلَمَ) بِالضَّمِّ (يحلّم حلماً: أي صار حليماً) وَ(تَحَلَّمَ) (مشدداً) تَكَلَّفَ الحِلْمَ وَ(تَحَالَّمَ) أَرَى مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ وَلَيْسَ بِهِ.⁽⁴⁾

الحلم اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف الحلم اصطلاحاً على أقوال أهمها:

قال الراغب: "الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب".⁽⁵⁾

قال الجاحظ: "الحلم ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك".⁽⁶⁾

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (93/2).

(2) مقاييس اللغة، (93/2).

(3) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (80/1).

(4) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (146-145/12) // القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (1096/1).

(5) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (253 /1)، وقد عرفه الماوردي في (أدب الدنيا والدين: 1/1)

(252) بالتعريف نفسه ولكنه لم يذكر الطبع.

(6) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد، (1736 /5).

قال الجرجاني⁽¹⁾: "الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وهو تأخير مكافأة الظالم (أي مجازاته بظلمه) ".⁽²⁾

"والحليم المتصف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق. وهو ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم".⁽³⁾
من أسماء الله الحسنى «الحليم»:

قال الغزالي - رحمه الله تعالى -: "الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستقره غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (النحل:61)"⁽⁴⁾.

"فإنه ﷻ حليم بعباده؛ لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم ويمهلهم بعد المعصية ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام ويقبل توبتهم بعد ذلك".⁽⁵⁾
رأي الباحثة:

الحلم هو: إحكام العقل، وضبط النفس عن هيجان الغضب، ومقابلة الإساءة بالإحسان، واحتمال الأذى والصبر عليه، والصفح عن أذى وظلم، والطمأنينة عند سورة الغضب، وترك الانتقام عند شدته مع القدرة.

بين الحلم وكظم الغيظ:

قال الغزالي - رحمه الله تعالى -: "الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ عِبَارَةٌ عَنِ التَّحَلُّمِ أَي تَكْلُفِ الْحَلْمِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كَظْمِ الْغَيْظِ إِلَّا مِنْ هَاجٍ غَيْظُهُ وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُجَاهَدَةٍ شَدِيدَةٍ وَلَكِنْ إِذَا تَعَوَّدَ ذَلِكَ مُدَّةً صَارَ ذَلِكَ اعْتِيَادًا فَلَا يَهِيْجُ الْغَيْظُ وَإِنْ هَاجَ فَلَا يَكُونُ فِي كَظْمِهِ تَعَبٌ وَهُوَ الْحَلْمُ

- (1) الجرجاني: "محمد بن علي بن محمد بن علي، نور الدين ابن الشريف الجرجاني: فاضل، من أهل شيراز. نقل إلى العربية رسالة في (المنطق) في الظاهرية (الرقم 7945) كتبها أبوه بالفارسية. وله (الرشاد في شرح الإرشاد) في الظاهرية (الرقم 5249) شرح رسالة التفتازاني (إرشاد الهادي) في النحو. وصنف (الغرة) في المنطق". انظر: الأعلام، الزركلي، (6/288).
- (2) التعريفات، الجرجاني، (1/125)
- (3) التحرير والتتوير، ابن عاشور، (23/149).
- (4) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (1/103).
- (5) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد، (5/1736).

الطَّبِيعِيُّ وَهُوَ دَلَالَةٌ كَمَالِ الْعَقْلِ وَاسْتِيْلَائِهِ وَانْكِسَارِ قُوَّةِ الْعَضْبِ وَخُضُوعِهَا لِلْعَقْلِ وَلَكِنْ ابْتِدَاؤُهُ النَّحْلُ
وَكَظْمُ الْعَيْظِ تَكْلَفًا وَيَعْتَادُ ذَلِكَ حَتَّى يَصِيرَ خَلْقًا مَكْتَسِبًا⁽¹⁾.

ثانيًا: فضل وأهمية الحلم:

الحلم من أخلاق الإسلام العظيم، وصفة يُحبها رب العالمين، ولا يتصف بها إلا كل عاقل
حكيم، وله أهمية جلية نوضحها في التفصيل الآتي:

1- الحلم من أسماء الله تعالى وصفاته:

أ- في معرض بيانه سبحانه وتعالى أنه لا يؤاخذ عباده على الأيمان العفوية، يقول سبحانه:
﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
(البقرة: 225).

ب- في بيان أن المتصدق لا يجوز له أن يؤذي المتصدق عليه بأدنى أنواع الأذى فيجرح
شعوره ويمتهن كرامته، يقول سبحانه: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ
غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 263).

ت- في شأن إنفاذ الوصية في بيان الميراث، يقول سبحانه: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ
دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: 12).

ث- في بيان وجوب الإنفاق على الفقراء والمساكين، وأن ذلك يعتبر تعاملًا مباشرًا مع الله
تعالى، يقول سبحانه: ﴿ إِنْ تُقْرَضُوا بِاللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴾ (التغابن: 17).⁽²⁾

2- اتصاف الله تعالى بصفة الحلم رحمة وخير للعباد؛ لأن صفة الحلم قرنت في كثير من الآيات
بصفة المغفرة أو العفو وهذا الاقتران إشارة إلى خطأ أو تقصير وتفریط في أمر محمود من العبد،
فإنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: 155)، وهذا يتفق
مع الحلم؛ لأنه تأخير العقوبة، قال ﷺ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى

(1) انظر: إحياء علوم الدين، (3/ 176).

(2) الأخلاق في الإسلام، د.كايد قرعوش، (157) // نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، صالح بن حميد، (5/ 1740).

ظَهَرَهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِمْ
بَصِيرًا ﴿ (فاطر: 45). (1)

3- الحلم صفة ملازمة للأنبياء الكرام، فالحق - سبحانه وتعالى - في هذا المقام يقول:

أ- في وصف إبراهيم عليه السلام وبيان أنه رجّاع إلى الله تعالى ومنيب إليه في كل شئونه وجميع
أحيانه يقول عليه السلام: ﴿ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة: 114).

وفي وصف إبراهيم عليه السلام أيضاً وهو يُدافع عن قوم ابن أخيه لوط عليه السلام إشفافاً عليهم ورحمة بهم
يقول عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْتَدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ
أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: 74-75). (2)

ب- في وصف شعيب عليه السلام مع أهل مدين وإنكارهم عليه أن ينهاهم عن تطفيف الكيل
والميزان، وزعمهم أن هذا لا يتناسب مع حلمه ورشده يقول عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ
أَنْ نَّتْرِكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (هود: 87).

4- أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالحلم والصفح فقال صلى الله عليه وسلم:

أ- ﴿ فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (الحجر: 85).

ب- ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل
عمران: 159).

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: 199-200).

ت- ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت: 34).

(1) انظر: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني، (ص104).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، د. كايد قرعوش، (ص:158)/ مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة،

د. سعيد القحطاني (126-127).

5- أمر الله سبحانه وتعالى أيضاً عباده المؤمنين بالحلم والصفح فقال: ﷺ: ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران: 186).⁽¹⁾

6- في بيان ذكره سبحانه لبعض صفات المؤمنين يقول ﷺ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ (الفرقان: 63).

7- وفي بيان ذكره سبحانه لبعض صفات المتقين وأن جزائهم الجنة، يقول ﷺ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَالِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 133-134).⁽²⁾

8- اتصاف النبي ﷺ بالحلم والصفح والعمو امتثالاً لأمر ربه في أقواله وأفعاله⁽³⁾:

أ- فمن حلمه ﷺ تقول عائشة -رضي الله عنها- ﴿ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْشَا وَلَا مَتَفَحْشَا وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِيءُ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ﴾.⁽⁴⁾

ب- ومن حلمه ﷺ مع الخدم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: ﴿ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَفَّا قَطُّ ، وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ ﴾.⁽⁵⁾

ت- حلمه ﷺ مع الأعرابي الذي أذاه في عنقه⁽⁶⁾، في ذلك يقول أنس بن مالك ﷺ: ﴿ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ حَاشِيَةٌ ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَانْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، د. كايد قرعوش، (ص: 158).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: الأخلاق في الإسلام، (ص: 159).

(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنه، (42 / 256 / 25417)، قال الألباني: صحيح.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل/ باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، (4 / 1804 / 2309).

(6) الأخلاق في الإسلام، (ص: 159).

لَهُ بِعَطَاءٍ}.⁽¹⁾

ج- عفوه ﷺ عند المقدرة ودعائه لقومه مع شدة أذيتهم له، وشدة عدائهم له، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: {اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.⁽²⁾

9- الحلم من أعظم مقومات الداعية، وأعظم دعائم الحكمة، فالحكمة تقوم على ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، فكل خلل في الداعية إلى الله سببه الإخلال بالحكمة وأركانها.⁽³⁾

10- الحلم من الخصال التي يحبها الله ورسوله⁽⁴⁾، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَشَجِّ⁽⁵⁾ عَبْدِ الْقَيْسِ: {إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ}.⁽⁶⁾

11- من يتصف بالحلم يُخَيَّرَ من الحور العين ما شاء،⁽⁷⁾ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ⁽⁸⁾ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: {مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ}.⁽⁹⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فرض الخمس/ باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفَةَ قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (7/ 3149/146).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: حديث الغار، (4/ 3477/175).

(3) انظر: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني، (ص: 104-105) // مدارج السالكين، ابن القيم، (2/ 449).

(4) الخلق الحسن، (ص: 105).

(5) الأشج: "هو المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن عصر العصري، أشج عبد القيس، كان سيد قومه وفد على النبي ﷺ فقال له أن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى، قال ابن سعد اختلف علينا في اسم الأشج فقبل المنذر بن عائد وقيل عائد بن المنذر وقيل عبد الله بن عون، قال ولما أسلم رجع إلى البحرين مع قومه ثم نزل البصرة بعد ذلك". انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، (10/ 301).

(6) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب البر والصلة/ باب: ما جاء في التآني والعجلة، (4/ 2011/366)، وقال الألباني: صحيح.

(7) خلق المؤمن، د. مصطفى مراد، (120).

(8) "سهل بن معاذ بن أنس الجهني شامي نزل بمصر وروى عن أبيه وروى عنه الليث بن سعد، قيل إنه ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات له نحو أربعين حديثاً معظمها في سنن أحمد، وهم من ذكره في الصحابة". انظر: الإصابة في معرفة الصحابة، (1/2)، تهذيب التهذيب، (4/ 227)، ابن حجر.

(9) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب البر والصلة، باب: في كظم الغيظ، (4/ 2021/372)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: هذا حديث حسن غريب.

12- الحلم طريق إلى الجنة:⁽¹⁾

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: ﴿لَا تَغْضَبْ وَلَكِ الْجَنَّةُ﴾.⁽²⁾

13- الحلم دليل كمال عقل المسلم، وسعة صدره، وامتلاك نفسه.

14- الحلم سبب في محبة الناس لمن يتصف به، وإعانتهم له، ووقوفهم في صفه؛ لأنه يعمل على تآلف القلوب، وإزالة البغض، ومنع الحسد.

15- درجات على وجزاء أوفى لمن يتصف به من المسلمين؛ لأنه من أخلاق ديننا العظيم.⁽³⁾

المطلب الثاني: خلق الحلم عند أنبياء الله

أولاً: الحلم عند إبراهيم عليه السلام:

جاء خلق الحلم في مدح نبي الله إبراهيم عليه السلام في آيتين كريمتين من كتاب الله الكريم:

1- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة: 114).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ مُجَدِّلًا فِي قَوْمٍ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (هود: 74-75).

بيان تفسير الآيات:

وقبل أن نبدأ في تفسير هاتين الآيتين العظيمتين، سنبين أقوال المفسرين في تفسير معنى الأخلاق التالية:

الحلم، الأواه، الإنابة، وما علاقة هذه الأخلاق ببعضها؟.

معنى الأواه:

الخاشع المتضرع عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ⁽⁴⁾ قَالَ: "قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ: الْخَاشِعُ، الْمُتَضَرِّعُ الدُّعَاءِ، قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ".⁽⁵⁾

(1) خلق المؤمن، د. مصطفى مراد، (ص: 120).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، كتاب: باب الألف، باب: من اسمه إبراهيم، (3/2353/25)، وقال الألباني: صحيح.

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد، (5/1752).

(4) عبد الله بن شداد ابن لهاد الليثي، الفقيه، أبو الوليد المدني الكوفي، أمه سلمة أخت أسماء بنت عميس، وهو من تابعي أهل المدينة، ثقة، قليل الحديث، فقد في موقعة الجمام، حدث عن أبيه ومعاذ بن جبل، وروى عن عمر وعلي، توفي سنة 81هـ وقيل 82هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ص: 489)/الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (11/5).

(5) تفسير ابن أبي حاتم، الرازي، (6/1895).

فالأوَاه هو المؤمن التوّاب، الكثير الدعاء، المنيب لربه.⁽¹⁾

الأوَاه كثير قراءة القرآن والتضرع إلى ربه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي صلى الله عليه وسلم دفن ميتا فقال: رحمك الله إنك كنت لأوَاها: يعني تلاء للقرآن".⁽²⁾

قال كعب الأحبار⁽³⁾: الأوَاه الذي يكثر التأوّه من الذنوب خوفاً من الله وإشفاقاً، فيقول: أوّه أوّه.⁽⁴⁾
معنى الحليم:

الصفوح عن سبه أو أتاه بمكروه ثم يقابله بالإحسان واللطف.⁽⁵⁾

الحليم: الرحيم.⁽⁶⁾

الدعاء والاستغفار مع الأذية.⁽⁷⁾

عاقل صبور على الأذى، مدرك لمن ينبغي أن يرحم، ومن يتبرأ منه.⁽⁸⁾

هادئ الأعصاب، لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب، غير عجول على كل من أساء إليه بالانتقام منه.⁽⁹⁾

(1) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (411/2) // تفسير القرآن، السمعاني، (354/2).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (41/12).

(3) كعب الأحبار ابن مانع الحميري، أبو اسحاق من أهل اليمن، سكن الشام وأسلم، اختلف في إسلامه قيل في عهد أبي بكر، وقيل في عهد عمر، وقيل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من كبار التابعين، عالماً بالإسرائيليات، كان مقرباً من عمر وعثمان وعبد الله بن عباس، روى له البخاري ومسلم، وبقية أصحاب الكتب السنة، وثقة ابن حجر، توفي في خلافة عثمان 32 هـ في حمص. انظر: طبقات ابن سعد، (117/7) // الإصابة في تمييز الصحابة، (655/5).

(4) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (412/2) // الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعلبي، (222/3).

(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (413/2).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1897/6).

(7) مختصر ابن كثير، الصابوني، (174/2).

(8) زهرة التفاسير، أبي زهرة، (3461/7).

(9) تفسير القطن، القطن، (171/2) // التفسير الوسيط، الزحيلي، (1060/2).

معنى المنيب:

المقبل إلى طاعة الله، المخبت، التائب⁽¹⁾، الذي يعود سريعاً إلى ربه قانتاً، ويحاسب نفسه على ما يحذر منه.⁽²⁾

علاقة الأوصاف الثلاثة (الأواه- الحليم- المنيب) مع بعضهما:

الأواه كثير الدعاء والتوبة والتضرع لله تعالى، وهذا من شأنه يؤثر على القلب فيجعله رقيقاً صبوراً، والنفس هادئة مطمئنة، فيقابل الاساءة بالإحسان فهو حليم، وهذا من شأنه يؤدي إلى الإقبال على طاعة الله أكثر، والإسراع في اللجوء إليه، والإخبارات والقنوت لله دوماً فهو منيب، فالأواه يقود إلى الحلم، والحلم يقود إلى الإنابة.

أ- مزايا الحلم عند إبراهيم عليه السلام مع أبيه:

أولاً: وصف الله ﷻ نبيه إبراهيم عليه السلام بوصفين عظيمين وهما: الخوف الوجل وشدة الرقة والشفقة على عباد الله؛ ليبين سبحانه أنه مع هذه الصفات الحميدة أحكم عقله بما يرضي ربه؛ فتبرأ من أبيه لما ظهر له إصراره على الكفر، وتفصيل ذلك كالتالي:

أنه كان من حلمه عليه السلام أنه عفا وصفح عن أبيه عندما سبه ورماه بكلمة غليظة صعبة على النفس أن تتلقاها من أحب الناس إلى قلبه- أبيه - فتمثل حلمه في قوله عليه السلام بالدعاء الجميل {سلام عليك} ، هذه الكلمة الرقيقة تواجه الكلمة الغليظة {لأرجمنك} لهي دلالة واضحة على عظم حلمه عليه السلام.⁽³⁾

ومن حلمه أيضاً أنه عليه السلام أحكم عقله بما يرضي ربه في إصدار قرار حاسم بينه وبين من أحبه- أبيه - في البراءة منه فلم تمنعه شدة رفته وشفقته على أبيه من براءته منه لما تبين إصراره على كفره، فعند الكفر بالله وانتهاك محارم الله حدود لابد للمؤمن أن يُحَكِّم عقله بما يرضي ربه، فلا تمنع الرحمة والشفقة ذلك.⁽⁴⁾

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (412/2) // تفسير ابن أبي حاتم، الرازي، (2059/6).

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (333/9) // في ظلال القرآن، سيد قطب، (1913/4).

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (413 /2).

(4) انظر: المرجع السابق.

ثانياً: سبب تأوّه الكثير:

رقة قلبه وشدة إحساسه، فرط محبته لأولي قرياه.⁽¹⁾

ثالثاً: ماهية حلمه عليه السلام:

"عاقل صبور مدرك لمن ينبغي له أن يرحم، ومن يتبرأ منه".⁽²⁾

رابعاً: من حلمه عليه السلام وشفقته وعطفه يبدو واضحاً في قوله: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

عندما قال إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (إبراهيم: 36).

فهو عليه السلام لم يحكم بالعذاب على من عصاه، بل ترك أمره لله تعالى، فهو يرجو الرحمة لمن عصاه بشرط ألا يستمر في عصيانه، وأن يتوب من ذنبه، وليس معناه أن يطلب المغفرة لمن أشرك بالله.⁽³⁾

خامساً: فطرة إبراهيم عليه السلام القويمة هي التي ساعدته على إظهار هذه المشاعر الرقيقة العاقلة، وولدت عنده طبعاً سليماً في شخصيته عليه السلام التي تتمثل في تخلقه بالخُلُقَيْنِ العَظِيمَيْنِ - الأواه، والحليم - ويتضح ذلك من الآتي:

1- إشغال نفسه بنفسه؛ كلما ذكر لنفسه تقصيراً أو ذكر له شيء من شدائد الآخرة كان يتأوه إشفاقاً من ذلك واستعظماً له، فهو يكثر التأوه على نفسه مخافة من الله في أن يكون قد قصر في تبليغ الرسالة فيقع العذاب على الناس بسببه.⁽⁴⁾

2- يشغل نفسه بأمر الناس إن رأى منهم معصية فيحدث نفسه بما سوف يقع عليهم من عذاب.⁽⁵⁾ فهو عليه السلام أواه، لأن التأوه لون من ألوان السلوى يجعلها الله في قلوب بعض عباده للتسرية عن عباد له آخرين.

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، (3461/7).

(2) زهرة التفاسير، (3461 / 7).

(3) انظر: المرجع السابق، (8 / 4037).

(4) انظر: تفسير الشعراوي، (ص: 3752).

(5) انظر: المرجع السابق.

فطبعه ﷺ السليم في كثرة التأوه يسلكه مع كل الناس، فكيف إن كان له قريب عاص هو أقرب الأقرباء وأحب الأحباب هو أبوه فلا بد أن يكثر من التأوه مواساة لنفسه ليساعده في إنقاذه من هلاكه بالمعصية.⁽¹⁾

سادساً: فهنا طبع صحيح من إبراهيم ﷺ لكن لا ينبغي أن يكون في أمر يغضب الله، ويخل بالعقيدة الإسلامية، فأبوه مشرك والله وعد وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:48)، وإبراهيم وعد أباه المغفرة له عند ربه؛ لكن وعد الله هو الذي ينفذ وينقضي فلا راد لحكمه،⁽²⁾ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة:114) هذه الآية من سورة التوبة التي جاء سياقها من أولها إلى هذه الآية البراءة من الكفار والمنافقين في جميع الأحوال، ففي موقف إبراهيم مع أبيه بين الله وجوب البراءة من الكفار ولو كانوا أولي قرى، وما كان استغفار إبراهيم ﷺ لأبيه إلا وفاءً له بوعده إياه عندما قال: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم:47)، وقال أيضاً: ﴿وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء:86).

فلما أصر أبوه على كفره تبرأ ﷺ منه، ولما مات أبوه ولم يؤمن بتبين لإبراهيم ﷺ أنه مات كافراً، وأنه عدو لله، فلم تأخذه شفقتة ورحمته ورقة قلبه رافة بأبيه الكافر، تبرأ منه وترك الاستغفار له.⁽³⁾

سابعاً: خشية إبراهيم ﷺ وخوفه الشديد من الله في اتجاهين:

- 1- خوف إبراهيم ﷺ على أبيه من عذاب الله؛ لأنه عاص لله عندما قال: قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِي إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم:45) فهذا الخوف الشديد على أبيه متولد من فطرته السليمة، وطبعه في التأوه من شدة رقة قلبه ورفقة إحساسه.⁽⁴⁾
- 2- خوف إبراهيم ﷺ من الله وخشيته الشديدة منه؛ لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لا يرضاه الله، تمثل ذلك في براءته من أبيه الذي أشفق عليه؛ وذلك خوفاً من الله أن يكون قد عصاه في أمر

(1) انظر: تفسير الشعراوي، (ص:3753).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: تفسير القطان، (171/2).

(4) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (103/3) // التفسير الحديث، دروزة عزت، (545/9).

نهاه. (1)

ثامناً: موقف رائع يدل على عظمة حلمه ﷺ:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ؓ في قوله: (إن إبراهيم لأواه حلیم) قال: "كان من حلمه أنه كان إذا أذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله".⁽²⁾

تاسعاً: سبب تسمية إبراهيم ؑ بهذين الوصفين في هذا المقام:

لأن الله ﷻ وصفه بشدة رقة القلب، وشدة الشفقة والعطف، وشدة الخوف والوجل؛ لأن المرء إذا كان حلمه هكذا اشتد حلمه عند الغضب، فمن ذلك تعظم رفته مع أبيه فهو بذلك أواه، إلا أنه ومع هذه العادة غلظ قلبه على أبيه فتبرأ منه لما ظهر له إصراره على الكفر فهو ذلك حلیم.⁽³⁾

ب- مزايا حلم إبراهيم ؑ مع قوم لوط:

الله سبحانه وتعالى يعلل سبب مجادلة إبراهيم في قوم لوط؛ لأنه بليغ الحلم، وبليغ التأوه، وبليغ الإنابة، فأبراهيم ؑ عنده محاسن ثلاث ظهرت بيانها في جداله لقوم لوط كالتالي:

- 1- بليغ الحلم: لأنه يمهل صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل؛ لأنه ﷺ غير عجول على كل من أساء إليه.⁽⁴⁾
 - 2- بليغ التأوه: كثير التأوه من الذنوب، فهو المتأوه أسفاً على ما فات قوم لوط من الإيمان.⁽⁵⁾
 - 3- بليغ الإنابة: تائب وراجع إلى الله في أموره كلها بما يحب ربه ويرضى.⁽⁶⁾
- هذه المحاسن الثلاث في شخصه ﷺ تدل على رقة قلبه، ورأفته، وفرط رحمته، وسعة حلمه، فهذا هو السبب الذي دفعه على مجادلة قوم لوط، فهو مع ذلك لا يزال يتوقع منهم الخير.⁽⁷⁾

(1) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (103/3) // التفسير الحديث، دروزة عزت، (545/9).

(2) تفسير ابن أبي حاتم، الرازي، (11038/2058/6).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (167/8) // الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (412 / 2)

التفسير المنير، الزحيلي، (111 / 12).

(4) انظر: الكشاف، (412/2) // نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (555/3).

(5) انظر: المرجعين السابقين.

(6) انظر: نظم الدرر، (555/3) // التفسير المنير، (111 / 12).

(7) انظر: نظم الدرر، (555/3).

وحمله على ذلك أيضاً، رجاؤه في أن يرفع عنهم العذاب، ويؤخر نزوله عليهم، ويمهلوا، فيؤمنون بالله، ويتوبون عن المعاصي، وينوبون إلى الله، كما يفعل هو ﷺ بنفسه مع خالقه، فهو كثير التوبة والإنابة.⁽¹⁾

وهذا هو سمت الداعية إلى الله، يريد من كل الناس أن يؤمنوا بالله، ويحب الخير لكل الناس.

ثانياً: الحلم عند إسماعيل عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْلَانُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنِينَ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَرَكَتْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات: 99-113)

بيان تفسير الآيات:

أولاً: (رب هب لي من الصالحين):

لما ضاق صدر إبراهيم ﷺ من قومه عندما آذوه وحاولوا حرقه بعدما دعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع؛ فقابلوا ذلك بالإساءة والاستهزاء؛ فصبر ﷺ عليهم، وتحمل أذاهم كثيراً، ودعاهم إلى كلمة التوحيد مراراً وتكراراً؛ لكن لم يُغير ذلك فيهم شيئاً إلا الصدود عن الله والصمود على ما هم عليه من الكفر والعناد، فقرر ﷺ بأمر من الله إلى ترك تلك الديار والمهاجرة إلى بلاد أخرى، علّه يجد ما يُؤنسه في وحدته، ويُقوي عزمته في دعوته إلى

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (412/2) // التفسير المنير، الزحيلي، (12 / 111).

خالقه، فترك أرض العراق واتجه إلى أرض الشام حيث بيت المقدس، فقال سبحانه على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (الصافات:99).⁽¹⁾

لقد هاجر بعلم الله وإرادته، وقلبه مطمئن وموقن أن ربه سيرشده الطريق السويّ ويهديه إلى ما هو خير له.⁽²⁾

قال مقاتل: "لما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد".⁽³⁾ حينها دعى عليه السلام ربه بهذا الدعاء الجميل الذي يشعر بقربه من خالقه فقال سبحانه على لسانه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قال: "ولدًا صالحًا".⁽⁴⁾

أي طلب من ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا، أو بعض الصالحين يعينه على الدعوة والطاعة ويؤنسه في غربته عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم؛ لأن لفظ الهبة غلب عليه الولد.⁽⁵⁾

ثانيًا: (فبشرناه بغلام حلیم):

استجاب الله سبحانه لنبيه إبراهيم عليه السلام دعائه، فبشره بما طلب- أي بشره بالولد- لأنه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه إبراهيم عليه السلام، فبُشِرَ به على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة الأضياف، وتميزت هذه البشارة بأمر إلهي عجيب؛ وهي أنها بشارة انطوت في ثلاث بشارات:

أنه ابن ذكر، وأن هذا الغلام سيبلغ أوان اللحم، وأن هذا الغلام سيكون في المستقبل ولدًا حلیمًا.⁽⁶⁾

تفسير هذه البشارة:

- إنَّ الصبي لا يوصف باللحم ويكون حلیمًا؛ وأي لحم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (15/5) // تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (27/7) // البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري، (608/4).

(2) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (102/7).

(3) التفسير المظهر، محمد ثناء الله، (126/8) // روح البيان، الخلوتي، (473/7).

(4) تفسير ابن أبي حاتم، الرازي، (18221/3220/10).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9/ 73) // نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (9/ 333).

(6) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (15/5) // فتح القدير، الشوكاني، (463/4).

الذبح وهو صغير مراهق، فقال: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات:102) فبذلك ﷺ قد وصل إلى قمة الحلم.⁽¹⁾

- كان عمر إسماعيل ﷺ وقت الذبح ثلاث عشرة سنة، وقيل سبع سنوات، فاستسلام إسماعيل ﷺ لأمر الذبح وهو صغير لهو قمة الحلم.⁽²⁾

- إن من أعظم ما يميز الحلم والصبر عند أنبياء الله أنه: ما نعت الله نبيًا بالحلم لمعزة وجوده غير إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وحالهما المذكورة في كتاب الله تشهد بذلك.⁽³⁾

- في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْنَهُ بِلِغْلِيمٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات:101) أن هذا الغلام المبشر به سيكون حلِيمًا عند كبره؛ فكأنه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر وينتهي في السن ويوصف بالحلم فيصير حلِيمًا؛ لأن الصغير لا يوصف بالحلم، فهو غلام في صغره حلِيم في كبره.⁽⁴⁾

- إسماعيل أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم ﷺ وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد لإبراهيم ﷺ ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً.⁽⁵⁾

ثالثًا: (فلما بلغ معه السعي):

فوهبنا له الغلام، فلما كبر وترعرع ونشأ حتى صار إلى السن الذي بلغ فيه رتبة العقل الذي تقوم به الحجة، مشى مع أبيه وسعى معه في أمور دنياه معيّنًا له على أشغاله وحوادثه وجميع أعماله. وكان خير رفيق، ونعم الأنيس له على طاعة ربه والسعي لعبادته؛ حيث أنه بلغ سن الاحتلام وهو ثلاث عشر سنة.⁽⁶⁾

"وقد كان إبراهيم ﷺ يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعًا إلى هناك".⁽⁷⁾

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري، (608/4).

(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (131-130/3).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، (199/7) // البحر المديد، (608/4).

(4) انظر: البحر المديد، (608/4) // فتح القدير، الشوكاني، (608/4).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (27/7).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، (27/7) // إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (199/7).

(7) تفسير القرآن العظيم، (27/7).

رابعاً: ﴿ قَالَ يَبْنِي لِي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْخُكُ ﴾ (الصفات: 102):

يحتمل أنه رأى ذلك أي -الذبح وهو الفعل- وهو الأظهر في اللفظ، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾، ويحتمل أنه رأى ما هو تعبيره أي -أمر في المنام أن يذبحه- وهو الأظهر في قوله تعالى: ﴿ أَفَعَلَ مَا تُمُرُّ ۗ ﴾، والمعنى: إني رأيت في المنام هذه الرؤيا.⁽¹⁾

على جميع الأحوال رؤيا الأنبياء وحي وحق، سواء أنه رأى حقيقة الفعل أي أنه يذبح، أو أنه أمر في منامه أن يذبحه، فوجب عليه الامتثال على الوجهين.⁽²⁾

خامساً: (فانظر ماذا ترى):

من الرأي على وجه المشاورة لا من رؤية العين، فلم يُشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيعلم بذلك صبره على أمر الله، أم جزعه من أمر الله، ويعلم أيضاً مدى عزمته على طاعة ربه فيثبت قلبه وقدمه، ويوطن نفسه على الصبر إن جزع، وعليه إن سلم، ويراجع نفسه ويوطنها عليه؛ فيهون الأمر عليه، ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله.⁽³⁾

سادساً: (قال يا أبت أفت أفع ما تؤمر.. ستجدني إن شاء الله من الصابرين):

فأجابه إسماعيل عليه السلام بأحسن جواب وأفضل كلام مما يدل على عظمة تخلقه عليه السلام بالحلم والصبر امتثالاً لأمر ربه فقال: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: امض يا أبت لما أمرك ربك من ذبحي ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي: سأصبر على الذبح وأحتسب ذلك الأمر عند الله عز وجل، فصدق عليه السلام وعده مع ربه ولهذا قال عليه السلام: ﴿ وَأَذُكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (مريم: 54).⁽⁴⁾

- (1) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشافعي، (385/3).
- (2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (15/5)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (195/2).
- (3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (23/4) // التسهيل لعلوم التنزيل، (196/2) // إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (200/7).
- (4) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (131/3) // التسهيل لعلوم التنزيل، (196/2) // تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (28/7).

كان أمر الله ﷻ لإبراهيم ﷺ بالذبح في المنام دون اليقظة لحكمة بالغة؛ وهي أن أمر الذبح كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح، أي -الأب وابنه- فقد تغلب عاطفة الأبوة على تنفيذ أمر الله؛ لكن عليهما السلام كانا مطّوعين لأمر ربهما.⁽¹⁾

فجعل الله سبحانه هذا الأمر في المنام كالتوطئة لإبراهيم ﷺ، ثم تأكد له الأمر حال النوم مرات عدة، ثم تأكد ذلك بأحوال اليقظة، فإذا تظاهرت الحالتان كان أقوى في الدلالة.⁽²⁾

سابعاً: (فلما أسلما وتله للجبين):

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾:

أي استسلما وانقادا لأمر الله وخضعا له امتثالاً خالصاً وتطبيقاً جاداً لتنفيذ أمر ربهما ﷻ، وذلك أن إبراهيم ﷺ أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه بكل سكون وطمأنينة وحلم وصبر عظيم طواعية للرب الكريم.⁽³⁾

ثالثاً: الحلم عند شعيب عليه السلام:

قال الله ﷻ: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (هود:87).

نبي الله شعيب ﷺ وصفه قومه بالحليم استهزاءً، ووصفه ربه بالحليم امتناناً، وهذا النبي الذي قال عنه قومه ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾، ذكر ابن عباس: أرادوا السفيه الغاوي لأن العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديع سليم وللفلاة المهلكة مفازة.⁽⁴⁾

ذكر العلماء: أرادوا بالحليم الرشيد ضدهما أي: السفيه الضال الجاهل استهزاءً به، وسخرية منه، وقد تعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح على طريقة الاستعارة التهكمية؛ زيادة في التهكم والسخرية.⁽⁵⁾

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (23/4).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: لباب التأويل، (23/4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (131/3) // التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (196/2).

(4) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنتوجي، (231/6).

(5) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (233/4) // أوضح التفاسير، محمد الخطيب، (275/1).

قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: "قالوا ذلك له؛ استهزاء به وسخرية، كنا بالحلیم عن السفیه، وبالرشید عن الضال، أي: أنت السفیه حيث سفهت آباءنا في عبادتهم الأصنام، الضال حيث تركت ملتهم ومذهبهم".⁽¹⁾

وما هو كذلك ﷺ. إنه نعم العقل الراجح، والرأي السديد وهو يُحاور قومه ويتعامل معهم في قمة الحلم والهدوء والصبر وهم يعنون عكس هذه المعاني الطيبة، فالحلم والرشد عندهم أن يعبدوا ما يعبد آباؤهم بلا تفكير، وأن يفتلوا بين العبادة والتعامل في السوق!⁽²⁾
مظاهر الحلم عند شعيب عليه السلام:

1- فمن حلمه عليه السلام، أنه تطف مع قومه تطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، وهو يعرض عن تلك السخرية لا يبالئها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم.⁽³⁾

2- وتطف في إشعارهم أنه على بينة من ربه كما يجده في ضميره وقلبه وأنه على ثقة مما يقول؛ لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، وأنه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر مثلهم بنتائجها؛ لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات فهو لا يبغى كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله هو لتخلو له السوق.⁽⁴⁾

3- ومن حلم شعيب ﷺ أنه قال بكل لطف ورقة وحنان: ﴿ قَالَ يَنْقُومِ أَرَاءَ بَيْتِمُ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:88)، فلفظة (يا قوم) تدل على التودد والتقرب، والتذكير بالأواصر القريبة بينهم.⁽⁵⁾

4- ومن معاني الحلم، الرحمة والخوف الشديد من عذاب الله، وها هو شعيب ﷺ يذكر قومه بمن قبله من الأمم، (قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط) عل ذلك يلين قلوبهم الجاسية فيعودوا إلى رشدهم وهو يُذكّرهم بذلك حُباً لهم وشفقة عليهم من عقاب ربهم وعذابه.

(1) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (170/6).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1920/4).

(3) انظر: روح المعاني، الألوسي، (313/6) في ظلال القرآن، (1920/4).

(4) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (462/2) في ظلال القرآن، (1920/4).

(5) انظر: في ظلال القرآن، (1920/4).

قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ
أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود:89).⁽¹⁾

5- قوله: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ يدل على أن الحليم هو دائم التوبة والإنابة والرجوع إلى الله.

6- إن من قمة الحلم عند شعيب عليه السلام أنه يفتح لقومه وهم في مواجهة العذاب والهلاك باب المغفرة والتوبة، ويُطَمِعُهُمْ في رحمة الله والقرب منه بأرق الألفاظ وأحنها فيقول: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود:90)، لعل قلوبهم تنتفتح وتخضع وتلين، وتعلم أن ربها للذنوب غفور رحيم.⁽²⁾
إنه الحلم..

هو خلقٌ رفيقٌ للصبر، فقد قابل أنبياء الله أقوامهم بالدعاء لهم، فقد كان إبراهيم عليه السلام خير مثال للحلم، وكذلك إسماعيل عليه السلام، ونبي الله شعيب عليه السلام، والأجدر بالدعاة إلى الله التحلي بهذا الخلق العظيم مهما كانت الصعاب والابتلاءات.

(1) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (222/3) / تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1897/6).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1921/4).

المبحث السابع خلق الوفاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوفاء وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الوفاء عند أنبياء الله.

المبحث السابع خلق الوفاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوفاء وأهميته:

أولاً: مفهوم الوفاء:

الوفاء لغة:

(وفى): الواو والفاء والحرف المعتل: كلمة تدل على إكمال وإتمام. منه الوفاء: إتمام العهد وإكمال الشرط، يُقَالُ: (وَفَى) بِعَهْدِهِ (وَفَاءً) وَ (أَوْفَى) فَهُوَ (وَفِي) بِمَعْنَى تَمَّ الْعَهْدَ وَلَمْ يَنْقُضْ حَفْظَهُ.⁽¹⁾

الوفاء: ضدُّ العَدْرِ، وهو ترك (الحفظ)، ويقولون: أوفيتك الشيء، إذا قضيته إياه وافية. وتوفيت الشيء واستوفيته، إذا أخذته كله.⁽²⁾

(وَفَى) الشَّيْءَ يَفِي وَيَالْكَسْرِ (وُفِيًّا) عَلَى فُعُولٍ أَيْ تَمَّ وَكَثُرَ.⁽³⁾

و (الْوَفِيُّ) بمعنى الوافي. قال الراغب: "الوافي: الذي بلغ التمام من كل شيء"، قال تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (الإسراء:35).⁽⁴⁾

و (أَوْفَى) حَقَّهُ و (أَوْفَاهُ) حَقَّهُ و (اسْتَوْفَى) حَقَّهُ و (تَوَفَّاهُ) حَقَّهُ بِمَعْنَى، أَيْ أَنْتَمَّه وَلَمْ يَنْقُضْ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ أَوْفَى الْكَيْلَ أَيْ أَنْتَمَّه وَلَمْ يَنْقُضْ مِنْهُ شَيْئًا.

و (وَفَّاهُ تَوْفِيَةً) بِمَعْنَى، أَيْ أَعْطَاهُ (وَافِيًا). وَ (تَوَفَّى) الْقَوْمَ تَنَامُوا.

يُقَالُ أَوْفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَوَفَيْتُ بِالْعَهْدِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة:1)،

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء:34).⁽⁵⁾

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (129/6).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (398/15) / مختار الصحاح، الرازي، (ص:343).

(3) انظر: القاموس المحيط، القيروزي، (448/1).

(4) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، (ص:878).

(5) انظر: لسان العرب، (398/15) / مختار الصحاح، (ص:343).

الوفاء اصطلاحًا:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الوفاء على النحو التالي:

قال الجرجاني: "الوفاء: هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهد الخطاء".⁽¹⁾

وقال الجاحظ: "الوفاء: هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه ويبرهنه به لسانه، والخروج مما يضمنه، وإن كان مجحفاً به".⁽²⁾

وقال الرّاعب: "الوفاء أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أنّ الوفاء: صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما، لأنّ فيه مع الكذب نقض للعهد".⁽³⁾

وذكر أيضاً: الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه.⁽⁴⁾

الفرق بين الوفاء والصدق:

"قيل: هما أعم وأخص، فكل وفاء صدق، وليس كل صدق وفاء، فإنّ الوفاء قد يكون بالفعل دون القول، ولا يكون الصدق إلا في القول؛ لأنّه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول".⁽⁵⁾

رأي الباحثة:

الوفاء هو: أن يؤدي المسلم كل ما عليه من حقوق وواجبات بكل كمال وتمام بصدق اللسان والفعل معاً تجاه الله تعالى بالحب والطاعة، وتجاه الناس بالصدق والأمانة.

ثانياً: فضل وأهمية الوفاء:

جاء الإسلام ليؤكد على خلق الوفاء بوصفه أساساً لقوامة الاجتماع البشري، فهو خلق عظيم وأدب فذ، به صلاح العبادات والمعاملات، وغياب البغضاء والشحناء، وهو قيمة إنسانية وأخلاقية عظيمة لأنّه يُرسي دعائم الثقة في الأفراد ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع، ومما يدل على فضل الوفاء وأهميته ما يلي:

(1) التعريفات، (253/1).

(2) تهذيب الأخلاق، (ص:24).

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، (209/1).

(4) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، (878/1).

(5) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص:575).

- 1- أن الله هو صاحب الوفاء الأوفى والأشمل والأعلى فيقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ (التوبة:111) ، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ (البقرة:80).⁽¹⁾
- والوفاء بالوعد كالوفاء بالعهد سواء بسواء حيث إن الوفاء بالوعد صفة من صفاته سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (يونس:55)، وقال ﷺ: ﴿وَعَدَ لَا إِلَهَ تَخْلَفُ اللَّهُ أَلَمِيعَادَ﴾ (الزمر:20).⁽²⁾
- 2- أن الوفاء صفة الأنبياء الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام فجاء في وصف نبي الله إبراهيم عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة:114) وقال عنه في موضع آخر: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ وفي وصف ابنه إسماعيل عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم:54).⁽³⁾
- 3- أن الوفاء بالعهد دليل على صدق انتماء المرء لدينه⁽⁴⁾ فالرسول ﷺ يقول: ﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ﴾.⁽⁵⁾
- 4- أن الله تعالى أمر بأداء هذا الخلق مع الخالق والخلق فقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:43) وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:1).⁽⁶⁾
- 5- أن الله وهب حبه ورضاه لمن يوفي بعهده من عباده وَيُؤْفِيهِ عَنْ تَقْوَى، فقال سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:76).⁽⁷⁾

(1) انظر: مكارم الأخلاق، أحمد السمر، (ص:180).

(2) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص:109).

(3) انظر: المرجع السابق.

(4) انظر: مكارم الأخلاق في الإسلام، الأسمر، (ص:180).

(5) أخرجه أحمد في صحيحه، مسند أنس بن مالك، (13637/231/21)، قال الألباني: صحيح.

(6) انظر: خلق المؤمن، مصطفى مراد، (ص:186).

(7) انظر: الأخلاق في الإسلام، (ص:107)/ خلق المؤمن، (ص:186).

6- أن الله أثنى على المؤمنين الملتزمين بعهد الله ووصفهم بأنهم أهل صدق وتقوى وأنه من كمال البر الجامع لأعمال الخير، فقال ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177).⁽¹⁾

7- أخبر سبحانه عن المؤمنين الحافظين للعهود والراعيين للمواثيق أنهم هم المؤمنون حقًا في معرض ذكر صفات المؤمنين، فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: 8).⁽²⁾

8- أكرم الله ﷺ الموفين بالعهود والمحافظين على المواثيق ثوابًا عظيمًا وأجرًا جزيلاً في جنات عدن، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَمِيثَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسِيَعَةً أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: 19-24)، وقال سبحانه عن المؤمنين الذين بايعوا الله ورسوله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 10).⁽³⁾

9- حذر النبي من الغدر في العقد والنكث في العهد وأخبر أنه من صفات المنافقين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ﴾.⁽⁴⁾

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، كايد قرعوش، (ص: 106-107) // خلق المؤمن، مراد، (ص: 186).

(2) انظر: مكارم الأخلاق في الإسلام، الأسمر، (ص: 180).

(3) انظر: خلق المؤمن، (ص: 186) // الأخلاق في الإسلام، (ص: 107).

(4) سبق تخريجه، (ص: 43)،

المطلب الثاني: خلق الوفاء عند أنبياء الله

أولاً: الوفاء عند إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم:37).

لقد أتى الله ﷻ على نبيه إبراهيم ﷺ بوصفٍ عظيم وخلق جميل إنه خُلِقَ الوفاء، فقال:

﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.

بيان تفسير الآية:

قال تعالى (وفى) بالتضعيف ولم يقل (وفى)؛ لأن وفى أبلغ من وفى لأن إبراهيم ﷺ امتحن أعظم المحن ووفى بها كلها.⁽¹⁾

إبراهيم ﷺ قام بجميع ما أمر به وأمتحن، وفي كل مقام من مقامات الدعوة، كان له أثر واضح من الوفاء:

أنه ﷺ بلغ رسالات الله إلى خلقه.⁽²⁾

أنه ﷺ وفى بجميع شرائع الإسلام وبما فرض الله عليه على الوجه الأحسن.⁽³⁾

أنه ﷺ استكمل الطاعة عندما وفى بما رآه في منامه من ذبح ابنه فامتثل لأمر ربه.⁽⁴⁾

أنه ﷺ امتحن بعداوة قومه له حين أجمت له النيران وطرح فيها، فصبر واحتمل آذاهم فوقى بطاعة ربه، عندما واصل الدعوة إلى خالقه.⁽⁵⁾

أنه ﷺ وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار؛ لأنه كان يقول كلما أصبح

وأمسى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم:17).⁽⁶⁾

(1) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (75/5).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (16/2) / الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (113/17).

(3) انظر: جامع البيان، (16/2) / تفسير القرآن العزيز، ابن زنين، (313/4).

(4) انظر: جامع البيان، (16/2) / معاني القرآن وإعرابه، (75/5) / كتاب التوحيد وقرّة العيون في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، التميمي، (ص:32).

(5) انظر: معاني القرآن وإعرابه، (75/5).

(6) انظر: جامع البيان، (16/2) / الجامع لأحكام القرآن، (113/17).

أنه ﷺ وفى بما أرسل به وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَمِنْهَا مِرْبَعٌ حَرِشٌ﴾ (النجم: 38)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْخُذُونَ الرَّجُلَ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَيَأْخُذُونَ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ فِي الْقَتْلِ وَالْجِرَاحَةِ، فَيَقْتُلُ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ وَابْنَهُ وَأَخِيهِ وَعَمَّهُ وَخَالَهِ وَابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ وَرَوْجَتَهُ وَرَوْجَهَا وَعَبْدَهُ، فَبَلَغَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَمِنْهَا مِرْبَعٌ حَرِشٌ﴾ (النجم: 38).⁽¹⁾

أنه ﷺ دَعَاهُ رَبُّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ: ﴿أَسْلِمْتَ﴾ فاستجاب لأمر ربه فقال ﷺ: ﴿أَسْلَمْتُ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.⁽²⁾

أنه من تمام وفائه وكمال إحسانه ﷺ، أنه وفى بألوان الوفاء كلها مع الله ومع الناس ومع النفس فكملت هذه الخصال الطيبة لنبي الله إبراهيم ﷺ، وقد ذكر ابن عباس ؓ ما يوضح ذلك فقال: (ما ابتلي أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتته، فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، فذكر عشرًا في "براءة" فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾، وعشرًا في "الأحزاب": ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرًا في "سورة المؤمنون" إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهمًا)⁽³⁾، وبيان ذلك في التالي:

عشرًا في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 112).

عشرًا في المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: 1-9).

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (113/17).

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (8/2).

وعشراً في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَدِينَ وَالْقَدِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 35).

لقد وفى ﷺ بثلاثين خصلة لها أكمل الخصال وأشرفها وأعظمها عند رب العالمين.

ثانياً: الوفاء عن إسماعيل عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

بيان تفسير الآية:

الآية الكريمة تُبَيِّنُ خُلُقَ الْوَفَاءِ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ﷺ فنقول:

واذكر يا محمد في الكتاب لقومك إسماعيل بن إبراهيم فاقصص خبره واذكر وصفه لكي يتأسوا به في صفاته الحميدة.

إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف عهده، إنه كان إذا وعد ربه أو عبداً من عباد الله وعداً وفى به.⁽¹⁾

فكان وفاؤه ﷺ وفاءً عاماً فيما بينه وبين الله، وبينه وبين الناس فاشتهر ﷺ بذلك، وقد ذكر مجاهد وابن جريح ما يؤكدوا به على وفاءه: أنه لم يعد ربه بوعده قط إلا وفى له به على حقه.⁽²⁾

وقد خُصَّ ذكر إسماعيل ﷺ وفُصِّلَ عن أبيه إبراهيم وأخيه إسحاق في هذه الآيات الكريمات؛ لإبراز كمال الاعتناء بأمره، وتنبيهها على جدارته بالاستقلال بالذكر عقب ذكر إبراهيم وإسحاق؛ لأن إسماعيل صار جد أمة مستقلة؛ ولأن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم وشريكه في بناء الكعبة حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: 127)⁽³⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (211/18) // التفسير الوسيط، طنطاوي، (46/9).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (211/5) // زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، (135/3).

(3) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري، (342/3) // التحرير والتنوير، ابن عاشور، (129/16).

قال المفسرون: إنما وصف إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد لأنه أوفى بأعظم وعد صدقه على نفسه بالصبر على ذبح أبيه له فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصفات:102)؛ فصبر على ذلك إلى أن ظهر الفداء، وصدق الوعد دلالة حفظ العهد.⁽¹⁾

وقد خصه تعالى بوصف صدق الوعد وإن كان غيره من الأنبياء كذلك، تشريعاً له وتكريماً، ولأنه عليه السلام عانى في الوفاء بالوعد ما لم يعانیه غيره من الأنبياء فأثى عليه، ولأنه خُلق اكتمل شهرته به، وأصبح خلقاً عظيماً في ذريته من بعده.⁽²⁾

إنه الوفاء..

يجب على الداعية أن يتحلى بالأخلاق الحسنة والعمل بها طيلة حياته، ولعل خُلق الوفاء من أعظم الأخلاق التي اتّصف بها نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام؛ فالوفاء هو طريق تنفيذ العهود والوعود، والمؤمن عند وعده، والداعية أحرى بكل هذه الصفات.

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الأنجري، (342/3) // تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (211/5).
 (2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (114/11) // زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، (135/3) // التحرير والتتوير، ابن عاشور، (129/16) // التفسير الوسيط، طنطاوي، (46/9).

المبحث الثامن خلق الإخلاص

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإخلاص وأهميته.

المطلب الثاني: خلق الإخلاص عند أنبياء الله.

المبحث الثامن خلق الإخلاص

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإخلاص وأهميته:

أولاً: مفهوم الإخلاص:

الإخلاص لغة:

قال ابن فارس: "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خلصته من كذا وخلص هو".⁽¹⁾

والإخلاص: خَلَصَ يَخْلُصُ خُلُوصًا، صفا وزال عنه شوبه، ويقال خلص من ورطته سلم منها ونجا، ويقال خلصه تخليصًا: أي نجاه، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء.⁽²⁾

وقال ابن منظور: "خلص الشيء بالفتح، يخلص خلوصًا وخلاصًا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وأخلصه وخلّصه وأخلص دينه لله أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره".⁽³⁾

الإخلاص اصطلاحًا:

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإخلاص، تذكر الباحثة هنا بعضًا منها:

قال الكفوري: "الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السر والقول والعمل".⁽⁴⁾

وقال المناوي⁽⁵⁾: "الإخلاص تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه، فكل ما يتصور أنه يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمى خالصًا".⁽⁶⁾

(1) معجم مقاييس اللغة (208/2).

(2) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص:94) // المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (249/1).

(3) لسان العرب، (26/7).

(4) الكليات، (ص:64).

(5) المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تأليفه. له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه: (كنوز الحقائق) في الحديث، و(التيسير) في شرح الجامع الصغير، و(الصفوة) في مناقب آل البيت، و(التوقيف على مهمات التعاريف) ذيل لتعريفات الجرجاني. انظر: الأعلام، الزركلي، (6/204)، (3/65).

(6) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص:42).

وقال الجرجاني: "الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى، وقيل هو تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه الفطري".⁽¹⁾

وذكر ابن القيم أن الإخلاص هو: إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.⁽²⁾

ومما ورد في تعريف الإخلاص: "أنه تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك".⁽³⁾

حقيقة الإخلاص:

وحقيقة الإخلاص يمكن الوصول إليها من خلال بعض الأقوال والتي منها:

أن الإخلاص حقيقته الصدق في النية والقول والعمل، فيما يتعلق بحقوق الله تعالى وفيما يتعلق بحقوق المخلوقين.⁽⁴⁾

وذكر أن حقيقة الإخلاص: "هي أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده".⁽⁵⁾ وذكر أن حقيقة الإخلاص: "التبريء عن كل ما دون الله تعالى، وأما الإخلاص في الدين فهو إخلاص المسلمين أنهم قد تبرعوا مما يدعي اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث، قال تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الأعراف: 29)، وقال ﷺ: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ (النساء: 146).⁽⁶⁾

رأي الباحثة:

وبعد الوقوف على معنى الإخلاص وحقيقته ترى الباحثة أن الإخلاص هو قصد الله تعالى وإفراده بالطاعات في جميع الأحوال والأعمال دون أن يشوبها الرياء أو التصنع طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162)، ويكون الإخلاص بالتجرد عن جميع الشوائب.

(1) التعريفات، (ص: 13-14).

(2) انظر: مدارج السالكين، (91/2).

(3) معارج التفكير ودقائق التدبر، حبنكة الميداني، (276/1).

(4) انظر: طريقك إلى الإخلاص والفقهاء في الدين، الرحيلي، (13/1).

(5) الخلق الحسن في ضوء الكتاب السنة، القحطاني، (ص: 26).

(6) انظر: الموسوعة القرآنية، الأبياري، (174/8).

ثانياً: فضل وأهمية الإخلاص:

- 1- لقد أمر الله تعالى جميع المكلفين من إنس وجن بالإخلاص، وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: 5).
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر: 2-3).⁽¹⁾
- 2- يعتبر الإخلاص من أهم أعمال القلوب، فهو حقيقة الدين، وهو الفارق بين التوحيد والشرك، فلا تقبل الأعمال إلا به، وهو سبيل القلب وماء حياته، ومدار الفلاح كله عليه، وقد ذكر أن علامة الدين الإخلاص لله، وعلامة العلم خشية الله.⁽²⁾
- 3- إن الإخلاص شرط لصحة العمل، فلا يقبل الله تعالى عملاً بدونه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: 88-89).⁽³⁾
- 4- الإخلاص طريق للنجاة من عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (الصافات: 38-40).
- 5- الإخلاص وسيلة لصرف السوء والفحشاء فقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ (يوسف: 24)، فيوسف عليه السلام مخلص لربه صادق الإخلاص في تصرفاته يبتغي بها رضوان الله وثوابه، وهو مخلص من قبل ربه، صفاه الله ونفاه من الشوائب، واختاره نبياً ورسولاً.⁽⁴⁾
- 6- بالإخلاص يكون الإنسان في منأى من إغواء إبليس، إذ ليس له عليهم من سبيل. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (ص: 82-83).

(1) انظر الإخلاص والنية، ابن أبي الدنيا، (ص: 32).

(2) انظر: المرجع السابق. (ص: 32).

(3) انظر طريقك إلى الإخلاص والفقہ في الدين، الرحيلي، (ص: 37).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 410).

7- مما يدل على أهمية الإخلاص كم الآيات الواردة في هذا الموضوع، فمن خلال تتبع الآيات تتبين أن عدد الآيات المكية والمدنية المشتملة على لفظة الإخلاص أو أحد مشتقاتها اثنتين وعشرين آية، وهذا يشير بوضوح إلى مدى عناية القرآن الكريم ببناء النفوس وتخليصها من كل شائبة.⁽¹⁾

المطلب الثاني: خلق الإخلاص عند أنبياء الله

أولاً: الإخلاص عند يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:24).

أولاً: جو الآية:

يدور جو الآية حول المحنة العظيمة التي تعرض لها يوسف عليه السلام وهو في بيت العزيز، حيث أن زوجة عزيز مصر تهتم به، وتؤذيه بزینتها، وتتهيا له للوقوع في الفاحشة والزنا، بل وتدعوه لذلك، وتتوعده إن لم يفعل ذلك سيسجن أو يعذب، ولكن يُظهر يوسف عليه السلام التقوى والخوف من الله تعالى، ويظهر له برهان الإيمان الذي في قلبه، فينجز عن سوء وعن الفحشاء، لأنه من عباد الله المخلصين.

ثانياً: مظاهر الإخلاص عند يوسف عليه السلام:

من معاني الإخلاص الواردة في وصف يوسف عليه السلام من خلال الآية ما يلي:

- 1- أن يوسف عليه السلام من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار.⁽²⁾
- 2- وفي معرض الدفاع عن يوسف عليه السلام، ذكر أن الله تعالى لم يذكر عنه ذنباً؛ بل صرف عنه السوء والفحشاء، وهذا فيه دلالة على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء، وكل ما صدر عنه عليه السلام أنه همّ همّاً تركه الله، ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاقه، وذلك إنما يكون إذا قام مقتضى للذنب - وهو الهم - وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله؛ فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:201).⁽³⁾

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، (ص:238).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (382/4) // مختصر ابن كثير، الصابوني، (246/2).

(3) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الفوزان، (ص:191).

وقد جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: { قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاتَّكَبُهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُهَا عَشْرًا }⁽¹⁾.

وذكر الطبري أنه قرأت (المخلصين) بكسر اللام وهي تحمل معنى أن يوسف عليه السلام من عباد الله الذين أخلصوا في التوحيد والعبادة، ولم يشركوا به شيئاً ولم يعبدوا إلا الله، وقرئت (المخلصين) بفتح اللام بمعنى أن يوسف من عباد الله الذين أخلصهم الله تعالى لنفسه واختارهم لنبوته ورسالته، والقراءتان متفقتان في المعنى وذلك أن من أخلصه الله تعالى لنفسه واختاره فهو مخلص لله التوحيد والعبادة، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ولم يشرك بالله فهو من أخلصه الله.⁽²⁾

ثانياً: الإخلاص عند موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم:51).

أولاً: جو الآية:

بعد أن ذكر الله تعالى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، جاء ذكر موسى عليه السلام في هذا الموضع ليبين أنه أشرف نبي من ذرية إسحاق ويعقوب.⁽³⁾

ثانياً: مظاهر الإخلاص عند موسى عليه السلام:

من معاني الإخلاص الواردة في وصف يوسف عليه السلام من خلال الآية ما يلي:

1- ذكر أن الإخلاص هو الرسالة بقريئة المقام، وقد خص موسى عليه السلام بهذه الميزة لأمرين:
الأول: أنه أخلص في الدعوة إلى الله تعالى، فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون وجادله مجادلة الأكفاء، فكان الإخلاص في أداء أمانة الله تعالى.

الثاني: أن الله تعالى اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه الملك بالوحي؛ فكان مخلصاً لذلك أي مصطفى.⁽⁴⁾

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان/ باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسئنة لم تكتب، (128/117/1).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (100/13).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (126/17).

(4) انظر: المرجع السابق، (127/17).

2- وذكر الطبري أن موسى عليه السلام كان مخلصاً لعبادة الله، مخلصاً للرسالة والنبوة. وهذا ما رجحه الطبري من خلال قراءة مخلص بكسر اللام ومعناها: أنه يخلص لله العبادة، ويفرده بالألوهية من غير أن يجعل له فيها شريكاً، وقراءة مخلص بفتح اللام بمعنى أن موسى عليه السلام كان الله قد أخصه واصطفاه لرسالته وجعله نبياً ورسولاً.⁽¹⁾

3- وذكر في معنى مُخْلِصاً أنه معصومٌ من الكفر والمعاصي، و(مُخْلِصاً) بالكسر أنه مخلصٌ في العمل.⁽²⁾

4- وذكر القاسمي أنه كان مُخْلِصاً بكسر اللام أي أخلص العبادة عن الشرك، وأسلم وجهه لله، وبالفتح بمعنى اصطفاه الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ (الأعراف:144).⁽³⁾

إنه الإخلاص..

فيجب على الداعية التزام الإخلاص في النية والقول والعمل، وأن يتحرى كلماته وأساليب تعامله كي لا يدخل مدخل الرياء يوماً، وكي يكون العمل كاملاً بالإخلاص ليلقى القبول بإذن الله.

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (209/18).

(2) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (377/2).

(3) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (103/7).

المبحث التاسع خلق الحكمة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحكمة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الحكمة عند أنبياء الله.

المبحث التاسع خلق الحكمة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحكمة وأهميتها:

أولاً: مفهوم الحكمة:

الحكمة لغة:

(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، ويقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه، وحكمت فلاناً تحكيماً منعه عما يريد، والحكم المجرب المنسوب إلى الحكمة.⁽¹⁾

والحكمة ما أحاط بحنكي الفرس، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها حتى تمنعها من الجماع، ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل.⁽²⁾
"والحكيم: المنقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيماً قد أحكمته التجارب".⁽³⁾

الحكمة اصطلاحاً:

من معاني الحكمة في الاصطلاح الآتي:

- 1- "الحكمة هي اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه".⁽⁴⁾
- 2- وقال ابن القيم: "إن الحكمة هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي".⁽⁵⁾
- 3- قال النووي: "الحكمة هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك".⁽⁶⁾

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (91/2).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (144/12) // المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (ص:145).

(3) لسان العرب، (143/12).

(4) منازل السائرين، الهروي، (ص:78).

(5) مدارج السالكين، (449/2).

(6) شرح النووي على صحيح مسلم، (33/2).

معاني الحكمة في القرآن الكريم:

تطلق الحكمة في القرآن على عدة معاني منها:

- 1- الحكمة بمعنى السنة، قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 151)
- 2- الحكمة بمعنى النبوة، قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص: 20).
- 3- الحكمة بمعنى الفقه، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: 269).⁽¹⁾
- 4- الحكمة بمعنى الفهم وحجة العقل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ (لقمان: 12)، وذكر هنا أن الله تعالى قد امتن على لقمان بالحكمة وهو العلم بالحق على وجهه، وحكمته هي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام.⁽²⁾
- 5- الحكمة بمعنى العظمة أو الموعظة، قال تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذُرُ ﴾ (القمر: 5).
- 6- الحكمة بمعنى القرآن، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: 125).
- 7- الحكمة بمعنى علوم القرآن، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (البقرة: 269).

ورود عن ابن القيم قوله: "الحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب، فالمفردة فسرت بالنبوة، وفسرت بعلم القرآن. قال ابن عباس: هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: هي القرآن والفهم فيه، وقال ماهد: هي القرآن والعلم والفقه، وقال الحسن: هي الورع في دين الله، وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة".⁽³⁾

(1) انظر: : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، الجوزي، (262/1).

(2) انظر: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، السعدي، (ص: 648).

(3) تفسير القرآن، ابن القيم، (ص: 231).

ثانياً: فضل وأهمية الحكمة:

الحكمة هي وصل بين القلوب بالمواخاة، وبين الحقوق بالمساواة، وبين النفوس بالمصافاة وتبرز أهميتها من خلال النقاط التالية:

1- الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله بالحكمة؛ لتكون دعوته أنوط بالقلوب، وألصق بالعقول، وأقرب إلى النفوس، وأجدر بالاستجابة، قال تعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:125).

2- أن الله تعالى نسبها إلى نفسه، وجعل ابتاءها من عنده، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة:269).

3- ان الله تعالى مدحها لاشتمالها على الخير الكثير فقال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة:269).

4- أمر الله بها مطلقاً من غير تقييدها بالحسنة؛ لأنها حسنة بذاتها، قال تعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:125).⁽¹⁾

5- أنها ضالة المؤمن متى وجدها فهو أحق الناس بها.

6- أنها موضع تحاسد وغبطة، لشرفها ومكانتها فقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال ﷺ: ﴿ لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحقل، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها ﴾.⁽²⁾

7- تظهر أهمية الحكمة بمعرفة آثارها التي فيها: الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق، وبأكثر النتائج، وأقل الخسائر، ومنها تقريب القلوب من الدعوة والدعاة، وإزالة الشحناء والبغضاء.⁽³⁾

(1) انظر: مكارم الأخلاق في الإسلام، أحمد الأسمر، (ص:682-683).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/باب: فَضْلُ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلُ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فَهْمِهِ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، (816/559/1).

(3) انظر: مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (28/126).

8- الحكمة سبب في تأليف القلوب، واستقطاب النفوس، وجذب الأرواح إلى السبيل القويم حيث إن الصدامية والفظاظة والعنت، لا تتوافق مع الخير والدعوة إلى الخير، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (ال عمران: 159)، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34).⁽¹⁾

المطلب الثاني: خلق الحكمة عند أنبياء الله

(داود وسليمان عليهم السلام)

جاء الحديث عن داود وسليمان عليهما السلام والنعم التي من الله بها عليهم في مواضع عدة من كتاب الله، وبعض الآيات كانت تفرد الحديث عن فضل ونعم كل نبي على حدة، والبعض كان يجمعها في نسق واحد، وسنعرض لذلك بالتفصيل في هذا المطلب إن شاء الله تعالى.

أولاً: الحكمة عند داود وسليمان عليهما السلام:

أ- قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۗ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 78-79)

جو الآية:

تضمنت الآية مظهرًا من مظاهر العدل والفقہ في الدين، وخلاصة ما جاء فيها أن داود عليه السلام جلس للقضاء بين الناس وكان ابنه سليمان حينئذ يافعًا وكان يجلس خارج باب بيت القضاء، فاختم رجلا إلى داود أحدهما عامل في حرث والآخر راعي غنم، فدخلت الغنم الحرث ليلاً فأفسدت ما فيه، فقاضى داود أن تعطى الغنم لأصحاب الحرث إذا كان ثمن تلك الغنم يساوي ثمن ما تلف من الحرث، فخرج الخصمان وقصى على سليمان أمرهما فقال: لو كنت مكانك قاضيًا لحكمت بغير هذا، فلما بلغ داود عليه السلام ذلك أرسل في طلب سليمان وسأله بماذا كنت تقضي؛ فقال: إنني رأيت ما هو أرفق بالجمع وهو أن يأخذ أصحاب الغنم الحرث يقوم عليه عاملهم ويصلحه عامًا كاملًا حتى يعود كما كان ويرده إلى أصحابه، ويأخذ أصحاب الحرث الغنم فينتفعوا من ألبانها

(1) انظر: مكارم الأخلاق في الإسلام، أحمد الأسمر، (ص: 683).

وأصوافها ونسلها فإذا كمل الحرث وعاد إلى حاله الأول صرف كل فريق إلى ما كان عليه، فقال داود وُفقت يا بني وقضى فيهما بذلك.⁽¹⁾

مظاهر الحكمة في القصة عند داود وسليمان عليهما السلام:

1- تدل القصة على أن حكم داود وسليمان عليهما السلام قد وقع في قضية واحدة وفي وقت واحد والحكمان لم يكونا عن وحي الله وإنما عن علم واجتهاد من داود وسليمان عليهما السلام، فقد حكم كل منهما بما يراه مناسباً ويحقق المصلحة فقد كان حكم داود عليه السلام مستنداً إلى غرم الأضرار على المتسببين في إهمال الغنم، وحكم سليمان عليه السلام مستند إلى إعطاء الحق لذويه مع إرفاق المحققين باستيفاء مالهم إلى حين وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.⁽²⁾

2- وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ تدل على أن فهم سليمان في القضية كان أعمق، والله تعالى أرد أن يظهر علم سليمان عند أبيه ليزداد سروره به.⁽³⁾

3- أثبت الله تعالى من خلال الآية تميز سليمان عليه السلام دون أن يذم بداود عليه السلام.⁽⁴⁾

ب- قال تعالى: ﴿وَوَرِّثْ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وَقَالَ يَتْلُوهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل:16).

داود عليه السلام أوتي الملك مع النبوة والعلم، وفي هذه الآية الكريمة لم يذكر الملك هنا في صدد الحديث عن نعمة الله عليه وعلى سليمان إنما ذكر العلم؛ لأن الملك أصغر من أن يذكر في هذا المجال!.

قوله: ﴿وَوَرِّثْ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ والمفهوم أنها وراثة العلم، لأنه هو القيمة العليا التي تتناسب الذكر في هذا المقام.⁽⁵⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (116/18).

(2) انظر: المرجع السابق، (116/18).

(3) انظر: التحرير والتنوير، (117/18-118).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (356/5).

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2634 /5).

ج - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل:15).

خبر تقريرى عن أبرز النعم التي أنعم الله بها على داود وسليمان - عليهما السلام - نعمة العلم. فأما عن داود فقد ورد تفصيل ما آتاه الله من العلم في سور أخرى.

منها تعليمه الترتيل بمقاطع الزبور، ترتيلا يتجاوب به الكون من حوله، فتؤوب الجبال معه والطير، لحلاوة صوته، وحرارة نبراته، واستغراقه في مناجاة ربه، وتجرده من العوائق والحواجز التي تفصل بينه وبين ذرات هذا الوجود، ومنها تعليمه صناعة الزرد وعدة الحرب، وتطويع الحديد له، ليصوغ منه من هذا ما يشاء.⁽¹⁾

ومنها تعليمه القضاء بين الناس، مما شاركه فيه سليمان.

وأما سليمان ففي هذه السورة تفصيل ما علمه الله من منطق الطير وما إليه بالإضافة إلى ما ذكر في سور أخرى من تعليمه القضاء، وتوجيه الرياح المسخرة له بأمر الله.

ثانياً: الحكمة عند داود عليه السلام

أ - قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (ص:20)

وقال تعالى: ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (البقرة:251).

فقد وردت هاتان الآيتان في وصف داود عليه السلام:

وقيل معنى الحكمة هنا النبوة، وقيل العدل، وقيل العلم بكتاب الله تعالى، وقيل العلم والفقه، وفصل الخطاب معناه: الفصل في القضاء.⁽²⁾

وقيل إن الحكمة هي النبوة والإصابة في الأمور، وفصل الخطاب: بيان الكلام، وقيل علم الحكم والتبصر في القضاء.⁽³⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/2633).

(2) انظر: الجامع في أحكام القرآن، القرطبي، (15/146).

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، النحوي، (7/77).

وقيل إن الحكمة في الأعم: العلم بالأشياء كما هي والعمل بالأمور كما ينبغي، والمعنى أن داود عليه السلام أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلم جاء بكلام فاصل بين الحق وبين الباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء.⁽¹⁾

فقوله تعالى يوضح ذلك: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ. وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾

كان داود عليه السلام ذا ملك عظيم وخير وفير، فكان عليه السلام ملكه قويا عزيزا، وكان يسوسه بالحكمة والحزم جميعا.

وقد آتاه الله فصل الخطاب: أي قطعه والجزم فيه برأي سديد لا تردد فيه.

إنها قمة النعم لنبي الله داود عليه السلام، فمع الحكمة والعلم والقوة في الملك عظم عنده الحكم والسلطان.

ومع هذا كله فقد تعرض داود للفتنة والابتلاء وكانت عين الله عليه ترعاه وتقود خطاه، وكانت يد الله معه تكشف له ضعفه وخطأه، وتوقيه خطر الطريق وتعلمه كيف يتوقاه.⁽²⁾

ب- ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص:26).

هي الخلافة في الأرض التي أمر الله بها نبيه داود عليه السلام، والحكم بين الناس بالحق، وعدم اتباع الهوى. واتباع الهوى- فيما يختص بنبي- هو السير مع الانفعال الأول، وعدم التريث والتثبیت والتبيين.. مما يؤدي به إلى الضلال عن سبيل الله. مما يعرض نفسه إلى العذاب الشديد يوم الحساب.⁽³⁾

ثالثاً: الحكمة عند سليمان عليه السلام

تظهر حكمة سليمان عليه السلام في قصته مع ملكة سبأ من خلال الأمور التالية:

1- تظهر الحكمة في عناية سليمان عليه السلام برعيته، وتفقدته لأحوالهم، وعدم العجلة بالحكم في الهدد، ولما تيقن غيابه تهدده بالعقوبة الشديدة إلا إذا أتاه بحجة تُبرئُه، وقد تبين سبب غيابه

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (229/24).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3017/5).

(3) انظر: المرجع السابق، (3018/5).

عندما قال الهدهد كما ذكر الله عنه: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل:22) حينها عذر سليمان الهدهد عن غيبته. (1)

2- كما وتظهر حكمته في تثبته من كلام الهدهد والتأكد من صدقه، عندما قال سليمان عليه السلام كما ذكر الله عنه: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (النمل: 26-27).

3- وتظهر حكمته أيضاً في أسلوب رسالته إلى الملكة بلقيس عندما قال قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل:30-31).

4- وتظهر حكمته أيضاً في إظهار القوة وقت الحاجة إليها، فلم يستخف بهدية بلقيس وأرسل رسالة ثانية مختلفة عن الأولى، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل:36-37).

ففي الرد على هدية بلقيس استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله، مع أن الهدية تُلين القلب، وتُعلن الود، وقد تُفلح في دفع القتال. وهي تجربة دفعها الملكة، فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر الدنيا، ووسائل الدنيا إذن تجدي، وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة، الذي لا يصرفه عنه مال، ولا عرض من أعراض الدنيا، فكان قوله ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾؟ أي: أتقدمون لي هذا العرض التافه الرخيص؟ بل ﴿ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ ﴾ أي: لقد آتاني من المال خيراً مما لديكم.

لقد آتاني العلم والنبوة، وتسخير الجن والطير، فما عاد شيء من عرض الأرض يُفرحني ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾، وتندهبون لهذا النوع من القيم الرخيصة التي تغني أهل الأرض، الذين لا يتصلون بالله، فحكمة سليمان عليه السلام أنكرت عليهم اتجاههم إلى شرائه بالمال، أو تحويله عن دعوتهم إلى الإسلام. (2)

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، القيرواني، (5393/8).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2640-2642).

5- ومن حكمته ﷺ أن أتبع هذا الاستكثار على المال بالتهديد: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بالهدية وانتظروا المصير المرهوب: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: جنود لم تسخر للبشر في أي مكان، ولا طاقة للملكة وقومها بهم في نضال، ويعلن في قوة وإصرار تهديده ووعيده الأخير: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: مدحورون مهزومون.

6- وأما غاية الحكمة عند سليمان ﷺ هي الاعتراف بفضل الله تعالى ومجانبته للعُجْب، عندما قال:

أ- قال ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل:19)، فالعمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من نعم الله على سليمان يوفق إليه من يشكر نعمته، وسليمان الشاكر استعان بربه فوفقه لشكره. (1)
ثُمَّ دَعَا أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْآخِرَةِ دَاخِلًا فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعَايَةُ الَّتِي يَتَعَلَّقُ الطَّلَبُ بِهَا، فَقَالَ: وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَثْبِتْ اسْمِي فِي أَسْمَائِهِمْ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ إِلَى دَارِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْجَنَّةُ. (2)

ب- قال ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل:40)

لقد كانت حكمة سليمان في هذا الموقف عندما لمست قلبه المفاجأة الضخمة، وراعه أن يحقق الله له مطالبه على هذا النحو المعجز، واستشعر ﷺ بحكمته أن النعمة - على هذا النحو - ابتلاء ضخم مخيف يحتاج إلى يقظة منه ليجتازها، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه. والله غني عن شكر الشاكرين، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، فينال من الله زيادة النعمة. (3)

ج- قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل:15).

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 2637) // مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (36/127).

(2) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (4/ 152).

(3) انظر: في ظلال القرآن، (5/ 2642).

هذه الآية تأتي في معرض ذكر النعم التي أنعم الله بها على داود وسليمان عليهما السلام، منها نعمة العلم والقضاء بين الناس وبينت الآيات في مواضع مختلفة آثار العلم التي أنعم الله بها على النبيين الكريمين.

وقد ذكرت الآية الكريمة قبل أن تنتهي شكر داود وسليمان عليهما السلام على هذه النعمة، وإعلان قيمتها وقدرها العظيم، وأن لهما سبق في حمد الله سريعاً على ما فضلها به عن كثير من عباده المؤمنين.

فتبرز قيمة العلم، وعظمة المنّة به من الله على العباد، وتفضيل من يؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين.⁽¹⁾

7- ومن حكمته ﷺ أن جعل الملكة تعلن إسلامها بكل خضوع واستسلام فقام بتهيئة المفاجئات للملكة القادمة:

المفاجئة الأولى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل:41)، أي: غيروا مَعَالِمه المميزة له، لِنَعْرِفَ إن كانت فراستها وفطنتها تهتدي إليه بعد هذا التنكير، أم أن الأمر يلتبس عليها، وكان هذا الفعل اختباراً من سليمان لذكائها وتصرفها، في أثناء مفاجأتها بعرشها.⁽²⁾

المفاجئة الثانية: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل:44).

لقد كانت المفاجأة الثانية قصراً من البلور، أقيمت أرضيته فوق الماء، وظهر كأنه لُجَّة، فلما قيل لها: ادخلي الصرح، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقها؟ فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها: ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ حينها وقفت الملكة مفجوعة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر، وتدل على أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر، فرجعت إلى الله، وناجته مُعْتَرِفَةً بِظُلْمِهَا لِنَفْسِهَا فيما سلف من عبادة غيره، فأعلنت إسلامها لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.⁽³⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 2633).

(2) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (6/356) // في ظلال القرآن، (5/2642).

(3) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (7/213-214) // في ظلال القرآن، (5/ 2643).

لقد اهتدى قلبها واستنار بفضل حكمة سليمان عليه السلام.

إنها الحكمة..

هي البصيرة الثاقبة التي تتميز في مواقف تختلط بها الأمور السيئة بالصالحة؛ لذا على الداعية امتلاك هذه البصيرة والعمل بها فهي السبيل لتحقيق دعوة الله ورسالته في الأرض، وهذا ما سلكه أنبياء الله عليهم السلام.

المبحث العاشر خلق بر الوالدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم بر الوالدين وأهميته.

المطلب الثاني: خلق بر الوالدين عند أنبياء الله.

المبحث العاشر خلق بر الوالدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم بر الوالدين وأهميته

أولاً: مفهوم بر الوالدين:

البرُّ لغةً:

البرُّ: الصَّدق والطَّاعة والخير والفضل، وبرَّ يبرُّ، إذا صلَّح. وبرَّ في يمينه يبرُّ، إذا صدَّقه ولم يحنث. وبرَّ رحمه يبرُّ، إذا وصله. ويقال: فلان يبرُّ ربَّه ويتبرَّره، أي: يطيعه. ورجل برُّ بذي قرابته، وبارُّ: من قوم بررة وأبرار، والمصدر: البرُّ، والبرُّ: الصَّادق أو النقي وهو خلاف الفاجر، والبرُّ: ضدُّ العقوق. وبرزُّ والدي بالكسر، أبرُّه برًّا، وقد برَّ والده يبرُّه ويبرُّه برًّا، وهو برُّ به وبارُّ، وجمع البرِّ الأبرار، وجمع البارِّ البررة⁽¹⁾.

البرُّ اصطلاحاً:

قال المناوي: "البرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضي، الذي هو في تركية النَّفس. يقال: برَّ العبدُ ربَّه. أي: توسَّع في طاعته. وبرُّ الوالد: التَّوسُّع في الإحسان إليه، وتحزُّرٍ محابَّه، وتوقُّي مكارهه، والرَّفْقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البرُّ في الصَّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه"⁽²⁾.

قال القاضي المهدي: "والبرُّ: هو الصِّلَة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان"⁽³⁾.

الفرق بين البرِّ والخير:

"أنَّ البرَّ مضمَّن بجعل عاجل قد فُصِد وجه النفع به، فأما الخير فمطلق، حتَّى لو وقع عن سهو لم يخرج عن استحقاق الصِّفة به. ونقيض الخير: الشرُّ، ونقيض البرِّ: العقوق"⁽⁴⁾.

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (51/4) // الصحاح المنير، الفيومي، (43/1).

(2) التوقيف على مهمات التعريف، (ص: 122).

(3) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، (302/2).

(4) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: 95).

الفرق بين البرِّ والصلة:

"أَنَّ البرَّ سعة الفضل المقصود إليه، والبرُّ أيضًا يكون بليين الكلام، وبرُّ والده إذا لقيه بجميل القول والفعل".⁽¹⁾

ثانيًا: فضل وأهمية برِّ الوالدين:

إن من أعظم الأخلاق التي ارتفعت لمستوى العبادات وأهمها برِّ الوالدين، هذا الخلق الذي يربط صاحبه بالله مباشرة فإن رضا الله من رضا الوالدين، فمن أهمية برِّ الوالدين التالي:

1- قرن الله برِّ الوالدين بعبادته في أربع مواضع من كتاب الله:

أ- قال ﷺ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة: 83).

ب- قال ﷺ: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء: 36).

ت- قال ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا ﴾ (الأنعام: 151).

ث- قال ﷺ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الاسراء: 28).

فلا تسمعهما قولًا سيئًا ولا حتى التأفيف، وقل كلامًا طيبًا حسنًا، وتواضع لهما وأكثر من الدعاء لهما.⁽²⁾

2- إن برِّ الوالدين سبب لدخول الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: {رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ}، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». ⁽³⁾

فهذا الحديث يبيِّن فضل برِّ الوالدين بشكلٍ عام، وفضله العظيم خاصة في كبرهما.

3- إن برِّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى فقد سئل رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: {الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ}. ⁽⁴⁾

(1) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: 95).

(2) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن آل الشيخ، (ص: 18)،

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: من أدرك أبويه عند الكبر ولم يدخل الجنة، (2551/1978/4).

(4) أخرجه النسائي في سننه، كتاب: المواقيت/ باب: فضل الصلاة لمواقيتها، (610/292/1)، قال الألباني: صحيح.

فبر الوالدين يعتبر من دعائم الإسلام بعد إقامة الصلاة وهذه دلالة عظيمة على أهميته الكبيرة.
4- وكما أن لبر الوالدين أهمية عظيمة؛ فإن من أعظم الكبائر هو عقوقهما، وتختلف أساليب العقوق فمنها السباب والشتيم، أما أدناها كلمة (أف)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»⁽¹⁾.

5- إن بر الوالدين خلق الأنبياء فقد وردت الآيات ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ في حق نبي الله يحيى عليه السلام، وكذلك ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَتِي﴾ في حق عيسى عليه السلام.⁽²⁾

6- الإحسان إلى الوالدين وصية ربانية من فوق سبع سموات قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت:8).

7- إن من عظيم فضل بر الوالدين، يتساوى برهما بفضل حج وعمرة،⁽³⁾ فعن أنس بن مالك، قَالَ: «لَأَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ وَلَا أَفِدُرُ عَلَيْهِ، قَالَ: «هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟» قَالَ: أُمِّي، قَالَ: «فَأَبْلِ اللَّهَ فِي بَرِّهَا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ، فَإِذَا رَضِيتَ عَنْكَ أُمَّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَبِرَّهَا»⁽⁴⁾.

8- بر الوالدين هو طريق للجنة، بل وبابٌ مخصص لدخولها منه، فهو طريق لمحبة الله وتجنب غضبه سبحانه،⁽⁵⁾ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكَبْرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: خلق بر الوالدين عند أنبياء الله

بر الوالدين عند جميع أنبياء الله، ويبدو ذلك واضحاً في كتاب الله، ولا أدل على ذلك ما كان من إبراهيم عليه السلام مع أبيه عندما دعاه إلى الإسلام، وتوسل إليه بترك عبادة الأصنام وعبادة الواحد الديان، فهذا هو قمة البر من نبي الله إبراهيم عليه السلام لأبيه، فقال له بقلب مشفق حنون { يا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب/ باب: لا يسب الرجل والديه، (5973/3/8).

(2) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشافعي، (416/2).

(3) انظر: ترتيب الأمالي الخميسية، الشجري، (162/2).

(4) أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند أنس بن مالك، (2760/149/5)، قال الطبراني: إسناده جيد.

(5) انظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، الهيثمي، (ص:496).

(6) سبق تخريجه، (ص:153).

أبت {، وسنقف هنا على بر الوالدين عند عيسى ويحيى عليهما السلام لذكر لفظ البر في حقهما صراحة من كتاب الله.

أولاً: بر الوالدين عند عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:32).

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾:

هو من خبر عيسى عليه السلام عن وصية الله إياه به، فبره بوالدته من وصية الله له كما وصّاه بالصلاة والزكاة، عندما قال: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾⁽¹⁾

قال ابن عباس: "لما قال وبراً بوالدتي، ولم يقل بوالدي علم أنه شيء من جهة الله تعالى".⁽²⁾

ففي تخصيص والدته إشعار صريح بأنه لا والد له، وإيدان ببراءتها مما رموها به، وإشارة بطهارتها وعفافها، ولهذا استحقت البر منه.⁽³⁾

وبهذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، وينفي كل قول أنه ابن الله وليس هو إله ولا حتى ثالث ثلاثة، بل عبداً لله جعله نبياً أوصاه ربه بالصلاة والزكاة مدة حياته وبراً بوالدته.⁽⁴⁾

ثانياً قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾:

لم يكن عيسى عليه السلام مستكبراً جباراً عما أمره الله به ونهاه عنه، بل كان أهلاً للتواضع مع الله والتواضع مع عشيرته.⁽⁵⁾

فالجبار هو من لا يرى لأحد عليه حقاً قط، وشقياً أي خائباً من الخير، قال ابن عباس: (لم يجعلني تاركاً لأمره فأشقى كما شقى إبليس لما ترك أمره).⁽⁶⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (192/18).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (103/11).

(3) انظر: بيان المعاني، العاني، (153/2).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2308/4).

(5) انظر: جامع البيان، (192/18).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (103/11).

ثانياً: بر الوالدين عند يحيى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم:14).

أولاً: قوله: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾:

أي جعلناه كثير البر بوالديه، أي محسناً إليهما، لطيفاً بهما، لين الجانب لهما.⁽¹⁾

فقد كان ﷺ باراً بوالديه، مسارعاً في طاعتها ومحبتهما، غير عاق بهما.⁽²⁾

وفي ذكر قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:12) أي آتيناها البر بوالديه،⁽³⁾ فقد

أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين⁽⁴⁾

ثانياً: قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾:

أي لم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان مطيعاً لله متواضعاً لوالديه.⁽⁵⁾
فكلمة الجبار يقضي كثير الجبر، أي القهر للناس، والظلم لهم، أما عصياً فأصلها (عصويًا) كصبور أي كثير العصيان.⁽⁶⁾

فلم يكن يحيى ﷺ فيمن يجبر الناس مع معصية الله ولم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب، وكان خاضعاً لله مطيعاً له فلم يرتكب ذنباً ولم يهمل له.⁽⁷⁾

وقد وردت بعض التفاسير أنه لم يكن جباراً متكبراً ولا عصياً لوالديه، عطفاً على الآية السابقة التي تحدثت عن بره بوالديه، فقد وصف ﷺ بلين الجانب، وخفض الجناح فكان السلام عليه من الله سبحانه وتعالى.⁽⁸⁾

(1) انظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية، الجنكي، (541/2).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (480/15).

(3) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (225/7).

(4) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (384/3).

(5) انظر: جامع البيان، (480/15).

(6) انظر: الجموع البهية، (541/2).

(7) انظر: تأويلات أهل السنة، (225/7).

(8) انظر: فتح القدير، (384/3).

إنه برّ الوالدين..

صفة ملازمة لأنبياء الله، خصّصت لفظاً في القرآن لنبي الله يحيى وعيسى عليهما السلام، فتح بابّ للجنة والسعي للحفاظ عليه، فليكن دأب الدعاة الصادقين كذلك، فلا توفيق من الله دون رضا وبرّ الوالدين.

الفصل الثالث

أخلاق الصالحين في ضوء القرآن الكريم

ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: خلق التقوى عند هابيل.

المبحث الثاني: خلق الثبات على الدين عند آسيا (امرأة فرعون).

المبحث الثالث: خلق إحقاق الحق عند مؤمن ياسين ومؤمن آل فرعون.

المبحث الرابع: خلق الحكمة عند لقمان.

المبحث الخامس: خلق إحقاق الحق.

المبحث السادس: خلق العفة.

المبحث السابع: خلق الوفاء عند امرأت عمران.

المبحث الثامن: خلق الشفقة والحنان عند أم موسى وأخته.

المبحث الأول خلق التقوى عند هابيل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التقوى وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق التقوى عند هابيل.

المبحث الأول

خلق التقوى عند هابيل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التقوى وأهميتها:

أولاً: مفهوم التقوى:

التقوى لغة:

التقوى هي: الاسم من التقى، والمصدر الاتقاء، وهي مأخوذة من مادة وقي فهي من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه وتدل على دفع الشيء عن شيء لغيره، فالوقاية ما يقي الشيء، ويقال وقاه الله سوء وقاية: أي حفظه. وتكون بمعنى الستر والصون والحذر أي وقاية و صيانة.⁽¹⁾

التقوى اصطلاحاً:

اختلفت أقوال العلماء في بيان حقيقة التقوى، وفي بيان معناه الشرعي وتذكر الباحثة هنا بعضاً من أقوال العلماء في التقوى ومنها.

التقوى هي حفظ النفس مما يؤثم وذلك بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.⁽²⁾

قال ابن القيم: "حقيقة التقوى العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهيًا فيفعل ما أمر الله به

إيماناً وتصديقاً بوعوده ما نهى عنه إيماناً بالناهي وخوفاً من وعيده".⁽³⁾

وذكر ابن رجب: أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه.⁽⁴⁾

وأجّل تعريف للتقوى -وهو ما ترجمه الباحثة- تعريف علي بن أبي طالب عليه السلام للتقوى: "الخوف من

الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".⁽⁵⁾

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (131/6)/لسان العرب، ابن منظور، (401/5).

(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (23/1).

(3) زاد المهاجر، (15/1).

(4) انظر: جامع العلوم والحكم، الحنبلي، (158/1).

(5) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي المهدي، (77/2).

ثانياً: فضل وأهمية التقوى

إن المتدبر في كتاب الله تعالى وآياته يجد أن التقوى هي المحور الأساس للقرآن الكريم، وأن أكثر الأحكام الشرعية إنما شرعت للوصول إلى مستوى التقوى وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أهمية التقوى.

ويمكن أن نلخص أهمية التقوى في النقاط التالية:

- 1- كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) تسمى كلمة التقوى.⁽¹⁾
- 2- أمر الله تعالى بها عباده عامة وأمر بها المؤمنين خاصة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:52).
- 3- وصية الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:106)، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء:142).
- 4- طلب الله تعالى من الخلق عباده لتحقيقها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:21).
- 5- مكانها القلب أهم عضو في جسم الانسان والذي به الصلاح والفساد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات} ⁽²⁾
- 6- تحدثت الكثير من آيات القرآن الكريم عن أهمية التقوى في حياة الإنسان وبينت أنه سبيل النجاة، وأنه وصية من أعظم الوصايا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:281)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء:131).
- 7- أكثر الناس عند الله كرماً وإكراماً هم أكثر الناس تقوى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (289/16).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب/باب: تحريم ظلم المسلم وخذله، (2564/1986/4).

مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ سُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿الْحَجَرَات: 13﴾.

8- التقوى أساس العدالة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿المائدة: 8﴾.

9- التقوى أساس اجتماع الناس وقاعدة لهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ءَاتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء: 1﴾.

10- التقوى أساس الخير والرفاه والسعادة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿الأعراف: 96﴾.

11- التقوى ركيزة اجتماعية للبناء الاجتماعي الإسلامي، قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ءِاللَّهُ مُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَن أُسِّسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَن أُسِّسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَآتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ءِاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿التوبة: 108-109﴾.

12- الحياة الدنيا والمعيشية الفاضلة والسعادة الدنيوية مبنية على التقوى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴿يونس: 63-64﴾.

المطلب الثاني: خلق التقوى عند هابيل:

قال تعالى: ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَىٰ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ءِإِنَّمَا يُتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَٰنِ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ

لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿المائدة: 27-29﴾.

أولاً: ملخص قصة ابني آدم عليه السلام:

أجمع جمهور العلماء والمفسرين على أن ابني آدم عليهما السلام هما قابيل وهابيل، فقد كانت حواء تلد في كل بطن توأمًا ذكرًا وأنثى فيتزوج الأخ من أخته لضرورة الحال، شريطة أن تكون من بطن آخر، فأمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يزوج قابيل من أخت هابيل، وهابيل من أخت قابيل، فسلم لذلك هابيل ورضي وأبى ذلك قابيل وكره تكريمًا عن هابيل، ورغب بأخته عن هابيل، فأخبره آدم عليه السلام بأنها لا تحل له، فأبى قابيل أن يقبل ذلك، فأمرهم آدم عليه السلام أن يقرب كلاً منهما قريباً وأبهما يقبل قربانه فهو أحق بها زوجة له، فأرسل الله ناراً أكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، وبذلك قبل قربان هابيل مما أثار غضب قابيل وقال: [لأقتلنك] حتى لا تتكح أختي فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.⁽¹⁾

ثانياً: مظاهر التقوى عند هابيل:

يظهر أول مظهر للتقوى في قصة هابيل:

1- عندما أمر آدم عليه السلام هابيل أن يتزوج من أخت قابيل، سلم لذلك ورضي عن طيب نفس وانصياعاً لأمر الله تعالى ثم لأمر والده.⁽²⁾

2- في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾ فقد بين هابيل تقواه عندما قرَّب إلى الله تعالى أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها عن طيب نفس حيث كان هابيل راعياً، فالمهم عنده ما سيعطيه لربه وليس النتيجة، وكذلك المؤمن لن ينال البر حتى ينفق مما يحب، ولا شك أن هابيل أطيّب نفساً وأعمر قلباً، فهو صاحب حق.⁽³⁾

وفي الآية إدراك لأسباب القبول وفيها توجيه رفيق للمعتدي أن يتقي الله وأن يهتدى إلى طريق القبول وتعريض لطيف به بحيث لا يخدشه ولا يستثيره.⁽⁴⁾

(1) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (506/1) // قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص:31) // الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (6/134).

(2) انظر: مختصر ابن كثير، (506/1).

(3) انظر: صحيح القصص القرآن، أحمد الطاهر، (ص:67).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/876).

3- قال تعالى : ﴿ لِنُ بَسَطتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

فقيل: إن هابيل كان أشد قوة من قابيل لكنه تحرج.⁽¹⁾

إن هابيل رغم أنه معتدى عليه إلا أنه رسم نموذجاً رائعاً من الوداعة والسلام والتقوى والخوف من رب العالمين، وهذا من شأنه أن يسكن الشر، ويهدئ الحسد ويمسح على الأعصاب المهتاجه، ويرده إلى الإيمان، وحساسية التقوى.⁽²⁾

قال عبد الله بن عمرو⁽³⁾: "وأيم الله إن كان لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج، يعني الورع فالخوف من الله تعالى والتقوى والورع هو ما دفع هابيل إلى الصبر والاحتساب حين توعدده أخوه بالقتل من غير ذنب منه ورفض أن تمتد يده إلى أخيه بسوء وتأبى نفسه أن تبادل القاتل قتله".⁽⁴⁾

4- هكذا يجب أن يكون أهل الإيمان، وهكذا يفعل الإيمان يبعث على الخوف من رب العلمين إلى حد يتحول فيه الخوف من النار والعذاب إلى حائل يمنع من المعصية، ويمنع من رد الأذى بمثله، ويدفع على التضحية بالنفس لئلا تراق نقطة دم.⁽⁵⁾

5- ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾.

من تقوى هابيل أنه أنذر وحذر قابيل من قتله وبين له وزر جريمة القتل لينفره منه، وصور له إشفاقه ليثنيه عما تراوده به نفسه وليُخجله تحدثه به نفسه من قتل أخيه، ويزين له الخلاص من الإثم بالخوف من رب العالمين، وبلغ أقصى ما يبلغه إنسان في صرف الشر ودوافعه عن قلب إنسان.⁽⁶⁾

6- مما يدل على صلاح هابيل وتقواه وخشيته من الله تعالى ما جاء في حديث النبي ﷺ: ﴿إنها ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (136/6).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (876/6).

(3) عبد الله ابن عمرو: هو ابن عمرو بن العاص، استعمله معاوية بعد وفاة أبيه عمرو على مصر. انظر: نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، (300/20).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (81/3) // صحيح القصص القرآن، أحمد الطاهر، (ص:66).

(5) انظر: صحيح القصص القرآن، (ص:68).

(6) انظر: في ظلال القرآن، (876/6).

الساعي فقيل: أفأريت إن دخل علي بيتي فبسط يده ليقتلني؟ قال ﷺ: من كابن آدم) وفي رواية:
(من كخير ابني آدم)⁽¹⁾.

إنها التقوى..

هي خط الاتصال الأمثل بين المسلم وربّه، فمتى كان هذا الخط قوياً كان التوفيق والساداد
من الله تعالى، وإن الداعية لهو أحق الناس بهذا الشرف، أحق الناس بالتقوى بهذا الخلق الإيماني
الذي يُنبت في القلب جنان الإيمان ويجعل أثرها جلياً في التعاملات مع البشر وكل المخلوقات.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب الفتن/ باب ما جاء أنه تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم،
(2194/486/4)، وقال: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

المبحث الثاني

خلق الثبات على الدين عند آسيا (امرأة فرعون)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بامرأة فرعون وقصة إيمانها بموسى عليه السلام.

المطلب الثاني: من صور عذاب آسيا.

المطلب الثالث: مظاهر الثبات على الدين عند آسيا.

المبحث الثاني

خلق الثبات على الدين عند آسيا (امرأة فرعون)

وفيه ثلاثة مطالب:

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحریم: 11)

إن سعادة المؤمنين وفلاحهم إنما كان بإخلاصهم بالإيمان بالله ورسوله وحسن الحال والقنوت، وقصة آسيا هي مثلاً ضرب للذين صدقوا الله ووجدوه وثبتوا على الدين.⁽¹⁾ وذكر يحيى بن سلام: أن الله ضرب مثلاً بامرأة فرعون، ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين، وهذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة والأذى.⁽²⁾

المطلب الأول: التعريف بامرأة فرعون وقصة إيمانها بموسى عليه السلام:

هي آسيا بنت مزاحم، قيل هي عمه موسى عليه السلام آمنت به، وكانت تعيش في قصر فرعون، الذي كان أعلى أهل الأرض، ولكنها تبرأت من هذا القصر ولجأت إلى ربها تطلب بيتاً في الجنة، وتنتبراً من صلتها بفرعون.⁽³⁾

وذكر قتادة: أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين، أنهم لا تضرم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين لها، فقد كان فرعون أعلى أهل الأرض وأكفرهم، ولكن ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، ليعلم الخلق أن الله لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر.⁽⁴⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (500/23).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (202/18).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3621/28).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (193/8).

المطلب الثاني: من صور عذاب آسيا:

ذكر أبو العالية⁽¹⁾: أن فرعون أوتد لها وتادًا وشد يديها ورجليها، فرأت بيتها في الجنة فضحكت، فتعجب فرعون من جنونها وقال: إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض روحها.⁽²⁾

وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان النهدي: "أنها كانت تُعذب في الشمس، فإذا آذاها حر الشمس أطلتها الملائكة بأجنحتها".⁽³⁾

المطلب الثالث: مظاهر الثبات على الدين عند آسيا:

رغم أن آسيا قد تعرضت لشتى أنواع العذاب والمغريات للتنازل عن الدين إلا أنها استعلت على عرض الحياة الدنيا حيث إنها كانت امرأة لأعظم ملوك الأرض، وتعيش على ذلك كله بالإيمان، واعتبرت أن ذلك شرًا ودينًا وبلاءً تستعيز بالله منه وتطلب النجاة، ثم إنها امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية وقفت وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر، والحكم والحاشية ولكنها رفعت رأسها للسماء، وتحدثت كل المغريات الدنيوية، وشمخت بإيمانها ولم تفتتها الدنيا ومباهجها،⁽⁴⁾ فدعت رب العالمين أن يكون لها بيتًا في الجنة قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾

فقد اختارت جوار ربها والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وهي ملكة مصر ءاثرت بيتًا بينه الله لها على بيت فرعون الذي فيه ما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب، وقد حاول فرعون صدها عن الإيمان؛ بإغرائها بقصوره وبملكه العظيم، وزين لها إن آمنت بموسى نُصِيعَ مُلْكًا عَظِيمًا وَقَصْرًا فَخِيمًا، وقد وَعَظَهَا فِرْعَوْنُ مِنْ قَبْلِ أَنْهَا إِنْ أَصْرَتِ عَلَى ذَلِكَ تُقْتَلُ، ولكن الله تعالى أكرمها بخير ما في الدنيا من ملك وقصور وبنى لها بيتًا في الجنة، فهي في الجنة تأكل وتشرب وتنتعم.⁽⁵⁾

(1) أبو العالية: رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي توفي سنة تسعين، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع سنين، وقرأ القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، روى عن أبي بكر، وأبي موسى، وعمر، وأبي بن كعب وغيرهم، روى عنه قتادة، وقرأ القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بعشر سنين، وأدرك الجاهلية والإسلام، وروى عن أبي بكر حديثًا لم يروه غيره. انظر: أسد الغابة، ابن الأثير، (2/ 291) تاريخ أصبهان، الأصبهاني، (1/ 369) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، الأصبهاني، (1/ 313).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (203/18).

(3) الجامع لأحكام القرآن، (203/18).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3622).

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (29/376).

إن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن وتوافق القلب واللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل ولا يفعل إلا ما يقول وهذا لسان حال آسيا امرأة فرعون، وأكرمها الله تعالى لأنها بذلت نفسها رخيصة في سبيله.

إنه الثبات..

وهذه رسالة لكل الدعاة في كل مكان أن يستعلوا بدينهم وأن يثبتوا أمام المغريات، وينتصروا لدين الله تعالى ومن كان مع الله فإن الله معه.

المبحث الثالث

خلق إحقاق الحق عند مؤمن ياسين ومؤمن آل فرعون

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إحقاق الحق عند مؤمن سورة ياسين.

المطلب الثاني: إحقاق الحق عند مؤمن آل فرعون.

المبحث الثالث

خلق إحقاق الحق عند مؤمن ياسين ومؤمن آل فرعون

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إحقاق الحق عند مؤمن سورة ياسين

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنْ أَرَادَ لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنْ ءَامَنُتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۗ قَالَ يَلِيَّت قَوْمِي يَعْلمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: 20-27).

أولاً: التعريف بمؤمن سورة ياسين:

اختلف المفسرون في تحديد شخصية هذا الرجل المؤمن على أقوال منها:

- 1- أنه حبيب ابن مري وكان نجاراً، وقيل: اسكافاً، وقصّاراً.⁽¹⁾
 - 2- قال ابن عباس: "هو حبيب ابن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي محمد ﷺ وبينهما ستمائة سنة".⁽²⁾
 - 3- قال وهب بن منبّه: "هو حبيب كان يعمل الحرير، وكان رجلاً سقيماً أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، وأنه كان يتعبد في غار في أقصى أبواب المدينة".⁽³⁾
- قيل أن هذا الرجل لما أشرف الرسل على المدينة رآهم ورأى معجزة لهم أو كرامة فآمن، وقيل كان مؤمناً من قبل.⁽⁴⁾

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (17/15).

(2) الجامع لأحكام القرآن، (18/15).

(3) مختصر ابن كثير، الصابوني، (159/2).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (366/23).

ثانياً: قصة القوم مع الرسل وموقف المؤمن منهم:

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أَيَّنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (يس: 13-19).

يروى في قصة أهل القرية أنهم كانوا من المعاندين، المكذبين، الذين جهروا بالكفر، واتهموا الرسل بأنهم سبب الشؤم لأهل القرية، فأرسل الله لهم رسولين، فكذبوهما، فعززهما الله تعالى برسول ثالث ليؤكد أنهم جميعهم رسل من عند الله وقاموا بدعوة القوم، ولكن القوم اعترضوا عليهم ولم يصدقوا بدعوتهم بزعم أنهم من البشر، وأن النبوة لا بد أن تكون في الملائكة، وتحرك الرسل ليدافعوا عن أنفسهم ويؤكدوا أنهم رسل الله يبلغون دينهم، وأن وظيفتهم البلاغ وأما الهداية فهي بيد الله.

وأوضح الرسل الثلاثة أمرهم لأهل قريتهم وعلقوا في رقابهم الأمر، إن شاءوا اهتدوا وإلا الضلال المبين؛ ولكن أهل القرية لم يطيقوا وجود الدعاة إلى الهدى فأخذتهم العزة بالإثم، فاجتهدوا في إيجاد سبب لإخراج الرسل الثلاثة، فما وجدوا إلا اتهامهم أنهم نذير شؤم ولكن حين رأى الرسل هذا الباطل القبيح منهم، بينوا لهم أن هذا الشؤم من كفرهم، هيئته لهم عقولهم الضعيفة، فهدد أهل القرية الرسل بالرجم والعذاب الأليم إن لم يتوقفوا عن النصيح والإرشاد لهم، وبدا تصميم أهل القرية على تنفيذ قتل ورجم وتعذيب الرسل الثلاثة، فلما سمع هذا الرجل المؤمن جاء مسرعاً من أقصى المدينة لينصر الرسل ويدافع عنهم.⁽¹⁾

ثالثاً: مظاهر الثبات وإحقاق الحق عند الرجل المؤمن:

يظهر ثبات هذا الرجل وإيمانه ووقوفه في وجه الظلم والانتصار للحق من خلال الأمور التالية:

1- ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُسْعَى ﴾ (يس: 20).

فقد عبرت الآيات عن مجيء الرجل بالسعي للدلالة على أنه جاء مسرعاً عما بلغه هم أهل المدينة رجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2962/23) // صحيح قصص القرآن، أحمد الطاهر، (275-276).

الرجل الذي سارع في إنكار المنكر، وتقديم النصح لقومهم لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه.⁽¹⁾

2- ﴿ قَالَ يَنْقُومِ آتِبِعُوا الْمُرْسَلِينَ آتِبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (يس: 20-21)

بيّن الرجل المؤمن صدق هؤلاء الرسل في دعوتهم، فهم لا يطلبون أجرًا ولا يبتغون مغنمًا، فما الذي يحملهم على هذا العناء ومجابهة الناس والتعرض لأذاهم وشهرهم واستهزائهم فهم يدعون إلى إله واحد، وإلى نهج واضح، وإلى عقيدة واضحة، وطريق مستقيم.⁽²⁾

3- ﴿ ءَأُخَذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنقِدُونِ ﴾

(يس: 23)، هنا تظهر الفطرة السليمة والتوكل السليم على الله تعالى، فالنفع والضرر بيده والحياة والممات بيده، لا بأيدي الأصنام المصنوعة بأيدي البشر التي لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا تتقذني مما أنا فيه.⁽³⁾

4- ﴿ إِنْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَآسَمِعُونَ ﴾ (يس: 25)

فقد أعلن الرجل إيمانه صراحة في وجه جموع الكافرين، وألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة، وأشهدهم عليها، وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها؛ ولكنهم اجتمعوا عليه، ما أمهلوه فنال من العذاب ما كان معدًا للأنبياء وانشغلوا به عنهم، ونجاهم الله تعالى.⁽⁴⁾

5- وهذا حال من يجهر بكلمة الحق ويصدق بها أمام من يملكون التهديد والتنكيل وقد اختلفت روايات العلماء في كيفية قتله، وإن كان لا تدل على ما في قلوب هؤلاء الناس وأمثالهم على الدين وأهله.

ف قيل إنه: ألقى في بئر الرس وهم أصحاب الرس، وقيل قتل رجماً بالحجارة وهو يقول: اللهم اهدي قومي حتى قتلوه، وقيل: حفروا حفرة فجعلوه فيها فدموه ورددوا فوقه التراب، وقيل: حرقوه حرقًا وقيل: نشروه بالمنشار.⁽⁵⁾

6- ﴿ قِيلَ آدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَّتْ قَوْمِي يَعْلمُونَ * بِمَا عَفَرْتُ رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: 26)

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (366/23).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2962/23).

(3) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (159/3).

(4) انظر: في ظلال القرآن، (2964/23) // صحيح القصص القرآني، أحمد الطاهر، (ص: 278).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (19/15).

وهذا حال المؤمن يخلص من ضيق الأرض إلى سعة الجنة، ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق، وها هو يدخل الجنة ويرزق فيها وقد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها، ولما عاين من كرامة الله تعالى، تمنى لو يعلم قومه بحاله ليعلموا حسن مثاله وحميد عاقبته، وحتى يؤمنوا فيصيروا إلى مثل حاله.

وقيل : إنه نصح قومه حياً وميتاً.⁽¹⁾

7- تعجيل العذاب لأهل هذه القرية وغضب الله تعالى لقتل هذا المؤمن، إنما هو دلالة على صدق هذا الرجل وإيمانه وإخلاصه لله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴾ (يس:29) حيث بعث الله جبريل عليه السلام إليهم فأخذ بعضادتي باب بلدهم، فصاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم.⁽²⁾

8- قيل: إن سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب ياسين فهم الصديقون.⁽³⁾

المطلب الثاني: إحقاق الحق عند مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَنْقُومِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهْرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر:28-29)

أولاً: حقيقة مؤمن آل فرعون:

اختلف العلماء في هذا الرجل المؤمن على أقوال منها:

1- أنه كان قبطياً من قوم فرعون، غير أنه آمن بموسى وكان يسر إيمانه خوفاً على نفسه، وقيل هو ابن عم فرعون كان ولياً للعهد وصاحب الشرطة.

2- قيل إنه هو الذي نجى مع موسى عليه السلام.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (20/15).

(2) انظر: مختصر ابن كثير، الصابوني، (160/3).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (20/15).

3- قيل كان إسرائيلياً ولكنه يكتُم إيمانه خوفاً من آل فرعون.

4- وقيل اسمه حبيب، وقيل شمعان.⁽¹⁾

وقد رجح الطبري بأن يكون هذا الرجل من آل فرعون، لأن فرعون أصغى لكلامه، واستمع لما قال وتوقف عن قتل موسى ﷺ، ولو كان إسرائيلياً لكان عجل في القتل.⁽²⁾

وهو ما ترجحه الباحثة للتصريح بذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (غافر: 28) ولو كان من قوم موسى لما نسبه ﷻ إلى آل فرعون ولنسبه إلى بني إسرائيل مثل (شييعته) عندما قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص: 15).

ثانياً: قصة الرجل المؤمن مع فرعون وموسى:

بعدما ضاق فرعون بموسى وهارون، بسبب إتفاف بني إسرائيل حوله، وافتتان الفقراء والضعفاء به، خاف فرعون على ربوبيته التي اهتز عرشها بعد إسلام السحرة، وخاف فرعون وأعوانه على سلطانهم، أمر فرعون بقتل أبناء بني إسرائيل فذبح أبنائهم واستحيا نساءهم، فذهب العبرانيون يشكون إلى موسى ويستتصرون به، إلا أن فرعون زاد اضطهادهم لهم، وأيقن فرعون بعد أن استنفذ كل الحيل والأساليب مع بني إسرائيل أنه لا يفلح إلا إذا قضى على موسى فقال لمن حوله كما قال تعالى عنه:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (غافر: 26)

وهنا نطق رجل مؤمن يكتُم إيمانه ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (غافر: 28) ⁽³⁾.

(1) انظر: التفسير الكبير، الرازي، (50/14) / الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (306/15)،

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (376/21).

(3) انظر: صحيح القصص القرآني، أحمد الطاهر، (308-309).

ثالثاً: مظاهر إحقاق الحق عند مؤمن آل فرعون:

1- يظهر واضحاً وجلياً من القصة أن ذلك الرجل لم يأبه بفرعون وجبروته وعشيرته وأعوانه، ولم يثته تهديد فرعون لموسى بالقتل من أن يدافع عن الحق بكل جرأة وبكل شجاعة، ولا يخشى في الله لومة لائم أو جبروت طاغية أو كثرة ظالمة، أو أن يراد به مثلما أراد فرعون بموسى، لذلك يجب نبذ الجبن والدفاع عن الحق وعدم منافقة الحكام .

2- أن هذا الرجل مؤمن بالله مصدق بموسى، وما كان إيمانه هذا إلا أنه كان رجلاً صالحاً اهتدى إلى توحيد الله، وكان كتمه للإيمان متجدداً مستمراً خوفاً من فرعون وقومه إذ علم أن اظهاره للإيمان يضره ولا ينفع غيره.⁽¹⁾

3- ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ فعندما علم هذا الرجل بأن فرعون يريد قتل موسى أفصح عن إيمانه وأخذته غصبة لله ﷻ فتصدى له، وظهر ولاءه لنبي الله موسى ﷺ ونصرته لدين الحق.⁽²⁾

4- ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ارتقاء في الحجاج، ليظهر صدق موسى وأنه جاء بالأدلة والبراهين التي تثبت صدقه.⁽³⁾

5- ﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ فكأن الرجل المؤمن يلتمس ليقدم الأعداء والبراهين التي تقف حائلاً دون قتل موسى، فلا تعجلوا بالقتل ولا تعجلوا باتباعه، فإن تبين كذبه فلا يضركم شيئاً، وإن تبين صدقه يصبكم ما توعدكم به.⁽⁴⁾

6- يتبين من قصة فرعون على ما فيه صالح قومه، وخوفه الشديد عليهم من أن يتمادوا في تكذيبهم لموسى، ومحاربتهم لدعوته، ومساندتهم لفرعون وتصديقه فيما يدعيه من ألوهية، وكما أنه حذر قومه من زوال النعمة عنهم وحلول نقمة الله فقال ﴿ يَنْقُومِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهْرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بل زادهم في الوعظ والتخويف، وأفصح عن إيمانه إما استسلاماً موطئاً نفسه للقتل، أو واثقاً بأنهم لا يقصدونه بسوء، وقد وقاه الله شرهم ﴿ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِغَالِ فِرْعَوْنَ

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (128/25).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (309/15).

(3) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (242/3).

(4) انظر: التحرير والتنوير، (130/25).

سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر: 45).

رابعاً: وقفات دعوية مستنبطة:

- 1- إن الدفاع عن العقيدة الصحيحة والمنهج الحق مطلب أساسي لكل داعية مؤمن بالله ورسوله، والدعوة إلى الهدى والحق بعد معرفته وتبينه صفة المسلم الصادق يفعل ذلك ويؤديه حسب قدرته باذلاً بذلك كل وقته ومستمرّاً عليه حتى لو أدى به ذلك إلى القتل وإزهاق الروح؛ لأنه يعلم بأنه لن يموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً.
- 2- ضرورة الاستمرار في الدعوة إلى الهدى مهما وقف في سبيل منعها الطغاة والمفسدون فما دام الداعية يعلم أنه يدعو إلى الخير، وأن استمرار الدعوة صلاح للناس واستقامتهم، وفي تركها فسادهم، فيستمروا في ذلك ولو عذب وحتى لو أزهقت روحه كما هو حال مؤمن آل ياسين وآل فرعون وذلك هو سبيل الأنبياء والمرسلين ومن نهج نهجهم.
- 3- إن مثل هذه القصص تحث المؤمنين على الثبات على دينهم وإسلامهم وتقر في القلوب أن المسلم أجبر عند الله تعالى، والأجبر غير مطالب بالنتيجة ولكن مطالب بالعمل لا سواء، وهذه بديهيات العمل في حقل الدعوة، يحتاج إليها من يخوض فيه ومن خلى من هذا كان عرضة للردة الدعوية ومداهمة أهل الباطل بحجة استيعاب كل الظروف واستغلالها، وبحر الدعوة أعمق من أن يقتحمه من لا يعرف السباحة فيه.⁽¹⁾
- 4- إن الدعوة في سبيل الله تحتاج لمثل هذين المؤمنين اللذين سعيا لنصح القوم وبذل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الموت وهي أمانة لا بد من أدائها خاصة حين يفسد البشر، وتستعبدهم الأهواء، ولا يرون إلا سبيل الغي.
- 5- لا بد للداعية من مقومات وقد جمعها المؤمن الذي جاء يسعى، ومن قبله الأنبياء الثلاثة، يمتلكون الحجة البالغة بعلم وفهم، ويدعون على بصيرة وبإخلاص، هي قطعة حية من الإيمان، وصفحة بيضاء من الإخلاص ولذا كتب لهم البقاء أبد الدهر، قال ابن القيم: "لو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به الناس لصلح العالم صلاحاً لإفساد معه".⁽²⁾

(1) انظر: صحيح القصص القرآني، أحمد الطاهر، (ص: 274).

(2) انظر: صحيح القصص القرآني، أحمد الطاهر، (ص: 277).

إنه إحقاق الحق..

إن السبيل الذي يسلكه الداعية هو سبيل تتصارع فيه قوى الحق وقوى الباطل، وإن مركب الحق لا يسر إلا عند إحقاقه وخطوعه للملأ؛ لذا كان واجباً قوياً وطريقاً واضحاً أن يسلكه الداعية ليؤطن فيه رسالته، وليحقق فيه أهدافه وهي إحقاق الحق.

المبحث الرابع
الصدق عند أم عيسى (مريم عليها السلام)

المبحث الرابع الصدق عند أم عيسى (مريم عليها السلام)

قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ
كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ (المائدة: 75).

بيان تفسير الآيات:

جاءت هذه الآيات في معرض إثبات أن المسيح ليس ابن الله، وإنما هو ابن مريم، ولدتها
ولادة الأمهات أبناءهن وذلك من صفة البشر، وإنما هو رسول الله كسائر رسله.⁽¹⁾

وذكر أنها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها، وتصديقها لولدها فيما أخبر به.⁽²⁾

وأيضاً وصفت بالصديقة وهي صفة مبالغة في التمسك بفضيلة الصدق، فأم عيسى مريم
ماهي إلا أمة من إماء الله كسائر النساء دينها الصدق مع خالقها، فهذا الوصف فيه مدح وثناء
عليها ونفى أن يكون لها وصف أعلى من ذلك فهي ليست إلهاً وليست رسولاً.⁽³⁾

وصديقة: بمعنى أنها من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء ويكفيها بذلك
فضلاً وشفافاً.⁽⁴⁾

وقد وصف النبي ﷺ فضل مريم ابنة عمران في الحديث الذي يرويه أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {كَمَلَمَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرًا، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،
وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ}.⁽⁵⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (484/10).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (250/6).

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (241/4).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (239/1).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضل أصحاب النبي ﷺ / باب: فضل عائشة رضي الله عنها،
(3769/29/5).

المبحث الخامس خلق الحكمة عند لقمان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بلقمان.

المطلب الثاني: المقصود بالحكمة لقمان ومصدرها.

المطلب الثالث: نماذج من حكمة لقمان.

المطلب الرابع: وصايا لقمان لابنه.

المبحث الخامس خلق الحكمة عند لقمان

وفيه أربعة مطالب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: 12)

المطلب الأول: التعريف بلقمان:

لقمان عبدٌ حكيمٌ في القرآن الكريم، وأطلق اسمه على سورة من سوره (سورة لقمان)، وقد عاصر داوود، وعرف بالحكيم،⁽¹⁾ واختلفت الآراء حول شخصية لقمان ووصفه، فمن قال أنه كان نبياً، وقائل آخر أنه كان قاضياً في بني اسرائيل، وبعضهم قال: كان نوبياً من السودان، وورد عن ابن عباس قال: كان عبداً حبشياً،⁽²⁾ وقال سعيد بن المسيب: "كان لقمان أسود من السودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنحه النبوة، وقال بنبوته عكرمة والشعبي، والصواب أنه رجلاً حكيمًا أتاه الله الحكمة وهي الصواب في المعتقدات والفقہ في الدين والعقل".⁽³⁾

المطلب الثاني: المقصود بالحكمة لقمان ومصدرها:

تباينت أقوال المفسرين في المراد بحكمة لقمان نذكر منها:

- 1- المراد بالحكمة: العقل والعلم به والإصابة في الأمور.⁽⁴⁾
- 2- قيل: هي الفضل الذي خصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، وهي الفهم والعلم والتعبير.⁽⁵⁾
- 3- وقيل هي: "الصواب في المعتقدات والفقہ في الدين والعقل".⁽⁶⁾
- 4- قيل: إنها الأمانة.⁽⁷⁾

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (287/6).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (89/21).

(3) الجامع في أحكام القرآن، القرطبي، (59/14).

(4) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، (287/6).

(5) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (64/3).

(6) الجامع في أحكام القرآن، (59/14).

(7) انظر: جامع البيان، (136/20).

ولكن الرأي الحق في هذه المسألة هو ما ذهب إليه القرطبي فقال: كان لقمان رجلاً حكيمًا بحكمة الله تعالى، وأن الحكمة هي الصواب في المعتقدات والفقهاء في الدين والعقل؛ لأنه بيان يجمع بين الصلاح وبين الرأي الصائب في أمور الدين، وأمور الدنيا.⁽¹⁾

وعلى هذا جمهور أهل التأويل أنه كان ولياً ولم يكن نبياً، وقد ذكر المفسرون: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة، وخيَّره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق فقال: رب، إن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء، وإن عزمت على فسمعاً وطاعة فإنك ستعصمني.⁽²⁾

وقال وهب بن منبه⁽³⁾: "قرأت من حكمة لقمان أرجح من عشرة آلاف باب على النبوة"⁽⁴⁾، فأثابه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح وهو ينطق بها، فقيل له: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي.⁽⁵⁾

ومما جاء في موضوع لقمان: أنه ليس نبياً؛ لأنه لم يمتن عليه الوحي ولا بكلام ملائكته، وأنه ألهم الحكمة ونطق بها، لأنه في معرض تعليمه لابنه قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ وذلك مؤذن بأنه تعليم لا تبليغ.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (59/14).

(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (347/4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (319/14).

(3) وهب بن منبه: بن كامل بن سيج بن سحسار من أبناء فارس كنيته أبو عبد الله الأسوار اليماني الأبنوي الدرماري الصنعاني، أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. كان ينزل ذمار على مرحلتين من صنعاء كان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهادة صلى أربعين سنة صلاة الصبح بوضوء عشاء الآخرة، كان الغالب عليه القصص. روى عن: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وطاووس ابن كيسان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأخيه همام وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة. روى عنه: ابن ابنته إدريس بن سنان والد عبد المنعم. مات في المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل: أربع عشرة ومائة. انظر: طبقات الفقهاء، الشيرازي، (ص: 74) / تاريخ دمشق، ابن عساکر، (63/366) / تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، (31/140) / مشاهير علماء الأمصار، البستي، (ص: 198).

(4) الجامع لأحكام القرآن، (61/14).

(5) انظر: المرجع السابق، (60/14).

وحكمة لقمان مأثورة في أقواله الناطقة عن حقائق الأحوال والمقربة للخفيات بأحسن الأمثال وقد عنى بها أهل التربية وأهل الخير.⁽¹⁾

وقيل للقمان الحكيم: ما الذي بلغ بك ما نرى؟ أي فضل قال: قدر الله وصدق الحديث وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.⁽²⁾

وذكر النووي: فيها أقوال كثيرة نذكر منها: أنها العلم المشتغل على المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل، والكف عن ضده والحكيم ما حاز ذلك.⁽³⁾

أما الهدف من حكمة لقمان وذكرها في القرآن الكريم هو ليعمل بها المسلمون حتى تقوم الساعة، وكانت الحكم تقدم بأسلوب يتمثل فيه التذكير بوجوه الخير والزجر المقترن بالتخويف من وجوه البشر، وهو أسلوب رقيق تغمره الرحمة ويشعر معه الواعظ بخوف الواعظ عليه واشفاقه عليه، ورحمة به فتتلمس الموعظة شغاف القلب وتستقر في الوجدان، لذلك يعد هذا الأسلوب من أفضل وأحكم الأساليب التي تستخدم في الإرشاد قديماً وحديثاً.⁽⁴⁾

المطلب الثالث: نماذج من حكمة لقمان:

إن أول ما لقنه لقمان من الحكمة هو الحكمة في نفسه، بأن أمره الله بشكره على ما هو مخوف به من نعم الله التي منها نعمة الاصطفاء لإعطائه الحكمة وإعداده لذلك بقابليته لها، وهذا رأس الحكمة لتضمنه النظر في دلائل نفسه وحقيقته قبل النظر في حقائق الأشياء وقبل التصدي لإرشاد غيره، وشكر الله من الحكمة.⁽⁵⁾

المطلب الرابع: وصايا لقمان لابنه:

قبل ذكر الوصايا بدأ الله تعالى بالتعريف بلقمان ووصفه بالحكمة والصلاح كي يستشعر القارئ بأهمية هذه الوصايا، فصاحبها ذو حكمة بالغة، وعقل راجح، وكذلك ذكرها الله في كتابه؛ ليعمل بها المسلمون حتى تقوم الساعة.⁽⁶⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (149/22).

(2) انظر: الجامع لحكام القرآن، القرطبي، (60/14).

(3) انظر: المنقلى، شرح موطأ مالك، الأندلسي، كتاب: العلم/باب: ما جاء في طلب العلم، (683/59).

(4) انظر: التحرير والتنوير، (149/22).

(5) انظر: المرجع السابق.

(6) انظر: التحرير والتنوير، (150/22).

ومن أهم وصايا لقمان لابنه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَامِنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا * وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَبْنِي * أَقِرَّ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ (لقمان: 13-19)

فالناظر لهذه الوصايا يرى أنها قد جمعت كل أمور الدين عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، فكان أول ما وعظ به التوحيد واجتناب الشرك، فالشرك ظلم عظيم للنفس، ثم جاءت وصية الولد بوالديه، ليكون بارًا بهما، وقرن شكرهما بشكر الله تعالى، وشملت هذه الوصية كل أب وكل أم حتى لو كانا مشركين، ثم يعود لقمان ليعمق روح الإيمان والتوحيد في قلب ولده، ويقرر قضية الآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل ويعرضها في المجال الكوني الفسيح وليس بصورة مجردة، وإنما بصورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان.⁽¹⁾

وبعد استقرار العقيدة في القلب والنفس واستشعار رقابة الله، يوصي ابنه بالعبادة وموجهًا إياه إلى أم العبادات الصلاة التي بها صلاح العمل وأكثر العبادات اتساعًا حيث تشمل الدعاء، قراءة القرآن، الخشية، الشكر لله، وهي أيسر العبادات لا تسقط عن الإنسان إلا بانقطاع حياته.⁽²⁾ ثم ينتقل إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والصبر على ما يصيبه من التواء النفوس وعنادها وانحراف القلوب وإعراضها.

ولأن لقمان يريد ابنه عالمًا حكيمًا مثله داعيًا إلى الحق والخير، أراد الله حسن السلوك قدوة للناس بخلقه الحسن الرفيع، وسلوكه الطيب، فما هو يوصيه أولاً بالصبر ثم التواضع، والقصد في

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2789/21).

(2) انظر: صحيح قصص القرآن، أحمد الطاهر، (ص: 399).

المشي دون فرح وكبر، فالقصد في المشي من سمات عباد الرحمن، وأخيراً الغض من الصوت لما فيه من أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، والكلمة الطيبة زينة للصوت، وأمر الله بها المؤمنين، ونفر من علو الصوت بتصويره بصورة قبيحة يستكرها الناس، وفيها لفت نظر للذين يرفعون أصواتهم بغير فائدة.⁽¹⁾

وقد أورد ابن كثير في تفسيره بعض الوصايا منها:

- 1- يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر.
 - 2- الصمت حكم وقليل فاعله.
 - 3- يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير تجارة.
 - 4- يا بني زاحم العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض بوابل المطر.⁽²⁾
- ومن حكمته:

ما روى أن سيده طلب منه أن يذبح له شاة ويأتيه بأطيبها مضغتين، فأتاه باللسان والقلب، وأمره بأن يذبح شاة أخرى ويأتي بأخبثها مضغتين، فألقى باللسان والقلب، فقال له: أمرتك أن تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثها فألقيت اللسان والقلب؟! فقال له: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.⁽³⁾

وهذه الحكمة شطر في معنى حديث النبي ﷺ الذي رواه النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: {ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب}.⁽⁴⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2790/21) // صحيح قصص القرآن، أحمد الطاهر، (ص:401) // الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (72/14).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (195/6).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (61/14).

(4) أخرجه صحيح البخاري، كتاب: الإيمان/ باب: فضل من استبرأ لدينه، (52/20/1).

المبحث السادس خلق العفة

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العفة وأهميتها.

المطلب الثاني: العفة عند مريم ابنت عمران.

المطلب الثالث: خلق العفة عند ابنت شعيب.

المبحث السادس خلق العفة

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العفة وأهميتها:

أولاً: مفهوم العفة:

العفة لغة

(عف) العين والفاء أصلان صحيحان: أحدهما الكف عن القبيح، والأخر دال على قلة الشيء، فالأول: العفة: الكف عما لا ينبغي، ورجل عفيف وعف، وقد عف يعف عفة وعفافة وعفافاً.⁽¹⁾

العفة: الكف عما لا يحل ولا يجمل.

وقيل: عفف:، عف عن المحارم والأطماع الدينية، يعف عفة وعفاً وعفافاً، واستعف وأعفه الله والاستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي من طلب العفة وتكلفتها أعطاه الله إياها، وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء ومنه الخبيث. وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سورة النور: 33).

وجمع عفيف، أعفة وأعفاء، ويقال رجل عفيف، وامرأة عفيفة، أي السيدة الخيرة من النساء ويقال: قوم أعفه.⁽²⁾

وعفف: (عف) عن الحرام تعف بالكسر (عفه، وعفاً، وعفافة) أي كف فهو (عف)، (عفيف)، المرآة (عفة) (وعفيفة) و (أعفه الله) استعف عن المسألة.⁽³⁾

العفة اصطلاحاً:

عرفت العفة في الاصطلاح بعدة تعريفات منها:

- (1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (3/4).
- (2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (253/9).
- (3) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص: 213).

قال الراغب: "العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمستعفف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله الاقتصار على الشيء القليل".⁽¹⁾

وقال أيضاً: "العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط هو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة، وهي أس الفضائل من القناعة والعفة والزهد وغنى النفس".⁽²⁾
قال الكفوى: هي الكف عما لا يحل.⁽³⁾

وقال الجاحظ: "هي ضبط النفس عن الشهوات، وقصرها على الاكتفاء بما أود الجسد ويحفظ صحته فقط، واجتتاب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، وهذه الحال هي غاية العفة".⁽⁴⁾

وقال الجرجاني: "العفة: هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو افراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة".⁽⁵⁾

وذكر الماوردي: أن العفة عفتان أحدهما العفة عن المحارم وهم ضبط الفرج عن الحرام، وكف اللسان عن الأعراض، وثانيها: العفة عن المآثم وهي الكف عن المجاهرة بالظلم، وزجر النفس عن الإصرار بالخيانة.⁽⁶⁾

العفة هي ترك الشيء، والأعراض عنه مع القدرة على تعاطيه.⁽⁷⁾

العفة هي: "حبس النفس عن فضول الشهوات الرئيسية في المأكل والمنكح".⁽⁸⁾

العفة هي: "كف النفس عن المحارم، وعما لا يجمل بالإنسان فعله، وعن اقتتراف الشهوة المحرمة، وعن أكل الحرام، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته

(1) المفردات في غريب القرآن، (ص:339).

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة، (ص:315).

(3) الكليات، (ص:656).

(4) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، (ص:21-22).

(5) التعريفات، (ص:151).

(6) أدب الدين والدنيا، (384-390).

(7) انظر: الدرر المصونة في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، (621/2).

(8) تفسير الراغب الأصفهاني، (573/1).

الاجتماعية وعقيدته الإسلامية، ومما يراه الناس من الدنائات كالجشع في الولايم وكالتعرض لمحققات المنافع عن طريق التطفل أو ما يشبه التطفل إلى غير ذلك".⁽¹⁾

رأي الباحثة:

وبعد النظر في معاني العفة اللغوية والاصطلاحية وهذا الانسجام بينهما، والرباط الواضح بين المعنيين ترى الباحثة أن العفة هي:

حث الناس ودعوتهم لضبط النفس وكفها عن الحرام من الشهوات بصون الفرج عن الحرام، واللسان عن الأعراض، واما لا يحل في جميع المناحي.

وضبط النفس وكفها بحالة من الاعتدال عن فضول الشهوات الرئيسية في المأكّل والمنكح، ومباشرة الأمور وفق المروءة والشرع.

ثانياً: فضل وأهمية العفة

اعتنى الإسلام بخلق العفة عناية كبيرة من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة:

1- الله سبحانه وتعالى جعل خلق العفة صفة لأفضل خلقه من الرسل والأنبياء الذين هم أفضل الدعاة، وهم القدوة الحسنة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فقد جاء الأنبياء عليهم السلام بالدعوة إلى التوحيد، وقاموا بتبليغ الرسالة دون طمع في أجر من العباد وإن ما يطلبون الأجر من الله تعالى قال ﷺ: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: 109).

فقد عفا الأنبياء عليهم السلام عما في أيدي الناس، وزهدوا عما في هذه الحياة الدنيا، يريدون الأجر من خالقهم الذي اصطفاهم على جميع البشر.⁽²⁾

2- أمر الله تعالى بها نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (سورة طه: 131)، ذكر السعدي: أي لا تمدن

عينيك معجباً ولا تكرر النظر متحسناً إلى أحوال الدنيا، والمتمتعين من المأكّل والمشارب

(1) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، أحمد عليان، (ص: 214).

(2) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (4/16).

الليذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة والنساء الجميلة فإن ذلك كله زهر الحياة الدنيا، والآية فيها إلى من يرى من نفسه طموحاً إلى زينة الحياة الدنيا وإقبالاً عليها أن يذكرها أمامها من رزق ربه وأن يوازن بين هذا وهذا.⁽¹⁾

3- كان ﷺ يسأل الله تعالى في دعائه ويكثر من قوله: **اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**.⁽²⁾

4- مدح الله تعالى الفقراء الذين عفوا أيديهم عن المسألة بأنه لا يعرف فقرهم وحاجتهم إلا حكيم فطن، قال تعالى: **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** (سورة البقرة: 273)

5- كان ﷺ يدعو إلى العفة والعفاف في بداية دعوته، فقد ورد عن أبي سفيان لما سأله قيصر الروم بماذا يأمركم رسول الله ﷺ، قال: **ليأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ونبهانا عما يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة**.⁽³⁾

6- تحذير النبي ﷺ من سؤال الناس والإكثار من ذلك لما فيه من الخطر العظيم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم**.⁽⁴⁾

المطلب الثاني: العفة عند مريم ابنت عمران

قال تعالى: **﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ بِرُوحٍ مَخْسُوفٍ﴾**

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 516).

(2) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والاستغفار/ باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (2721/2087/4).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير/ باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، (2941/45/4).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة/ باب: من سأل الناس تكثراً، (1474/123/20).

رَسُولُ رَبِّكَ لِأَهَبَ لِكَ غُلَمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿ (مريم: 16-21).

قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانٌ ﴾ (التحریم: 12).

قال تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: 91).

أولاً: تعريف مريم ابنت عمران:

هي مريم ابنة عمران من سلالة داود عليه السلام، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران، وأنها نذرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، وكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل، وكانت في كفالة زكريا عليه السلام وقد رأى من الكرامات الهائلة لها حيث كان يرى عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء.⁽¹⁾

وتتلخص قصة مريم بأنها ولدت عيسى عليه السلام من غير أب، وهي من أهل التقوى والورع، وهي القديسة، الفتاة العذراء التي وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد ولا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة.⁽²⁾

ثانياً: مظاهر العفة في قصة مريم ابنت عمران:

من مظاهر العفة عند مريم ابنت عمران:

1- قوله تعالى: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي حفظته وصانته، والحصان هو العفاف، فنفخ الله بواسطة الملك جبريل عليه السلام الذي تمثل لها بصورة بشر سوي، فنفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة مباشرة إلى فرجها، فحملت بعيسى عليه السلام، واستخدم النفخ لبيان سرعة ابداع الحياة في المكوّن في رحمها، لأنه كان بطريقة غير معتادة.⁽³⁾

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/219).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (16/2305).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، (8/173)/ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (29/378).

2- قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ فتشير الآية إلى كمال عصمة مريم حيث بادرت بالتعوذ منه، لأنها ظنت أن الملك يريد أن يرادها عن نفسها، فذكرته بالله تعالى وخوفته وذكرت صفة الرحمن دون غيرها، لأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع السوء عنها، وهذا هو المشروع في الدفع يكون بالأسهل فالأسهل كما أن النقي ينفذ وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزغ الشيطان.⁽¹⁾

3- ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فهنا استغراب وتعجب منها كيف يكون لها غلام وهي ليست بذات زوج، ولا يتصور منها الفجور⁽²⁾

والآية تبرة لمريم من البغاء فلا ترضى أن ترمى به، بل وتأكيد على أنها عفيفة نقية لم يمسه بشر، ولا يعهد بها البغاء، فكيف يأتي الولد أيأتي في المستقبل بعد الزواج أم يخلقه الله ابتداءً.⁽³⁾

4- قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: 37)

الآية فيها دلالة على أن الله تعالى قد تعهد مريم وأعداها إعدادًا حسنًا وأنبتها نباتًا حسنًا حيث اجتهدت في الطاعة والعبادة، ولم يكن في زمانها نظيرها في فنون العبادة.⁽⁴⁾

5- تهيئة أسباب الرزق لها دلالة على أنها مباركة حيث يفيض من حولها الخير ويفيض الرزق من كل ما يسمى رزقًا ففاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وهذا الرزق يعطيه الله لمن يشاء من أوليائه بغير حساب فهي كرامة من الله لها.⁽⁵⁾

6- مخاطبة الملائكة لها بالبشارة واصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولدًا زكيًا يكون نبيًا كريمًا طاهرًا مكرمًا مؤيدًا بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها ولا هي ممن تتزوج، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت الأمر لله،

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/220) // التحرير والتنوير، ابن عاشور، (17/80) // في ظلال القرآن، سيد قطب، (16/2305).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، (5/220)

(3) انظر: التحرير والتنوير، (17/82) // الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (11/91).

(4) انظر: في ظلال القرآن، (3/393) // قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: 415).

(5) انظر: المرجع السابق/ قصص الأنبياء، (ص: 461).

وعلمت أن فيه محنة عظيمة، وأن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:42).⁽¹⁾

7- ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ (مريم:23) تمتت مريم الموت هنا لأمرين:

1- لأنها خافت أن يظنوا بها الشر في دينها وتُعيَّر فيفتتها ذلك.

2- لئلا يقع قوم بسببها بالبهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك.⁽²⁾

وهذا حال المرأة العفيفة الطاهرة النقية فتتمنى الموت على ألا يطالها سوء في عرضها وشرفها.

8- ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم:26)

فهذا رد على من سيتهمونها، والله لن يضيع عباده، أو يتركهم نهبة للمفسدين في الأرض، فقد وكل الله من يرد عنها، وفي كلام عيسى براءة لأمه وبيان لآيته فيرتفع بذلك عنها البهتان والالتهام بالزنى.⁽³⁾

9- جاءت الأحاديث النبوية تدل على شرف السيدة مريم وعفتها وعلو مكانها وفضلها عند الله، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَنْ فَضَّلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلَ الثَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾.⁽⁴⁾

10- بشارة الله تعالى للسيدة مريم بمولد المسيح وهو كلمة الله لها ووجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن الأنبياء المقربين الصالحين ذوي الشأن العظيم فهذا دلالة على العفة والطهارة فهي أم نبي من الأنبياء هم خيرة الله من خلقه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران:45).

(1) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (415).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (92/11).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (99/11)/ قصص الأنبياء، (ص:467).

(4) سبق تخريجه، (ص:180).

11- قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ مَهْتَدًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 156)

الآية ثناء على عفتها، وهذا رد على اللذين افتعلوا من البهتان العظيم أن السيدة مريم ورميهم إياها بالزنى دون إثبات ولا برهان.⁽¹⁾

12- روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {خير نساءها مريم ابنة عمران وخير نساءها خديجة}.⁽²⁾

المطلب الثالث: خلق العفة عند ابنت شعيب

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيَ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَبَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمَثَّىٰ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِبِ اسْتَجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَن أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هُنْتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَن أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة القصص: 22-27).

أولاً: التعريف بشعيب وابنته:

اختلف العلماء في تعيين شعيب الوارد ذكره في القصة السابقة على أقوال عدة أذكر منه باختصار:

1- أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم والذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا المشهور عند كثير من العلماء.

2- قال آخرون: إنه ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب.

3- قال آخرون: إن شعيب كان قبل زمان موسى صلى الله عليه وسلم بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة.

وقد ذكر ابن كثير عددًا من المرجحات أنه ليس بالنبي شعيب صلى الله عليه وسلم.⁽³⁾

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (366/9).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: وإذ قالت الملائكة يا مريم، (3249).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (385/3).

وذكر القرطبي: أن اسمه يثرون وهو شعيب عليه السلام، وقيل هو ابن أخ شعيب، وأن شعيب كان قد مات. (1)

وقيل: إنه شعيب سيد أهل الماء يومئذ. (2)

وأما ابنة شعيب فقيل إن اسم احدهما "ليا" والأخرى "صفوريا"، وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليهما السلام. (3)

ثانياً: قصة موسى عليه السلام مع شعيب وابنتيه:

عندما توجه موسى عليه السلام لتلقاء مدين، ولما ورد ماءها وجد عليه أمة من الناس يسقون أنعامهم ومواشيهم، ووجد في مكان آخر امرأتين تمنعان غنمهما من ورود الماء مع الرعاة لئلا تختلط أغنامهما مع غيرهما، ولما رآهما موسى رق لهما وسقا لهما، ولما رجعت المرأتان إلى أبيهما، استغرب وسألها عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى، فبعث إحداهما إليه تدعوه إلى أبيها، فجاءته تمشي على استحياء، وقالت في أدب وحياء، إن أبي يدعوك ليكافئك على إحسانك لنا، ويعطيك أجر ما سقيت لنا، وتبع موسى المرأة إلى بيت أبيها، وطلب منها أن تسير خلفه كي لا ينظر إليها، وهذا أدب الرجال الذين تربوا على الأمانة وأعدهم الله للنبوة، وطلبت إحدى ابنتي شعيب استئجار القوي الأمين موسى ليرعى أغنامهم، لأنه قوى وأمين، قادر على حفظ الماشية والقيام برعايتها، وأمين لا تخاف خيانتته، فطلب منه الرجل أن يرعى غنمه ثمانية سنين كمهر لزواجه بإحدى ابنتيه. (4)

ثالثاً: مظاهر العفة عند ابنة شعيب:

يظهر خلق العفة عند ابنتي شعيب في عدة نقاط يمكن استخلاصها من القصة السابقة وهي:

1- عدم اختلاط ابنتي شعيب مع الرجال والمزاحمة على بئر الماء لسقي الغنم، وإنما تنتظران حتى يفرغ الرعاة ثم تسقيان غنمهما إن بقي الماء، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ فالآية فيها دلالة على أن

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (270/13).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (562 / 19).

(3) انظر: المرجع السابق، (270/13).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (86-85/20) // مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (11-10/3).

المرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة، وهذا ما فعلته ابنتا شعيب.⁽¹⁾

2- قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

فالآية بينت كيف تكون المشية للفتاة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال (على استحياء) لا تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم.⁽²⁾

3- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

وهذا خلق الفتاة فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح، وقد وجهت الدعوة إلى موسى عليه السلام في أقصر لفظ وأوضحه، ما أكثرت في الكلام ولا أطالت من الحديث، ولكنه لفظ واضح من غير اضطراب ولا تلجج يُغري أو يهيج. وقيل: (هذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة).⁽³⁾

4- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

فالآية تظهر منها عفة ابنة شعيب بلا تكلف ولا اصطناع، فهذه البنت عرضت على أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، ولعل هذه البنت قد شعرت بميل فطري سليم نحو موسى عليه السلام، دفعها لهذا العرض على أبيها دون تلعثم ولا حرج ولا اضطراب ولا مجرد سوء ظن أو تهمة فهي بريئة النفس نظيفة الحس.⁽⁴⁾

وقيل إنه لما قالت هذه البنت لأبيها (إن خير من استأجرت القوي الأمين) استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه فقال لها: وما علمك بذلك، قالت: أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر، وأما الأمانة فما رأيت من غض البصر عني.⁽⁵⁾

وقيل في أمانته: إنه نظر إلي حين أقبلت إليه، فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، حتى بلغته الرسالة ثم قال لي: امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين.⁽⁶⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (20/2687).

(2) انظر: المرجع السابق، (20/2686).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/374).

(4) انظر: في ظلال القرآن، (20/2688).

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (19/562).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، (5/288).

أطلق العلماء على هذه الآية أنها من الكلام الجامع المانع الحكيم الذي لا يزداد عليه، لأنه اجتمعت فيه الخصلتان في القائم بالأمر، وهما الكفاية، الأمانة، وفيه التعميم الذي هو أجمل وأليق في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأبقى للتحشم والتصون.⁽¹⁾

5- قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَيَّ هَتَيْنِ ﴾

وهذه الآية فيها جواز عرض الولي ابنته على الرجل، وهذه سنة قائمة، منها هو صالح مدين يعرض ابنته على صالح بني إسرائيل، وقد عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وعرضت المحبوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

وقيل: إنه لما رأى شعيب الميل الفطري السليم من ابنته لهذا الرجل، وأحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وشعر أن هذا الرجل يمتلك القوة والأمانة، مما دفعه أن يعرض عليه من غير تحرج ولا التواء أن ينكح ابنته، وهذا ما يرتضيه لابنته في زوجها ورب أسرتها الخلق والدين والكفاية.⁽³⁾

6- وُصِفَت ابنة شعيب بالذكاء والفراسة، حين وصفت موسى عليه السلام بالأمانة والقوة، عن ابن مسعود قال: (أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف حين قال أكرمي مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين).⁽⁴⁾

إنها العفة..

فيجب على الداعية أن يجعل فطرته سليمة قدر المستطاع، فالعفة هي دليل النقاء والفكرة البيضاء، عفة في النفس، وعفة عن كل الشهوات والمغريات، وعفة على كل كلمة حرام أو عمل منكر؛ فهذا يجعل من الداعية دليل قوة لمجاهدة النفس فتكون لكلماته وقفاً في قلوب المدعوين بإذن الله.

(1) انظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، (308/7).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (271/13).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2688/20).

(4) المستدرک على الصحيحين، الحاكم، كتاب: التفسير/باب: تفسير سورة يوسف، (3373/86/3) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

المبحث السابع خلق الوفاء عند امرأة عمران

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بامرأة عمران.

المطلب الثاني: قصة النذر.

المطلب الثالث: مظاهر الوفاء بالوعد عند امرأة عمران.

المبحث السابع

خلق الوفاء عند امرأة عمران

وفيه ثلاثة مطالب:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ * وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أُنْثَىٰ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: 35-37)

المطلب الأول: التعريف بامرأة عمران:

قيل: هي حنة بنت فاقود بن قنبل أم مريم جدة عيسى عليه السلام، وهو ليس اسماً عربياً ولا يعرف في العربية حنة اسم امرأة

وعمران أبو مريم، وهو من ولد سليمان عليه السلام، وقيل عمران بن ماتان.⁽¹⁾

المطلب الثاني: قصة النذر:

تكشف قصة النذر عن قلب امرأة عمران، وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها،⁽²⁾ وسبب النذر، قيل: إن امرأة عمران كانت كبيرة لا تلد، فرأت يوماً طائراً يزق فرخه فتحركت في نفسها شهوة الولد، ودعت ربها أن يهب لها ولداً، فنذرت إن ولدت أن تجعل ولداً محرراً، و كان ذلك جائز في شريعتهم.⁽³⁾

المطلب الثالث: مظاهر الوفاء بالوعد عند امرأة عمران:

1- بداية نقول إنه في الغالب يكون النذر من الناس لأجل أمور دنيوية ولكن لم نر قط نذيراً لأجل الدين كما فعلت امرأة عمران، التي نذرت إن كان ذكراً ستكون حياته كلها من أجل الله، وكانت تخشى ألا يتقبل الله منها ما نذرت، فهي صاحبة رسالة تمكنت منها وسيطرت على كيائها، والله تعالى يعلم صدق النوايا، فإن كانت النية صادقة وخالصة فسيبارك الله

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/63-64) / معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (2/29-30).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/392).

(3) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، (1/278) / الجامع لأحكام القرآن، (4/66).

ويتقبل، وامرأة عمران تخلصت من كل شريك في نيتها وأخلصت أن يكون ما في بطنها لله لا لعزوة تستشعرها بولد ولا لمتاع الدنيا.

ونذر امرأة عمران لا يتطرق إليه أحد لكونها حرة، كما أن المرء يريد الولد للأنس به والاستتصار والتسلي، وامرأة عمران طلبت الولد ليكون أنسًا لها وسكونًا إليه، فلما من الله عليها به نذرت أن حظها من الأنس به متروك فيه، وهو على خدمة بيت الله تعالى موقوف، وهذا نذر الأحرار من الأبرار.⁽¹⁾

2- لما وضعت امرأت عمران الجنين وضعته أنثى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ فقيل: إنها قالت ذلك لأنه لم يكن يقبل النذر إلا في الذكور.⁽²⁾

وهذا خبر منها يقصد به التحسر والاعتذار، لأنها نذرت تحرير ما في بطنها لخدمة بيت الله والانقطاع لعبادته فيه، والأنثى لا تصلح لذلك عادة لا سيما أيام الحيض.⁽³⁾ وقيل: إن امرأة عمران لفت المولودة في خرقتها وأرسلت بها إلى المسجد، فوفت بنذرها ووهبتها لله.⁽⁴⁾

3- وجزاء الإخلاص الذي عمر قلب الأم، وجزاء التجرد الكامل لله تعالى في النذر فقد طمأنها الله تعالى بقبول نذرها ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ والتقبل هنا بمعنى التكفل في التربية والقيام بشأنها، وقيل أن الله تعالى ما عذبها ساعة قط من ليل أو نهار، وسوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان.⁽⁵⁾

4- ضربت امرأة عمران مثلاً رائعاً للعبودية لله، ولقوة العزيمة، ولصدق النية مع الله تعالى فحين رأت أنها وضعته أنثى، أخذت تدعو الله تعالى أن يحفظها وأن يعيدها هي وذريتها من الشيطان، إعداداً لها كي تستقبل كلمة الله عيسى، وجاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: رسول الله ﷺ: ﴿ مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا ﴾.⁽⁶⁾

(1) انظر: الجامع لحكام القرآن، القرطبي، (66/4).

(2) انظر: المرجع السابق، (67/4).

(3) انظر: تفسير المنار، محمد رضا، (238).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (67/4).

(5) انظر: المرجع السابق، (69/4) في ظلال القرآن، سيد قطب، (393/3).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن/ باب: (وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، (4548/34/6).

المبحث الثامن

خلق الشفقة والحنان عند أم موسى وأخته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشفقة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلق الشفقة عند أم موسى وأخته.

المبحث الثامن

خلق الشفقة والحنان عند أم موسى وأخته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الشفقة وأهميتها:

أولاً: مفهوم الشفقة:

الشفقة لغة:

شَفَقَ: الشين والفاء والقاف أصل واحد يدل على رقة في الشيء، ويشتق منه قولهم أشفقتُ من الأمر، إذا رقت وحازرت، ويقال شفقتُ، وقال أكثر أهل اللغة: لا يقال إلا أشفقتُ وأنا مشفقٌ.⁽¹⁾

والشفق والشفقة رقة من نصح أو حب يؤدي إلى الخوف والشفقة.

الاسم من الإشفاق، وأشفقت عليه فأنا مُشفق وشفيق ومعناه: ضعف قلبي عن احتماله.

والشفق: الخوف، تقول مشفق عليك: أي خائف.

والشفقة هو أن يكون الناصح خائفاً على المنصوح، تقول أشفقت عليه أن يناله مكروه، والشفيق الناصح الحريص على صلاح المنصوح.

ويقال: ثوبٌ شفقٌ: إذا كان رقيقاً.⁽²⁾

الشفقة اصطلاحاً

إن المعاني والتعريفات الواردة في الشفقة كثيرة نذكر منها:

قال ابن القيم: "الإشفاق رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يُخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها".⁽³⁾

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (197/4).

(2) انظر: مختار الصحاح، الجوهري، (1501/4-1502) // تهذيب اللغة، الأزهرى، (261/8) // لسان العرب: ابن منظور، (179/10).

(3) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، (514/1).

قال الجرجاني: "هي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عند الناس".⁽¹⁾

وقال الهروي: "الإشفاق هو دوام الحذر، مقرونًا بالترحم".⁽²⁾

والإشفاق هو: عناية مختلطة بخوف وعلل ذلك بأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف

عليه.⁽³⁾

ثانيًا: فضل وأهمية الشفقة

تعتبر الشفقة من الأخلاق العظيمة التي حثَّ عليها الإسلام وهي مما يحبه الله ويرضاه لعباده، وأهل الشفقة مخصوصون برحمة الله، فقد قرن الله تعالى بين التعظيم لأمره والشفقة على خلقه في مواضع من كتابه؛ لأن هذين الأمرين هما جماع الدين العام، فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع، وذلك أصل التقوى والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم ومن ذلك:

1- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: 7).

قال الرازي: "اعلم أنه ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين: التعظيم لله والشفقة على خلق الله والتعظيم لأمر الله مقدم على الشفقة على الخلق فقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ مشعر بالتعظيم بأمر الله، وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ مشعر بالشفقة على خلق الله".⁽⁴⁾

2- الشفقة طريق أهل السعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: 5-7)، فمن عظم أمر الله وأشفق على خلقه كان من أهل السعادة.⁽⁵⁾

(1) التعريفات، (127/1).

(2) منازل السائرين، (ص: 27).

(3) انظر: مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، (ص: 458-459).

(4) انظر: التفسير الكبير، الرازي، (30/14).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (83/20).

3- بالشفقة تكون في معية الله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:128) والمعية تكون بالرحمة والشفقة والإحسان، فيحقق الإنسان الشفقة لنفسه ولغيره، وذلك بتقواه بتعظيم أمر ربه، وإحسانه للناس بالشفقة عليهم. (1)

4- وقد رغب الرسول ﷺ بالشفقة في مواضع كثيرة منها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (2)

5- إنها رכיذة عظيمة ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك، يعطف بعضه على بعض ويشفق بعضه على بعض.

6- من ثمارها محبة الله للعبد ومحبة الناس له.

7- أنها خلقت ممتد إلى جميع خلق الله من إنسان أو حيوان أو مسلم أو غير مسلم.

8- أنها مظهر من مظاهر العشرة الطيبة، ومنها أن تكون الشفقة على الأخ الموافق أكثر من الشفقة على الولد المخالف، ألم تسمع قول الله لنوح ﷺ في ابنه ﴿قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود:46). (3)

المطلب الثاني: خلق الشفقة عند أم موسى وأخته

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (246/3).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب/ باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (2442/128/3).

(3) انظر: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، الغزي، (ص:52).

فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (القصص: 7-13).

قدم القرآن الكريم صورة فريدة ومتميزة عن رحمة الأم بوليدها، وهي قصة أم موسى حين أوحى إليها ربها أن تلقي رضيعها في اليم. وقد شملت الآية على التصوير الحقيقي والصحيح لما تحس به الأم تجاه رضيعها، وفيه أيضاً تتمثل رحمة الأم بولدها، تلك الرحمة التي تمثل جزءاً يسيراً من رحمة الله تعالى بعباده، ولكنها رحمة الأم تظل هي قمة وأكبر مقدار للرحمة على وجه البسيطة.

أولاً: سبب إلقاء موسى في اليم:

يقال إن فرعون كان أحد الملوك الطغاة، المفسدين، الفاجرين، كان قد وصل إلى سمعه أنه سيخرج من ذرية إبراهيم عليه السلام غلام يكون هلاك مصر على يديه فعندها أمر بقتل أبناء بني إسرائيل، حذراً من وجود هذا الغلام، وكان يقتل الغلمان الذكور عاماً بعد عام، فولد هارون عليه السلام في عام المسامحة، أما موسى فولد في عام القتل فخافت أم موسى على وليدها، فأوحى إليها الله تعالى أن اتخذي له تابوتاً، فاتخذت له تابوتاً كانت تربطه في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل، فكانت ترضعه، فإذا خشيت عليه من أحد وضعت في ذلك التابوت، فأرسلته في البحر، وأمسكت طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته.⁽¹⁾

ثانياً: مظاهر شفقة أم موسى على وليدها:

1- ألقى الله تعالى في روع أم موسى وألهمها بإلقاء الطفل الوليد في البحر، وقد كان هذا الوحي صعباً شديداً على أم موسى لكنه نزل عليها برداً وسلاماً، فأزاح الخوف والهم عن قلبها الخائف الواجف وامتثلت لأمر الله تعالى، وأدركت أن رضيعها في عصمة الله، وفي حمى الله، وأن الله لا يضيع من توكل عليه.⁽²⁾

(1) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: 230).

(2) انظر: صحيح قصص القرآن. أحمد الطاهر، (ص: 293).

2- ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

تصف الآية حال الأم، فقد أصبح فؤادها فارغاً لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف، أصبح فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا إلا موسى الذي ألقته في اليم، حتى أنها كادت من شدة وجدها وحزنها وشفقتها عليه أن تخبر الناس أن لها وليداً قد ألقته في اليم، لولا أن ألهمها الله الصبر والثبات والامتنال لأمره لتكون من المؤمنين بوعد الله، الصابرين على ابتلائه السائرين على هداه. (1)

3- ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

وهكذا قلب الأم لم تسكت عن البحث والمحاولة، فقالت لأختها أن تتبع أثره، وتعرف خبره فذهبت تقص أثره في حذر وخفية، تتلمس خبره في الطرق والأسواق رحمة به وشفقة عليه، وقيل أن أخته كانت تمشي على ساحل البحر وتراقب بطرف عينها التابوت حتى رأتهم أخذوه. (2)

4- ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾

ومن رحمة الله تعالى بأم موسى، تحقيقاً لوعده ﷻ بإعادته إلى أمه، يرفض الصغير أن يرضع من أي امرأة أخرى، فكانت شفاته جند من جنود الله، والأعظم من ذلك أن فرعون لم يعلم أن الطفل الذي بين يديه هو عدوه اللدود فهو يحافظ على حياته ويخشى عليه من الموت أو الذبول، حتى رأتهم أخته، فدلتهم على أم موسى، فانطلقت إليها بأمرهم فجاءت بها، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها، ولقد ألهمها الله السكون والثبات عندما رأت رضيعها لكي لا يشعر آل فرعون بصلة القرابة بينهما. (3)

وهكذا عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة، معافى في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون وترعاه أمه، وليتحقق وعد الله تعالى ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ومن عظيم الكرامة أن فرعون تكفل بأجرة شهرية

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2680/20) مختصر تفسير ابن كثير، (10/3).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (256/83) في ظلال القرآن، (2680/20).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (257/13) قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص:232) القصص القرآني، صلاح الخالدي، (276/3).

للمرضعة التي سيقبل عليها الطفل، فنالت أم موسى على صبرها وثباتها الخير الكثير، رجعة ابنها إليها وأجرة على إرضاعها إياه.⁽¹⁾

5- من الملاحظ في النص أن الله تعالى قد طمأن أم موسى على ابنها من خلال المبشرات، لتقوية قلبها وإزالة خوفها وقلقها وحزنها فقال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكَ رَادُّوهُ﴾ ولعل هذا أهم ما يشغل بالها والبشارة الثانية ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ حينما يكون أهلاً للاصطفاء بالنبوة والرسالة.⁽²⁾

إنها الشفقة..

لأن الداعية إنسان يسلك طريق النقاء وسلامة الفطرة؛ فهو الأقرب إلى رقة القلب التي تدعوه إلى الشفقة والحنان، شفقة على العاصيين وحناناً على ذوبهم، شفقة على الغارقين في المعاصي وحناناً على قلوبهم كي يتوبوا، هكذا يجب أن يكون الداعية مشفقاً حنوناً فهما سبيلان لرقّة القلوب واستمالتها.

(1) انظر: القصص القرآني، (3 / 277).

(2) انظر: القصص القرآني، صلاح الخالدي، (3 / 277).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله ذي الطول والآلاء، وصل الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وأصحابه والصالحين الأتقياء.

إن هذا مما يسره الله تعالى لي الوقوف على أخلاق الأنبياء والصالحين الواردة ذكرها صراحةً في القرآن الكريم .

وتؤكد الباحثة أن أي خلقٍ خصص ذكره لنبيٍّ من الأنبياء في هذه الرسالة المتواضعة، هو خلق لجميع الأنبياء عليهم السلام؛ لأن بعضهم يقتدي ببعض، وكل واحدٍ منهم يقتدي بمن قبله. فإن كان صواباً فهو فضل من الله ومنة، وإن كان فيه خطأً أو زلل فمن الشيطان ومن نفسي.

ومن خلال هذه الدراسة لأخلاق الأنبياء والصالحين والوقوف على ما فيها من عبرٍ وعظات خرجت الباحثة بأهم النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

- 1- إن الأخلاق رسالة الأنبياء والصالحين الداعين لله رب العالمين.
- 2- إن الإسلام دعا إلى التمسك بالأخلاق الحميدة.
- 3- إن المؤمن حريصٌ على تركية نفسه والارتقاء بها في درجات الإيمان، والوصول إلى درجات الكمال البشري والأخلاق سبيلٌ لذلك.
- 4- إن الأخلاق الحسنة علامةٌ على كمال الإيمان، وقربة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه.
- 5- إن الأخلاق الفاضلة سبب لمحبة الله، ورضاه، ودخول جنته.
- 6- إن الأخلاق ترجمة عملية للعقيدة والإيمان.
- 7- إن الأخلاق ثمرة للعبادة الصحيحة.
- 8- إن الأخلاق الإسلامية ربانية، شمولية، عالمية، واقعية، وسطية، إيجابية، إنسانية، مثالية، تقدمية، جزائية، وهذا يدل على عظم أهمية الأخلاق.
- 9- إن الأخلاق سبيل رفعة الأمم، وعلو الهمم، والوصول للقمم.
- 10- إن الأخلاق رمز الهداية، بها تفتح القلوب، وتثار العقول، وتهدأ النفوس.

- 11- إن من عظيم مكانة الأنبياء، ورفيع منزلتهم، وشريف مرتبتهم، أن الفطر السوية تطمئن لصادق دعوتهم، وصدق أسنتهم وأن النفوس تهتدي لأخلاقهم.
- 12- إن الأنبياء هم صفوة الله في خلقه، وأخلاقهم أفضل الأخلاق، وآدابهم أفضل الآداب، فهم أهل السمات والمروءة، والأخلاق النبيلة و الصفات الشريفة.
- 13- إن إمعان النظر في عظيم أخلاق الأنبياء والصالحين يغرس في القلب حباً عميقاً لهم، ويزيد رغبةً في سماع سيرتهم وفضائلهم.
- 14- إن أخلاق الأنبياء والصالحين تجمع فضائل الأعمال والأقوال فالتمثل بهم يزيد الإيمان.
- 15- إن في قصص الأنبياء والصالحين في ضوء القرآن، وسيرتهم العطرة عبرةً لذوي العقول والأبصار.
- 16- إن من الأهداف المهمة لبعثة النبي ﷺ التربية على محاسن الأخلاق.
- 17- إن مكارم الأخلاق حُصرت في بعثته ﷺ.
- 18- إن من أجمل ما دعا به نبينا محمد ﷺ ربه (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي)⁽¹⁾.
- 19- بالإخلاص والتقوى تقبل الطاعات.
- 20- ببر الوالدين نرقي للجنات.
- 21- بالعفة نسلك سبيل الطاعات.
- 22- بالشفقة نعلم قلوباً تحنو على العباد.
- 23- بالصدق سيف تقطع به بُور النفاق.
- 24- بإحقاق الحق نقوى في وجه الظلم والفساد.
- 25- بالقوة في الدين طريقنا للعدل في البلاد.
- 26- بالحلم والصبر كراماتٌ وأجرٌ بغير حساب.
- 27- بالرحمة والرأفة تؤسر أفئدة العباد.
- 28- بالعلم والحكمة نرتقي إلى القمم.

(1) سبق تخريجه في صفحة (18).

29- بالوفاء والأمانة تدوم الأمم.

30- بالشكر تزيد النعم.

ثانياً: التوصيات:

- 1- الإقبال على طلب العلوم الشرعية، والسعي في نشرها، فهي أنفع العلوم في الدنيا والآخرة.
- 2- توصية للدعاة والعلماء للقيام بواجباتهم الدعوية والتربوية، وضرورة الالتزام بالأخلاق الفاضلة أثناء الدعوة إلى الله تعالى.
- 3- الإقبال على هذا النوع من التفسير وتوظيفه عملياً في الحياة والواقع.
- 4- ضرورة العمل على الارتقاء بالنفس البشرية وتمسكها بالأخلاق بأن يبدأ كل فردٍ برقي نفسه لأن في التمسك بالأخلاق صلاح المجتمعات.
- 5- أوصي المسلمين عامة والدعاة خاصة بضرورة التعمق في قراءة ودراسة قصص الأنبياء، لأن فيها الخير والصلاح للأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة.
- 6- وفي الختام أوصي الجميع بتقوى الله تعالى والثبات على طريق الحق والنجاة والالتزام بالقرآن الكريم قراءةً وتدبراً وتأملًا فكتاب الله تعالى فيه الخير والصلاح ولا ينصلح حال الأمة إلا به والعمل بما جاء فيه.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تهدينا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأن تصرف عنا سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت

اللهم كما حسنت خُلُقنا فحسن خُلُقنا

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وجميع الأنبياء وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الحساب.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذه الدراسة كاتبها وقارئها، وينفع بها الأمة الإسلامية جمعاء وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنه ولي سميعٌ مجيب الدعاء.

الفهارس العامة

فهرس الآيات الكريمة.

فهرس الأحاديث الشريفة.

فهرس الأعلام .

المراجع .

فهرس المحتويات.

فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
سورة البقرة			
21	161	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾	1.
80	126	﴿قُلْ أَخَذْتُ مَعَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا...﴾	2.
127	130	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ...﴾	3.
129	2	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا...﴾	4.
131	101	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ...﴾	5.
143	56	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾	6.
151	141، 2	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا...﴾	7.
152	93	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا...﴾	8.
153	67	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا...﴾	9.
155	67	﴿وَنَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	10.
158	93	﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾	11.
177	127	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا...﴾	12.
225	106	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ...﴾	13.
251	145	﴿وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَالْحِكْمَةَ...﴾	14.
263	106	﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ...﴾	15.
264	26	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا...﴾	16.
269	141	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ...﴾	17.
273	191	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا...﴾	18.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
34	278	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا...﴾	19.
161	281	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾	20.
36	286	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	21.
سورة ال عمران			
200	37-35	﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ...﴾	22.
193	37	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ...﴾	23.
194	42	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ...﴾	24.
194	45	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ﴾	25.
126	76	﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ...﴾	26.
68	125	﴿بَلَىٰ ۗ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن...﴾	27.
108	134-133	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾	28.
138 ، 36	134	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ...﴾	29.
98	144	﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾	30.
98	145	﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	31.
67	146	﴿وَلَيْنَ صَبْرُهُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾	32.
40	154	﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾	33.
106	155	﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ...﴾	34.
107 ، 34	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	35.
2	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ...﴾	36.
108	186	﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ...﴾	37.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
66، 27	200	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا... ﴾	.38
سورة النساء			
162	1	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾	.39
106	12	﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا... ﴾	.40
153	36	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... ﴾	.41
114	48	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُشْرَكَ ... ﴾	.42
34	58	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... ﴾	.43
55	69	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ... ﴾	.44
161	131	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا... ﴾	.45
51	142	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ... ﴾	.46
134	146	﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾	.47
91	147	﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾	.48
97، 95	147	﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ ... ﴾	.49
194	156	﴿ وَكُفِّرْهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرِيَمَ ﴾	.50
سورة المائدة			
، 27 124، 126	1	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا... ﴾	.51
162	8	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا... ﴾	.52
43	13	﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ... ﴾	.53
163	29-27	﴿ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ... ﴾	.54
52	75	﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾	.55

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
180	75	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ... ﴾	.56
سورة الانعام			
80	54	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾	.57
31	162	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ... ﴾	.58
153، 25	153-151	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ... ﴾	.59
سورة الاعراف			
13	26	﴿ يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا... ﴾	.60
134	29	﴿ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	.61
77	52	﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ... ﴾	.62
162	96	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ... ﴾	.63
94	144	﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ... ﴾	.64
138	144	﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ لَنَاسٍ... ﴾	.65
107، 15	200-199	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ... ﴾	.66
136	201	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ... ﴾	.67
سورة التوبة			
28	103	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ... ﴾	.68
162	109-108	﴿ لَمْ سَجِدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾	.69
126	111	﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ... ﴾	.70
129	112	﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ... ﴾	.71
107، 110، 126، 114	114	﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ... ﴾	.72

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
118	54	وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ73
128	81، 80، 15	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾	.74
سورة يونس			
2	53	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ...﴾	.75
55	126	﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	.76
57	17	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ...﴾	.77
63-64	162	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	.78
93	50	﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً...﴾	.79
سورة هود			
46	205	﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ﴾	.80
74-75	110، 107	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ...﴾	.81
87	120، 107	﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ...﴾	.82
88	121	﴿قَالَ يَنْفُورِ أَرَأَيْتُمْ...﴾	.83
89	122	﴿وَيَنْفُورِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِ...﴾	.84
90	122	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...﴾	.85
120	17	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا...﴾	.86
سورة يوسف			
54	47، 42	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِءَ اسْتَخْلِصْهُ...﴾	.87
52	43	﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾	.88
55	48	﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ...﴾	.89
46	61	﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾	.90

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
61	56-55	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي... ﴾	.91
135	24	﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ... ﴾	.92
سورة الرعد			
18	11	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ... ﴾	.93
30	22-19	﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ... ﴾	.94
127	24-19	﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ... ﴾	.95
سورة ابراهيم			
98	34	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾	.96
113	36	﴿ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَلْنَا كَثِيرًا... ﴾	.97
سورة الحجر			
52	64	﴿ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ... ﴾	.98
107	85	﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾	.99
سورة النحل			
98	18	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾	.100
105	61	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ... ﴾	.101
80	89	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا... ﴾	.102
94	121	﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴾	.103
16	125	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ﴾	.104
100	122-120	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ... ﴾	.105
67	126	﴿ وَلَيْنَ صَبْرٌ لَّهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾	.106
سورة الاسراء			

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
19	16	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا...﴾	107.
90	3	﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	108.
99، 94	3	﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ...﴾	109.
124	35	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾	110.
124	34	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ ط﴾	111.
153	28	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾	112.
سورة الكهف			
64	28	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ...﴾	113.
77	81	﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾	114.
87	71	﴿أَخْرَقَتْنَا لَتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ...﴾	115.
14	79	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ...﴾	116.
87	74	﴿قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾	117.
88	81-80	﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ...﴾	118.
14	82	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ...﴾	119.
سورة مريم			
156	15-14	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا...﴾	120.
191	21-16	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾	121.
194	23	﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ...﴾	122.
194	26	﴿فَأِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ دَا﴾	123.
155	33-32	﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾	124.
58، 57، 52	41	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ...﴾	125.

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	م.
45-42	100	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا ... ﴾	.126
47	114	﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ ... ﴾	.127
50-49	59	﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ ... ﴾	.128
51	137	﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ... ﴾	.129
54	52	﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴾	.130
54	119	﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾	.131
56	58، 52	﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ ... ﴾	.132
سورة طه			
131	190	﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ... ﴾	.133
سورة الانبياء			
85	74، 66	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ... ﴾	.134
84-83	69	﴿ وَيُؤْتِيهِمْ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي ... ﴾	.135
107	81	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ... ﴾	.136
79-78	143	﴿ وَذَا أُورْدَ وَسَلِيمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ ... ﴾	.137
91	192	﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَانْفَحْنَا ... ﴾	.138
سورة الحج			
31-30	56	﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ ... ﴾	.139
65	82	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ... ﴾	.140
سورة المؤمنون			
96	11	﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾	.141
11-1	37، 29، 24	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ ... ﴾	.142

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
127، 43	8	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ... ﴾	.143
129	9-1	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ... ﴾	.144
161	52	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	.145
سورة النور			
78	2	﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾	.146
188	33	﴿ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ... ﴾	.147
سورة الفرقان			
36	67	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ... ﴾	.148
108	63	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ... ﴾	.149
سورة الشعراء			
45	194-192	﴿ وَإِنَّهُمْ لَتُنزِلُنَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ... ﴾	.150
44	110-105	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ... ﴾	.151
45	127-123	﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ هُمْ... ﴾	.152
45	145-141	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ... ﴾	.153
45	164-160	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ... ﴾	.154
45	180-176	﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ... ﴾	.155
55	223-221	﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ... ﴾	.156
100	76-70	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ... ﴾	.157
114	86	﴿ وَأَعْرِضْ لِأبي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴾	.158
135	89-88	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ... ﴾	.159
161	106	﴿ إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ... ﴾	.160

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
44	142	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾	161.
190	109	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾	162.
سورة النمل			
144	16	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ... ﴾	163.
147	22	﴿ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ... ﴾	164.
147	27-26	﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ... ﴾	165.
147	31-30	﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ... ﴾	166.
147	37-36	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتُمِدُونِنِ... ﴾	167.
148	40	﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ... ﴾	168.
148	15	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... ﴾	169.
149	41	﴿ قَالَ نَكْرُوا هَا عَرَشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِينَ... ﴾	170.
149	44	﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا... ﴾	171.
سورة القصص			
42	26	﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ... ﴾	172.
67	54	﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ... ﴾	173.
196	27-22	﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ... ﴾	174.
206	13-7	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا... ﴾	175.
سورة العنكبوت			
28	45	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ... ﴾	176.
57	3-1	﴿ أَلَمْ أَحْسِبْ * النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا... ﴾	177.
154	8	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... ﴾	178.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة الروم			
128	17	﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ... ﴾	179.
سورة لقمان			
67	17	﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ... ﴾	180.
97	12	﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ... ﴾	181.
183	12	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾	182.
186	19-13	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ... ﴾	183.
سورة السجدة			
68	24	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا... ﴾	184.
سورة الاحزاب			
42	72	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ... ﴾	185.
53	33	﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	186.
53	24	﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾	187.
130	35	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ... ﴾	188.
سورة سبأ			
94، 90	13	﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ... ﴾	189.
سورة فاطر			
107	45	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ... ﴾	190.
36	32	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لَّنَفْسِهِ ۗ وَمِنْهُمْ... ﴾	191.
سورة يس			
171	27-20	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ... ﴾	192.
172	19-13	﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ... ﴾	193.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة الصافات			
73، 116، 131، 118	102	﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾	194.
101	84	﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	195.
116	113-99	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ...﴾	196.
118	101	﴿فَبَشِّرْنَهُ بِنُحْمٍ حَلِيمٍ﴾	197.
135	40-38	﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ...﴾	198.
سورة ص			
66	44	﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا...﴾	199.
145، 141	20	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ...﴾	200.
146	26	﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً...﴾	201.
سورة الزمر			
52	33	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ...﴾	202.
96	7	﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾	203.
126	20	﴿وَعَدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمَيِّعَادَ﴾	204.
135	3-2	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	205.
سورة غافر			
174	29-28	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ...﴾	206.
175	26	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ﴾	207.
204	7	﴿الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾	208.
سورة فصلت			
107، 20	34	﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ...﴾	209.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة الشورى			
36	43	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفِرَ إِنَّا...﴾	210.
سورة الدخان			
46	19-17	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ...﴾	211.
42	18	﴿إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	212.
84	6-5	﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ...﴾	213.
سورة الفتح			
80	29	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾	214.
127	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا...﴾	215.
سورة الحجرات			
27	11	﴿يَتَّيِبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا...﴾	216.
27	12	﴿يَتَّيِبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾	217.
52	15	﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	218.
162، 18	13	﴿يَتَّيِبُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ...﴾	219.
سورة الذاريات			
29	19-16	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ...﴾	220.
سورة الطور			
104	32	﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا...﴾	221.
سورة النجم			
129	138	﴿أَلَا تَرَى زُرُورًا وَزُرًّا أُخْرَى﴾	222.
سورة القمر			
141	5	﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ﴾	223.

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
سورة الحديد			
56	19	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ... ﴾	224.
سورة الجمعة			
2	2	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا... ﴾	225.
سورة التغابن			
91	17	﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾	226.
93	17	﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ... ﴾	227.
106	17	﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفْهُ... ﴾	228.
سورة التحريم			
167	11	﴿ ءَامَنُوا لِلَّذِينَ مَثَلًا اللَّهُ وَضُرِبَ... ﴾	229.
192	12	﴿ وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ... ﴾	230.
سورة القلم			
10، 3، هـ	4	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	231.
سورة المدثر			
25	42-46	﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا... ﴾	232.
سورة المطففين			
34	1-5	﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا... ﴾	233.
سورة الاعلى			
15	14-15	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ... ﴾	234.
سورة الشمس			
18، 15	9-10	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * ﴾	235.
سورة البينة			

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
135	5	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ... ﴾	236
سورة العصر			
67، 19	3-1	﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ... ﴾	237
سورة الماعون			
26	7-1	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ *... ﴾	238

فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الصفحة	الحكم على الحديث	طرف الحديث
13، 10، هـ	صحيح	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
11، هـ	صحيح	اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي
11	صحيح	كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ
11	حسن صحيح	اتَّقِ اللهُ حَيْثُمَا كُنْتَ
12	صحيح	مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ
12	صحيح	أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ
12	صحيح	الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ
12	حسن	سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ
18	صحيح	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ
26	صحيح	أَزْبَعَ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا
27	صحيح	لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي
27	صحيح	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
28	صحيح	أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ
34	صحيح	الدِّينُ النَّصِيحَةُ
35	صحيح	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ
35	صحيح	دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي
37	حسن	دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ

رقم الصفحة	الحكم على الحديث	طرف الحديث
41	صحيح	كُلُّكُمْ رَاعٍ
43	حسن	اضْمَنْتُوا لِي سِتًّا مِنْ
43	حسن صحيح	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ
127-55-43	صحيح	آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ
44	صحيح	أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ
53	صحيح	عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ
53	صحيح	الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ
60	صحيح	يا عمرو، نعمًا بالمال الصالح للرجل لصالح
95-68	صحيح	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ
68	صحيح	وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا
68	صحيح	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ
81	صحيح	جعل الله الرحمة من مائة
81	صحيح	إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ
84	صحيح	عَزَا رَسُولُ اللَّهِ
85	ضعيف	ألا أحدثكم عن الخضر؟» قالوا: بلى، يا رسول الله
85	صحيح	بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي
93	صحيح	من لا يشكر الناس لا يشكر الله

رقم الصفحة	الحكم على الحديث	طرف الحديث
95	صحيح	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا صَلَّى
95	حسن	يا عائشة ذريني أتعبد لربي
96	صحيح	إن الله ليرضى
97	صحيح	الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ
97	صحيح	من لم يشكر القليل،
108	صحيح	لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْشًا وَلَا مَتَفَحِّشًا
108	صحيح	خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ
108	صحيح	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُ
109	صحيح	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ
109	صحيح	إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا
109	صحيح	مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ
110	صحيح	لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ
126	صحيح	لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له
136	صحيح	قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا
142	صحيح	لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على
154-153	صحيح	رَغَمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغَمَ
153	صحيح	الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، وَيُرُّ الْوَالِدِينَ

رقم الصفحة	الحكم على الحديث	طرف الحديث
154	صحيح	إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ
154	إسناده جيد	أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ،
161	صحيح	لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
164	حسن صحيح	إنها ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها
180-194	صحيح	كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ
186	صحيح	ألا وإن في الجسد مضغة إذا
191	صحيح	ما يزال الرجل يسأل الناس
191	صحيح	اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى
191	صحيح	يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وينهانا عما
195	صحيح	خير نساءها مريم ابنة
201	صحيح	مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ
205	صحيح	المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ

فهرس الأعلام

رقم الصفحة		العلم
6	16	الراغب الأصفهاني
7	17	ابن القيم
7	17	الماوردي
7	17	ابن عاشور
10	19	عبد الله بن مبارك
11	20	زياد بن علاقة
12	21	النّوّاس بن سمعان
16	25	سهل بن عبد الله التستري
20	29	ابن حبان
41	48	الكفوي
65	72	الجاحظ
68	75	أبي مالك الأشعري
79	85	القفال
82	88	الحسن بن الفضل
83	90	أبْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ
86	92	ابن قتيبة
92	98	التستري
105	110	الجُرْجَانِي
109	114	الأشجّ
110	114	عبد الله بن شداد ابن لهاد الليثي
111	116	كعب الأحبار
133	136	المناوي
164	146	عبد الله بن عمرو
168	167	أبو العالية الرياحي
183	171	وهب بن منبّه

المراجع

1. 1000 سؤال وجواب في القرآن، قاسم عاشور، دار ابن حزم- بيروت، ط1: (1422هـ - 2001م).
2. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت.
3. الاخلاق في الإسلام، كايد قرعوش د. خالد القضاة، د. عبد الرزاق أبو البصل - د. محمد حسن الشلبي، د. محمد موسى نصر - د. نصر البنا = د. وليد السعد، ط 2، 2001م - 1422هـ.
4. آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين، حققه: الدكتور عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (1388هـ - 1968م).
5. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م.
6. الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1: (1420 هـ).
7. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، ط4: (1420هـ - 1999م).
8. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: (1419هـ - 1998م).
9. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1: (1415هـ - 1994م).
10. الإصابة في الذب عن الصحابة، الشيخ الدكتور مازن بن محمد بن عيسى.
11. أصول الدعوة وطرقها 1، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

12. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، (1415هـ-1995م).
13. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15: (2002 م).
14. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1: (1422 هـ - 2001م).
15. الإنبياء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1: (1421 هـ - 2001م).
16. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: (1419هـ/1999م).
17. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: (1418 هـ).
18. أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهميته، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
19. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5: (1424هـ-2003م).
20. بحث حول قول الرسول "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، د. صيدلي جمال محمد الزكي، المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة.
21. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.

22. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط1: (1420 هـ).
23. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، (1419 هـ).
24. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
25. البركة في الرزق والأسباب الجالبة لها في ضوء الكتاب والسنة، عبد الله مرحول السوالمه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: (199، 1423 هـ/2003 م).
26. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي.
27. بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376 هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
28. بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقى - دمشق، ط1: (1382 هـ - 1965 م).
29. تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430 هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1410 هـ - 1990 م).
30. تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ المشاهير وَالْأَعْلَامِ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَازِ الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1: (2003 م).
31. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث - بيروت، ط2: (1387 هـ).

32. تاريخ بغداد وذيلوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: (1417هـ).
33. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (1415هـ - 1995م).
34. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، دار التونسية للنشر، تونس (1984هـ).
35. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط2: (1403هـ - 1983م).
36. التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط3: (1413هـ).
37. ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسن الشجري الجرجاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: (1422 هـ - 2001 م).
38. الترغيب والترهيب، عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط1: (1415هـ-1994م).
39. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية - بيروت.
40. تعريف عام بدين الإسلام، علي بن مصطفى الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1: (1409 هـ - 1989م).
41. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم،

- الدارمي، البُستي، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1: (1424هـ - 2003م).
42. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
43. تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
44. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الإيجي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1424هـ - 2004م).
45. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1423هـ).
46. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط1.
47. تفسير الراغب الأصفهاني، القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420 هـ - 1999 م
48. تفسير الراغب الأصفهاني، القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عادل بن علي الشّدي، دار الوطن - الرياض، ط1: (1424 هـ - 2003م).
49. تفسير الراغب الأصفهاني، القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى.
50. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
51. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسُلطان العلماء

(المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط1: (1416هـ-1996م).

52. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب

53. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، ط1: (1423هـ - 2002م).

54. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1: (1419هـ)..

55. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: (1420هـ - 1999م).

56. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1: (1410هـ).

57. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1: (1418هـ - 1997م).

58. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1: (1426هـ - 2005م).

59. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

60. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2: (1418هـ).
61. التفسير الموضوعي 2، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
62. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1: (1419هـ - 1998م).
63. التفسير الوسيط للزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، 1422هـ.
64. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، (ج 1 - 5 1997، ج6-15 1998).
65. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1419هـ).
66. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط1: (1423هـ).
67. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: (1425هـ - 2004م).
68. التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة النقات والضعفاء والمجاهيل، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ط1: (1432هـ - 2011م).
69. تلخيص تاريخ نيسابور، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري، كتابخانه ابن سينا - طهران، عزبه عن الفرسية: د/ بهمن كريمي . طهران.

70. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -، دار الكتب العلمية - لبنان.
71. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1.
72. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
73. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1: (1326هـ).
74. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: 742هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: (1400 هـ - 1980م).
75. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب.
76. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط1: (1410هـ-1990م).
77. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1: (1420 هـ - 2000 م).
78. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة أبو الفداء زين الدين قاسم بن فطوئعًا السؤدوني، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، ط1: (1432 هـ - 2011م).
79. الثورة البائسة، د. موسى الموسوي.
80. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1: (1420 هـ - 2000م).

81. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7: (1422هـ - 2001م).
82. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7: (1422هـ - 2001م).
83. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: (1422هـ).
84. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2: (1384هـ - 1964م).
85. الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنيأوي، مكتبة ابن عباس، مصر، ط: (1426هـ - 2005م).
86. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: (1418هـ).
87. حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي، دار الزاحم، ط2: (1423هـ-2002م).
88. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
89. الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، ط4: (1401هـ)..

90. الحديث الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية
91. حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد.
92. الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
93. خلق المؤمن، د.مصطفى مراد، دار الفجر للتراث- القاهرة، ط1: (1426هـ-2005م).
94. الدخيل في التفسير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
95. الدر المنثور، : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر - بيروت.
96. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط12: (1424هـ - 2003م).
97. دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط1: (1423هـ-2002م).
98. دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مكتبة الملك فهد الوطنية.
99. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2: (1406 هـ - 1986م).
100. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط4: (1425 هـ - 2004م).
101. ديوان أحمد شوقي، مداخلة وتحقيق: د. إئيل أ.كبا، دار الجميل- بيروت، ط1: (1415هـ-1995م).
102. ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح: د. علي مهدي زيتون، دار الجميل- بيروت، ط1: (1416هـ-1995م).

103. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م.
104. رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ثابت (المتوفى: 1416هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1: (1421 هـ - 2000م).
105. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال - بيروت، ط1.
106. الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني - جدة.
107. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
108. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر - بيروت.
109. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1415هـ).
110. الرَّوْضُ الْبَاسِمُ فِي الدَّبِّ عَنْ سُنَّةِ أَبِي الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصنّعاني)، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
111. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت.
112. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1: 1422 هـ.

113. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27: (1415هـ/1994م).
114. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
115. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، (1285هـ).
116. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، ج 1 - 4: 1415 هـ - 1995 م، ج 6: (1416 هـ - 1996 م)، ج 7: (1422 هـ - 2002 م).
117. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السرجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
118. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2: (1395 هـ - 1975 م).
119. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: (1421 هـ - 2001 م).
120. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط: (1427 هـ - 2006 م).
121. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ)، دار القلم - دمشق، ط8: (1427هـ).

122. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: (1375هـ - 1955م).
123. شرح الشفاء، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1421هـ).
124. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط10: (1417هـ - 1997م).
125. شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، ط4: (1424هـ - 2004م).
126. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، (1426هـ).
127. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1: (1415هـ، 1494م).
128. الشوقيات، شرح وتحقيق: د. يحيى الشامي، دار الفكر العربي - بيروت، ط (1996م).
129. الصبر والثواب عليه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1: (1418هـ - 1997م).
130. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4: (1407هـ - 1987م).

131. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4: 1418 هـ - 1997 م
132. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.
133. صحيح القصص القرآني، حامد أحمد الطاهر البسيوني، دار الحديث - القاهرة، ط1: (1426هـ-2005م).
134. صحيح وضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
135. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السقّاف، الدرر السنية - دار الهجرة، ط3: (1426هـ - 2006م).
136. صلاح بن سالم المصراطي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط1: (1418هـ).
137. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة 2009م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي
138. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار القلم - دمشق، ط1: (1425هـ - 2004م).
139. ط1: (1422هـ - 2002م).
140. طبقات الأولياء، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط2: (1415هـ - 1994م).
141. طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: 711هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط1: (1970م).

142. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1410 هـ - 1990 م).
143. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: 369هـ)، المحقق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2: (1412 - 1992م).
144. طرح التثريب في شرح التقریب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).
145. طريقك الى الإخلاص والفقہ في الدين، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار الاندلس الخضراء، ط1: (1421هـ/ 2001م).
146. طريقنا إلى القلوب، الشيخ إبراهيم الدويش، تم استيراده من نسخة: 11000، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1: (1420هـ - 2000م).
147. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3: (1409هـ - 1989م).
148. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
149. عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2: (1424هـ - 2000م).
150. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، تحقيق وتخریج:

- محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، ط1: (1405هـ - 1985م)، علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار ابن الجوزي - الدمام، ط1: (1427هـ).
151. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3: (1415هـ - 1994م).
152. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2: (1415هـ).
153. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق، الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1416هـ).
154. فتح الباب في الكنى والألقاب، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مئذة العبدي (المتوفى: 395هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر - السعودية - الرياض، ط1: (1417هـ - 1996م).
155. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379.
156. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، (1412هـ - 1992م).
157. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1: (1414هـ).
158. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط7: (1377هـ-1957م).
159. فصل الخطاب في الزهد والرفائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة.

160. فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط2: (1423هـ-2003م).
161. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2: (1393هـ - 1973م).
162. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17: (1412هـ).
163. فيض التقدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط1: (1356م).
164. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8: (1426هـ - 2005م).
165. القدوة مبادئ ونماذج، د صالح بن عبد الله بن حميد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.
166. قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، ط1: (1388هـ - 1968م).
167. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د.صلاح الخالدي، دار القلم - دمشق الدار الشامية - بيروت، ط2: (1428هـ - 2007م).
168. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2: (1424هـ).
169. الكبائر، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الندوة الجديدة - بيروت.
170. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1: (1403هـ - 1983م).

171. كتاب التوحيد وقرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط1: (1411هـ-1990م).
172. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3: (1407هـ).
173. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1: (1422، هـ-2002م).
174. الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: (1418هـ - 1998م).
175. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
176. كيف ندعو الناس، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط3: (1424هـ - 2003م).
177. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1415هـ).
178. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط3: (1414هـ).
179. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1: (2002م).
180. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3.

181. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: (1415هـ-1995م).
182. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية/ ط1: (1403هـ - 1983م).
183. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2: (1406 هـ - 1986م).
184. مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
185. مجلة البيان (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي.
186. مجلة جامعة أم القرى، مجموعة من المؤلفين، موقع المجلة على الإنترنت.
187. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1416هـ/1995م).
188. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة، (1413هـ).
189. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1418هـ).
190. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1422هـ).
191. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5: (1420هـ - 1999م).

192. مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان، ط12: (1418 هـ - 1997م).
193. مختصر الشرائع المحمدية، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق: اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن.
194. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، ط1: (1402هـ - 1984م).
195. مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط7: (1402 هـ - 1981م).
196. المخصص المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: (1417هـ - 1996م).
197. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3: (1416هـ - 1996م).
198. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط3: (1404هـ، 1984م).
199. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1418هـ - 1998م).
200. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1411 هـ - 1990م).

201. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط1: (1404 هـ-1984م).
202. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: (1421 هـ - 2001م).
203. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
204. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط1: (1411 هـ - 1991م).
205. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
206. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت.
207. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: (1420هـ).
208. معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط1: (1412 هـ - 1991 م).
209. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط1: (1408 هـ - 1988م).

210. المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: (1403هـ).
211. معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي.
212. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
213. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 (دار الصمعي - الرياض، ط1: (1415 هـ - 1994م)
214. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، دار الدعوة.
215. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
216. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3: (1420هـ).
217. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1: (1412 هـ).
218. مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
219. مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1: (1422هـ).

220. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - قبرص، ط1: 1407هـ - 1987م).
221. مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق، د.سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
222. مكارم الأخلاق في الإسلام نظرية وتطبيقاً، د.أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان - عمان، ط1: (1428هـ - 2008م).
223. من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت، (1420هـ - 1999م).
224. منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت.
225. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط1، 1332هـ.
226. المَهْدَبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ (تحريرٌ لمسائله ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيةً)، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد - الرياض، (1420هـ - 1999م).
227. موارد الزمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية.
228. موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي بن نايف الشحود.
229. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1-29، علي بن نايف الشحود،
230. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، مطابع دار الصفاة - مصر، ط2: (1404-1427هـ).
231. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.
232. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر.

233. موسوعة المفاهيم الإسلامية، عليُّ بنُ نايفَ الشَّحود.
234. موقع: الأخلاق الحميدة.
235. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1: (1382 هـ - 1963م).
236. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1: (1404هـ - 1984م).
237. نسخة وكيع عن الأعمش، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار السلفية - الكويت، ط2: (1406هـ).
238. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.
239. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1: (1423 هـ).
240. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
241. نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت.
242. نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

243. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1: (1429هـ - 2008م).

244. الوسطية في القرآن الكريم، الدكتور علي مَحْمَد محمد الصلّابي، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر، ط1: (1422هـ - 2001م).

245. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: (1415هـ - 1994م).

246. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط: (1994م).

247. الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني.

مواقع الإنترنت:

1. أرشيف ملتقى أهل الحديث، د. مصطفى ديب البغا، تم تحميله : في 7 رمضان 1429 هـ

= 7 سبتمبر 2008 م، رابط الموقع : <http://www.ahlalhdeth.com>

2. الاسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت، موقع الألوكة - المجلس العلمي،

<http://majles.alukah.net/t130655>

3. أهمية الأخلاق في القرآن والأحاديث، شبكة المعارف الإسلامية،

<http://www.almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=1610&id=773&cid=74&supcat=2>

[1&bb=0&number=19](http://www.almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=1610&id=773&cid=74&supcat=2)

4. الإيمان والحياة القرضاوي، [http://www.daawa-info.net/books1.php?parts=202\\$au](http://www.daawa-info.net/books1.php?parts=202$au)

5. خصائص الأخلاق الإسلامية، موسوعة البحوث المنبرية،
http://www.alminbar.net/malafilmy/osool_alakhlaq_alislameia/5.htm
6. دراسات قرآنية محمد قطب إبراهيم، موقع طريق الإسلام، موقع الشبكة الدعوية -
الموسوعة الكتب الحركية، <http://ar.islamway.net/book/3735/%D8%>
7. دروس الشيخ عائض القرني، د.عائض بن عبد الله القرني، موقع الشبكة الإسلامية
<http://www.islamweb.net>
8. دروس للشيخ محمد حسان، محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسان، موقع الشبكة
الإسلامية <http://www.islamweb.net>
9. العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي- دار الهجرة النسائية إلى القرآن الكريم
<http://www.dar-alhejrah.com/t2870-topic>
10. ميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم، مكتبة القرضاوي،
<http://www.qaradawi.net/new/library2/267-2014-01-26-18-46-21>

فهرس المحتويات

الإهداء.....	أ.....
شكر وتقدير.....	ج.....
المقدمة.....	ه.....
أولاً: أهمية البحث:.....	و.....
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:.....	و.....
ثالثاً: أهداف البحث:.....	ز.....
رابعاً: الدراسات السابقة:.....	ز.....
خامساً: منهج البحث:.....	ح.....
سادساً: خطة البحث:.....	ط.....

تمهيد..... 1

الفصل الأول معالم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم	4.....
المبحث الأول مفهوم الأخلاق في الإسلام.....	6.....
المطلب الأول: الأخلاق لغة.....	6.....
المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحاً.....	7.....
المبحث الثاني فضل ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام.....	10.....
المطلب الأول: فضل ومكانة الأخلاق في الإسلام:.....	10.....
المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام.....	13.....
المبحث الثالث علاقة الأخلاق بالعقيدة والعبادة.....	23.....
المطلب الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة.....	23.....
المطلب الثاني: علاقة الأخلاق بالعبادة.....	28.....
المبحث الرابع خصائص الأخلاق في الإسلام.....	33.....
المطلب الأول: الربانية.....	33.....
المطلب الثاني: العالمية والشمول.....	33.....
المطلب الثالث: الإنسانية.....	34.....
المطلب الرابع: الوسطية.....	35.....
المطلب الخامس: الواقعية.....	36.....

36.....	المطلب السادس: المثالية.....
37.....	المطلب السابع: الجزاء.....
37.....	المطلب الثامن: الرقي والتقدم.....
38.....	الفصل الثاني أخلاق الأنبياء في ضوء القرآن الكريم
40.....	المبحث الأول خلق الأمانة.....
40.....	وفيه مطلبان:.....
40.....	المطلب الأول: مفهوم الأمانة وأهميتها:.....
44.....	المطلب الثاني: خلق الأمانة عند أنبياء الله.....
50.....	المبحث الثاني خلق الصدق.....
50.....	المطلب الأول: مفهوم الصدق وأهميته:.....
57.....	المطلب الثاني: خلق الصدق عند أنبياء الله.....
64.....	المبحث الثالث خلق الصبر.....
64.....	المطلب الأول: مفهوم الصبر وأهميته:.....
69.....	المطلب الثاني: خلق الصبر عند أنبياء الله.....
77.....	المبحث الرابع خلق الرحمة والرفقة.....
77.....	المطلب الأول: مفهوم الرحمة والرفقة وأهميتها:.....
81.....	المطلب الثاني: خلق الرحمة عند أنبياء الله.....
90.....	المبحث الخامس خلق الشكر.....
90.....	المطلب الأول: مفهوم الشكر وأهميته.....
99.....	المطلب الثاني: خلق الشكر عند أنبياء الله.....
104.....	المبحث السادس خلق الحلم.....
104.....	المطلب الأول: مفهوم الحلم وأهميته:.....
110.....	المطلب الثاني: خلق الحلم عند أنبياء الله.....
124.....	المبحث السابع خلق الوفاء.....
124.....	المطلب الأول: مفهوم الوفاء وأهميته:.....
128.....	المطلب الثاني: خلق الوفاء عند أنبياء الله.....
133.....	المبحث الثامن خلق الإخلاص.....
133.....	المطلب الأول: مفهوم الإخلاص وأهميته:.....

- 136المطلب الثاني: خلق الإخلاص عند أنبياء الله.
- 140المبحث التاسع خلق الحكمة.
- 140المطلب الأول: مفهوم الحكمة وأهميتها:
- 143المطلب الثاني: خلق الحكمة عند أنبياء الله.
- 152المبحث العاشر خلق بر الوالدين.
- 152المطلب الأول: مفهوم بر الوالدين وأهميته.
- 154المطلب الثاني: خلق بر الوالدين عند أنبياء الله.
- 158**الفصل الثالث أخلاق الصالحين في ضوء القرآن الكريم**
- 160المبحث الأول خلق التقوى عند هابيل.
- 160المطلب الأول: مفهوم التقوى وأهميتها:
- 162المطلب الثاني: خلق التقوى عند هابيل:
- 167المبحث الثاني خلق الثبات على الدين عند آسيا (امرأة فرعون).
- 167المطلب الأول: التعريف بامرأة فرعون وقصة إيمانها بموسى عليه السلام:
- 168المطلب الثاني: من صور عذاب آسيا:
- 168المطلب الثالث: مظاهر الثبات على الدين عند آسيا:
- 171المبحث الثالث خلق إحقاق الحق عند مؤمن ياسين ومؤمن آل فرعون.
- 171المطلب الأول: إحقاق الحق عند مؤمن سورة ياسين.
- 174المطلب الثاني: إحقاق الحق عند مؤمن آل فرعون.
- 180المبحث الرابع الصدق عند أم عيسى (مريم عليها السلام).
- 182المبحث الخامس خلق الحكمة عند لقمان.
- 182المطلب الأول: التعريف بلقمان:
- 182المطلب الثاني: المقصود بالحكمة لقمان ومصدرها:
- 184المطلب الثالث: نماذج من حكمة لقمان:
- 184المطلب الرابع: وصايا لقمان لابنه:
- 188المبحث السادس خلق العفة.
- 188المطلب الأول: مفهوم العفة وأهميتها:
- 191المطلب الثاني: العفة عند مريم ابنت عمران.
- 195المطلب الثالث: خلق العفة عند ابنت شعيب.

200	المبحث السابع خلق الوفاء عند امرأة عمران
200	المطلب الأول: التعريف بامرأة عمران:
200	المطلب الثاني: قصة النذر:
200	المطلب الثالث: مظاهر الوفاء بالوعد عند امرأة عمران:
203	المبحث الثامن خلق الشفقة والحنان عند أم موسى وأخته
203	المطلب الأول: مفهوم الشفقة وأهميتها:
205	المطلب الثاني: خلق الشفقة عند أم موسى وأخته
209	الخاتمة
213	الفهارس العامة
214	فهرس الآيات الكريمة
229	فهرس الأحاديث الشريفة
233	فهرس الأعلام
234	المراجع
260	فهرس المحتويات
264	ملخص الرسالة
265	Abstract

ملخص الرسالة

أخلاق الأنبياء والدعاة في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

تم بحمد الله تعالى ختم هذه الرسالة والتي كانت بعنوان أخلاق الأنبياء والدعاة في ضوء القرآن الكريم، حيث قسّمت الباحثة الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

الفصل الأول: معالم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم ويشتمل على أربعة مباحث بيّنت فيها الباحثة معنى الأخلاق لغةً واصطلاحاً، ومكانة الأخلاق وأهميتها في الإسلام، وتحدّثت عن علاقة الأخلاق بالعقيدة والعباد، ثم بيّنت الباحثة خصائص الأخلاق في الإسلام.

الفصل الثاني: أخلاق الأنبياء في القرآن الكريم ويشتمل على عشرة مباحث تحدّثت فيها الباحثة عن الأخلاق المذكورة صراحةً في القرآن في وصف أنبياء الله تعالى، وقد مهّدت الباحثة لكل خُلقٍ بالتعريف له لغةً واصطلاحاً وبيان فضله وأهميته، وبعد ذلك وقفت الباحثة على خُلق كل نبيٍّ على حده من آيات كتاب الله، وهذه الأخلاق هي: الأمانة، الصدق، الصبر، الرحمة والرأفة، الشكر، الحُلم، الوفاء، الإخلاص، الحكمة، وأخيراً بر الوالدين.

الفصل الثالث: أخلاق الدعاة في ضوء القرآن الكريم ويشتمل على تسعة مباحث: لقد سارت الباحثة في هذا الفصل بنفس منهجية الفصل السابق، والأخلاق التي تحدّثت عنها هي: التقوى، الإخلاص، إحقاق الحق، القوة في الدين، الصدق، الحكمة، العفة، الوفاء، وأخيراً الشفقة والحنان.

وختمت الباحثة بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مع ذكر بعض التوصيات النابعة من الدراسة، ثمّ قامت بإعداد قائمة الفهارس العلمية والتي تضمّنت فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس المراجع والمصادر، مع تقديم ترجمة باللغتين العربية والإنجليزية.

والله الهادي إلى سواء السبيل

Abstract

Manners of Prophets and Pious in the Light of the Holy Quran

The researcher has finished this study entitled "Manners of Prophets and Pious in the Light of the Holy Quran" and divides it into an introduction, three chapters, and a conclusion.

The first chapter is Characteristics of Islamic Manners in the Light of the Holy Quran which includes four titles. The linguist and idiomatical meanings of manners, the importance of manners in Islam, the relationship between manners and both creed and worship, and the characteristics of the Islamic manners.

The second chapter is Manners of Prophets in the Holy Quran which includes ten branches. In these branches, the researcher talks about the manners that are clearly shown in the Holy Quran describing the prophets. Moreover, the researcher starts every manner by defining it, showing its importance, and then talking about all manners of prophets found in the Holy Quran like honesty, patience, mercy, secretariat, compassion, clemency, wisdom, honoring one's parents, etc.

The third chapter Manners of Pious in the Light of the Holy Quran includes nine branches. In this chapter, the researcher follows the same approach she used in the previous chapters. She talks about the manners of piety, sincerity, implementing the right, commitments to religion, truthfulness, wisdom, chastity, loyalty, compassion, and tenderness.

The researcher concludes by the most important consequences and some recommendations. She set a list of scientific indexes which includes index for verses, index for Hadith, index for media, and index for sources. Moreover, she provides a translation for both Arabic and English.